المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومى للترجمة

إسماعيل فصيح

ثريا فى غيبوبة

رواية

ترجمة وتقديم: د. محمد علاء الدين منصور

مراجعة وتصدير: أ. د. إبراهيم الدسوقى شتا



المجلس الأعلى للثقافة

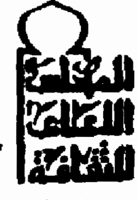
المشروع القومى للترجمة

إسماعيل فصيح

ثريا فى غيبوبة

ترجمة وتقديم: د. محمد علاء الدين منصور

مراجعة وتصدير: أ. د. إبراهيم الدسوقى شتا



١٩٩٥

تصدير

أقدم للقارئ العربي هذه الرواية العظيمة « ثريا فى غيبوبة » أثرى بها لمكتبة العربية تلميذى وزميلى وصديقى الدكتور علاء منصور،مترجمة عن الفارسية ترجمة دقيقة مشرقة ليضيف إلى معلوماتنا عن الأدب الفارسى العريق معرفة بالأدب الفارسى المعاصر تعانى المكتبة العربية بعض النقص فيهاُ

ومؤلف الرواية التى بين أيدينا لم يكن مشهورا الشهرة الكافية قبل روايته هذه وربما كان الإبداع بعض نشاطه الهامشى إلى جوار عمله الأصلى كأستاذ فى جامعه النفط بعبدان لكنه سرعان ما لمع فى سماء الأدب الفارسى إثر إصداره لهذه الرواية سنة ١٣٦٢ هـ . ش . (١٩٨٤) التى طبعت ثلاث طبعات في خلال عامين كما تمت ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية فى أواخر الثمانينات . وتدور الرواية التى بين أيدينا حول

محورين : إيران الثورة الإسلامية وما تعانيه من مشكلات فى الداخل وهجوم وحشى من الخارج وإيران المنفيين من الكتاب والشعراء والفنانين فى باريس وانفصامهم وضياعهم بعد انهيار العالم الذي مثلوه طويلا وعبروا عنه وصبيانيتهم فى علاقاتهم الشخصية وحياتهم الفارغة أو انتماءاتهم الأجنبية وانفصالهم الفكري والوجداني عن أمتهم مما نحس خلاله بتعاطف المؤلف مع بعض الشخصيات والتماس الأعذار لهم فيما تعانيه من ضياع وتحلل وتلاش وذوبان وانصهار فى ثقافة غربية وحياة غربية .. كل هذا في أسلوب فني راق وتعامل مع آليات الرواية لا شك أن الكاتب اكتسب مهارات من خلال تعليمه في الولايات المتحدة وترجمته لبعض الأعمال الأوربية . وقد استحوذت على الرواية عندما قرأتها لأول مرة سنة ١٩٨٦ وقرأتها أكثر من مرة وشدنى إليها ذلك الشجن المبثوث بين طياتها وذلك الحب الجارف من المؤلف لموطنه و ثقافة موطنه والبسطاء من مواطنيه كما أحسست من خلالها بصيحة تحذير من بعض الممارسات داخل إيران نفسها وبخاصة تلك التي تفرض التغيير على حساب الإنسان ... ولعل تلك النبرة قد تصاعدت فى روايته التى أصدرها أخيرا – ولم تصلنى بعد – و التى تسمى (خطاب إلى العالم) ويتناول فيها البحث المضنى لأم أمريكية كانت متزوجة من إيرانى وغادرت إيران بعد الثورة ، ثم عادت إليها فى معمعة الحرب العراقية الإيرانية للبحث عن ولدها التى كانت قد تركته مع أسرة والده الذى فقد حياته فى أحداث الثورة .. والكاتب لا يزال يعيش داخل إيران متفرغا

للكتابة بعد استقالته من الجامعة وأعماله ورواياته ترصد بدقة شديدة عملية التغيير المستمرة فى بنيات الشعب الإيرانى المختلفة .

وبعد فمـا عهدت فى من يصدر كتاباً أن يطيل .. والمقدمات الطويلة لا تليق بعمـل أدبى يتميز بالرقى .. ومن ثم أترك القارئ مع الرواية آملا ألا أندم فيما بعد على اقتراحى على صديقى وزميلى الدكتور علاء بترجـمتها ..

والله الموفق وهو من وراء القصد .

دكتور إبراهيم الدسوقى شتا
أستاذ اللغات الشرقية – كلية آداب القاهرة .



مقدمة المترجم

سبق لإسماعيل فصيح ، الروائى الإيرانى المعاصر نشره رواية اجتماعية بعنوان (دل كور) أو القلب الأعمى فى (٤٠٩) صفحة عام (١٣٥٢ هـ . ش / ١٣٩٢ هـ . ق) أى قبل نشره روايته مدار البحث (ثريا فى غيبوبة) بعشر سنوات وقيام الثورة الإسلامية والحرب العراقية الإيرانية بنحو خمس سنوات . وتدور الرواية الأولى حول أسرة إيرانية من الطبقة المتوسطة ربها تاجر ثرى ورث عنه أولاده الأربعة مع أمواله وعقاراته سجاياه الشريرة والطيبة وسردت فى أحداث غزيزة ووقائع معقدة تقربها إلى الرواية الواقعية الغربية فى القرن التاسع عشر . أما روايته (ثريا فى غيبوبة) فهى تصور أحوال إيران الاجتماعية والسياسية والثقافية بعد قيام الثورة الإسلامية (١٣٥٧ ش / ١٩٧٩) بأقل من عامين وإبان الأسابيع الأولى للحرب الخليجية الأولى . ورغم ذيوع هذه الرواية وتكرار طبعاتها بعد الثورة إلا أنها لم تكن العمل الأدبى الأول والوحيد الذى صور حالة الاضطراب والبلبلة والضياع التى كانت تعم الشارع والبيت والمجتمع الإيرانى فى

صيف عام ١٩٧٩ أى بعد شهور قليلة من استقرار السلطة فى يد الثوار وإعلان الجمهورية الإسلامية فقد تبلـــور ذلك فى القصـــة القصيرة (بزرگ بانوى روح من) أو (مليكة روحى العظيمة) للكاتبة (كلى ترقى). وتشترك الكاتبة مع صاحبنا إسماعيل فصيح، فى روايته (ثريا فى غيبوبة) التى تدور أحداثها فى نهايات عام (١٩٨٠) فى سمات - لعله هو الذى أفاد وتأثر بها لسبقها وسبق ظهور قصتها - منها وحدة الموضوع والجو النفسى القائم على الحزن والقتامة والضياع ، وصياغة الأحداث فى زمن المضارع ليضفى سمة الحالية والحيوية والتواتر السريع ، وتداخل السرد الوصفى بالحوار عند (ترقى) أو تداخل المشاهد المسرودة فى فرنسا بمشاهد الحرب الدامية التى سبقت بأسابيع قليلة فى إيران ، وتداخل حوار هذه المشاهد جميعها عند (فصيح) .

تدور أحداث رواية (ثريا فى غيبوبة) فى أماكن وأزمنة عدة بإيران ثم باريس مرورا بأرضروم واستانبول بتركيا . لكن الراوى (جلال آريان) فى خلطه المشاهد التى عاشها فى إيران إبان الشهور الأولى للثورة وأيام الحرب مع العراق بمشاهد رحلته يخلط الأماكن والأمان متعمدا ، فما أن ينزل بالقارئ فى فندق صغير باستانبول حتي يعود به مباشرة إلي مستشفى عبدان الذى وقع تحت قصف الصواريخ والطائرات العراقية ويشعر بحيرة القارئ

---

(١) محمد على سبانلو : نويسند گان پيشرو إيران ازمشروطيت تا ١٣٥٠ چاپ سوم (تهران ١٣٦٩ ش) ص ١٨٣ - ١٨٨

(٢) القصة القصيرة والحكاية فى الأدب الفارسى ، دراسة ونماذج . د . عبد الوهاب علوب (مصر ١٩٩٣) ص ٤١ - ٤٢

ويخشى انقسام الوحدة المكانية والزمانية فيذكر ليلة مبيته (ليلة الجمعة ٢٨ نوفمبر ١٩٨٠ م) بالفندق الواقع بشارع مصطفى كمال باستانبول ولكى نفهم أن بداية حركته وروايته من طهران باستقلاله أتوبيس سياحة فى سفر الأيام الثلاثة المضنية هو الثلاثاء (٢٥ نوفمبر). وحين يتعمد المؤلف خلط المشاهد والأماكن والأزمان يقف بالقارئ على ما يريده وهو إشعاره بالضياع والألم وجعله يقارن أحوال إيران المتفجرة المقاسية بأحوال العالم خارجها الذى يسوده والأمن والرفاهية دونما تصريح مباشر ، حتى لا يثير عليه المتشددين من الثوار والعامة .

لذلك اصطنع الرمزية فى خلق شخصيات روايته وأبطالها على وجه الخصوص ، فكل منهم تقريبا يمثل اتجاها أو ناحية من اتجاهات إيران المتناقضة . والمعروف أن إيران من هذه البلاد التي تتسم دائما بالتناقض والاختلاط فى كل شئ فيها .فسكانها أو شاب من عناصر شتى عربية وفارسية وكردية وأرمنية وبلوچية وتركية وخزرية .. وأهلها متوزعون عى مذاهب دينية شتى من تشيع وسنة وبابية وبهائية ومن يهودية ومسيحية . والخاصة ، منهم المغالى فى قوميته والمتسامح ومن هو بأقصي اليمين ومن هو بأقصى اليسار ومن يعشق اللذاذة ويفرط فى المجون ومن يتطرف فى الزهادة ويفرط فى حب الشهادة ، ومنهم من يموت صبابة فى (الحسناء) ومنهم من يموت شهادة فى (الحسين) وقل من توسط واعتدل . ورام المؤلف أن يرمز لكل أولئك بصورة خاصة أو بطل خاص لإيران العامّة ، فجعل أبطال روايته الأساسيين ثلاثة مثلوا فى الأغلب الجانب الإيجابى أو الصورة المنيرة لها وأعلى مكانتهم على من جافاهم من شخصيات ثانوية مثلت فى الأغلب الجانب السلبى أو الصورة المظلمة لإيران .

أما (رموز) إيران الثلاثة فهى :

١ - إيران (الأم) ورمز إليها (بفرنجيس) أخت الراوى (جلال آريان) التى حثته إلى السفر إلى باريس لاصطحاب ابنتها التى أصيبت فى حادث غير متوقع بها وأغمى عليها .

٢ - إيران (الحضارة) ورمز إليها بشخصية (ليلى آزاده) التى قابلها الراوى وأحبها ومالت إليه وتمثل الانطلاق والشباب والجمال والفن والشعر وتشير كل صفة منها إلى مناحى إيران بلاد الزهور والبلابل ، وضاق بها الحال على أرضها فالتمست الحياة فى باريس رمز الحضارة الحديثة .

٣ - إيران (الثورة الإسلامية) ورمز إليها بابنة أخت الراوى والأم وسماها (ثريا نقوى) وأسبغ عليها صفات النقاء والطهر والفداء والرواء وأخضع لها أعناق العقلاء المعجبين من الغربيين والشرقيين ثم أوقعها بعد حادث أليم فى غيبوبة لا تفيق منها حتى أوشكت على الموت .

- أما إيران (الأم) التى ولدت الثورة الإسلامية فهى الأرض والمكان وهى الزمان المتصل الماضى والحاضر والمستقبل . هى إيران الأرض الطيبة التى ما فتأت يجرى عليها مر الحدثان وغير الزمان فلا تتغير وتريم . اسمها (فرنجيس) ولعل هذا العلم أصله بالكاف الفارسية بدلا من الجيم وهو اسم ابنة آفراسياب وزوجة سياوش وأم كيخسرو وهم من أكاسرة إيران القديمة حسب الشاهنامة . ولعله ، كما نميل تحريف لاسم كوكب المشترى (برجيس) الذى تداوله الشعر العباسى .

ويرشح هذه النسبة إيثار المؤلف تسمية إيران الثورة بالثريا . والعلمان

فارسيان قديمان يدلان على القدم والعراقة والأمومة من ناحية والعلو والخلود والعظم من ناحية أخرى . ويضيف المؤلف إليها صفات الأم الرؤوم الصابرة على المرض الذى أقعدها والمتحملة فرقة أبنائها ، مقاومة لمكاره الأيام ومصائب الحرب مضحية بكل شئ لأبنائها ، مؤثرة كريمة تستضيف المعوزين والمحتاجين ، محافظة على التقاليد القديمة فتعمد إلى مواساة المصابين وتحضر مجالس العزاء وتشارك فى مجالس قراءة الروضة وتراعى الأصول والعادت الموروثة التى تؤلف بين القلوب .

أما أبناء هذه الأم الذين آثروا البقاء على أرضهم الطيبة وهم يصطلون بنار الحرب وشظف العيش وتنكر الناس وانقلاب الزمان فهم على أعراقهم المختلفة بلغ حبهم لأرضهم فيهم ما لم يبلغه حبهم للبقاء . منهم أسرة أرمنية لم تفكر فى الهجرة تحت قصف المدافع والطائرات العراقية وظلت صامدة حتى أنهت حياتها إغارة جوية . أما عرب عبدان التى صارت جحيما للهجوم الجوى والبرى فمنهم من لم يُجْدِ فيهم نصح الناصحين بضرورة التولى إلى مكان أكثر أمنا وبعدا عن الموت وفضلوا الموت والشهادة عن ترك ديارهم . ويمثل هؤلاء (مطرود) و أخوه وابنه (إدريس) الذين ورد ذكرهم مرار . أما بقية سكان إيران وأبنائها فلم يقلوا عن هؤلاء العرب تضحية وإيثارا . والتقط المؤلف صورا لهم بثها فى روايته لاتقل عن صور التعزية ومشاهدها التى يبالغ الإيرانيون فى عرضها كل محرم ويعمدون إلى إضفاء كل دواعى الإبكاء والإيلام حتى تشهق الصدور وتنهمر الدموع وتشق الجيوب وتلطم الخدود . جو (التعزية) المؤلم سيطر على الرواية فى صورة سرد مشاهد الحرب الفظيعة والمآسى والفجائع التى

ذاقها أبناء إيران فى الحرب التى اضطروا إلى دخولها دون تأهب . متطوع غض الإهاب يقتل خطأ ثلاثة من إخوان الجهاد منهم أخوه الذى يحبه حبا جماً ظنا منه أنهم متسللون عراقيون . عامل بمصانع التكرير بعبدان يقصف منزله فتقتل أمه وزوجته وأولاده الخمسة ويصاب فيؤتى بالجميع إلى المستشفى ويرى وهو يمسك (بكارتونة) وجدها أثناء القصف والضرب وهو فى ذهوله ولا يدرى صاحبها ويريد أن يسلمها للممرض وهو لا يعرف أن بداخلها ذراعا مفصولا من كتف أحد أولاده القتلى .المجاهدون الذين يقتاتون بالفتات داخل منازلهم بعبدان يصارعون هجوم الهوام فيها وهجوم الطيران خارجها . الأم بطهران التى استشهد زوجها وابنها الأكبر واضطرت إلى العمل لتعول أولادها وتدعو الله لابنها الآخر بالشهادة وسجلت بناتها أسماءهن لمن يرغب الزواج بهن من معوقى الحرب ابتغاء للثواب إذا لم يكن بإمكانهن الجهاد . من جنفت الثورة عليهم وكانوا موظفين وخبراء أكفاء ففصلتهم عن وظائفهم فلم يحبوا ترك بلادهم وفضلوا البقاء والعمل فى أعمال متواضعة وبأجور زهيدة . حتى الحيوانات كانت راضية تحت سماء ملبدة بالطائرات والدخان وعلى أرض تهتز وتقصف وتميد .

أما الصورة السلبية الأخرى للأبناء بالداخل فمن مشاهدها آكلو الجيف فى عبدان أو نمور الحرب وهم الذين كانوا يغيرون على المساكن التى تركها أربابها مؤقتا وكانوا لا يحجمون عن سرقة أجهزة التكييف وما ثقل وزنه منها ، وأولئك الذين لم تستطع الحرب والظرف القاسى أن تلين قساوتهم فكانوا يسرقون المرضى والقتلى والشهداء فى المستشفيات ولا يعدهم المؤلف يفضلون القوات الباغية العراقية أو الفئران المتطفلة .

– وإيران الحضارة والثقافة بنت إيران الأم الوطن والأرض والتى سماها

المؤلف تسمية عربية وفارسية للتدليل على شقى هذه الحضـاره ومكوناتهـا الأصلية – الثقافة العربية والإسلامية والثقافة الفارسية – (ليلى آزاده) . لفظ ليلى له رنين عربى وشعرى وإسلامى . و (آزاده) صفة الانطلاق والتوثب والطموح والتحرر . هى إيران الشعر والفن والآداب عامة والفنون التى جدت كالقصة والرواية والمسرح والسينما . أبناؤها من الفنانين والكتاب الملتزمين المحبين لها بالداخل من كانوا يجتمعون كل يوم مع (ليلى آزاده) على مقهى شارع (قوام السلطنة) . كانوا يستلهمون ما يدعونه من جمال إيران الطبيعى والإنسانى مدركين روافد الثقافة والفن والشعر ، ملتزمين صادقين حين يضفى المؤلف عليهم المحامد فى أعمالهم ، خاصة القصة الحديثة بعد الثورة التى لم تستمر وحسب بل استكملت مقوماتها من ناحية الشكل والمضمون ، يعقد المقارنة بينهم وبين مجموعة الأدباء والمثقفين المهاجرين المجتمعين بمقهى (لاسانكسيون) بباريس الذين تجمعوا على حب (ليلى آزاده) أو خيل لهم هذا وأنهم عيون الحضارة الإيرانية بالخارج وكفلاء الأدب والفن الإيرانى فى أوربا . هذه الحضارة (المهاجرة) المثابرة التى تشكو الغربة لا عن أرضها بل الغربة عن نفسها وأقرب أقاربها ، المرموز لها (بليلى آزاده) ، المشتتة الحائرة بين الأصالة والتغريب الفريسة لنهب الناهبين وابتزاز المبتزين والعملاء والسماسرة الإيرانيين بالخارج الذين يتاجرون فى كل شئ لقت ضربات شتى من أبنائها المهاجرين :

– ضربوا صورة إيران الحضارية فى شرفها بالاعتداء على (ليلى آزاده) وطعنها .

– ضربوها فى جمالها المعنوى بالمزايدة والتحايل عليها والتجسس

لأعدائها عليها ورمز المؤلف لهؤلاء المعتدين بالضابطُ الكبير وجماعة (السافاك) والعملاء الملتفين حولها والمهربين للأموال الإيرانية إلى الخارج ، وتمثيل الجهلاء والأميين بصورتها في المغترب .

– ضربوها فى أصالتها بتمثُّل التغرب الظاهرى فى الحياة وألوان العيش والطعام والشراب واقتباس الشكل والإطار الخاويين دون المضمون واللب الثريين في صورة (نادر بارسى) أو التظاهر بالأصالة وطعنها فى صورة (صفوى) الذى حطم الأصالة الوطنية إذ دعا إلى القومية العالمية فى حين أنه يستفيد من خزانه إيران آلاف الدولارات كمنح دراسية لأبنائه . وضرب الأصالة الدينية حين ادعى الإيمان وكان يحمل معه السجاجيد مع أنه لا يصلى لكى يبيعها بأغلى الأثمان بأسواق أوربا . وهاجم الأصالة القومية حين وصف امراته المحافظة على تقاليدها بالجمود وعدم مجاراة العصر وتقنيات التحضر الغربى .

– ضربوها فى انتمائها ووجودها بالعمل مع الجهات الأجنبية وأجهزة المخابرات المعادية كما فعل (حكمت) .

– ضربوها فى ثرائها وجمالها المادى فى صورة الطلاب الدارسين فى باريس المفلسين الممزقى الملابس والأقذار المناظر و الذين كانوا يتظاهرون ضد إيران بباريس .

– ضربوها فى نهضتها العلمية بهجرة علمائها فى العلوم التطبيقية والنظرية وترك جامعاتها خاوية كما هاجر الدكتور آزاده ، والمهندس كاظمى، وغيرهما .

– ضربوها فى بساطتها بالتطرف والمغالاة فى الفكر والمذهب ورمز

المؤلف لذلك بشخصية (كريم بور) .

أما إيران الثورة ، فقد أعلى المؤلف شرفها ومقامها وسماها ثريا نقوى وربط بينهما صراحة على لسان الطبيب معالج بقوله إن ثريا المغمى عليها هى نفس حالة إيران وصورتها الحالية الشابة الفتية الحسناء النقية البتول . تغذت الثورة بالعناصر القومية المثقفة التى تلقت تعليمها بالخارج والتى ، كما يرمز المؤلف ، بدأت مع رجوع هذه الصفوة المتعلمة إلى إيران فى بداية هذا القرن ومحاولتهم النهوض بالبلاد إلى الحضارة والتنور . لم تقنطهم القبضة الحديدية للحكم البهلوى ، فتعاون الوطنيون ورجال الدين لسحق الإمبرالية وأذنابها المنتفعين فى البلاط الملكى ولفيفه فى إيران . نجحت الثورة بقيادة رجال الدين وكانت لا تزال توطد أقدامها حين ابتليت بمكائد أعدائها فى الخارج والداخل وحركوا ضدها جارها فى الغرب فصب ويلاته عليها فترنحت فى البداية تحت ضرباته . ثريا الثورة كانت تتشبث بالحياة فى بداية غيبوبتها لكن المصيبة كانت من الفداحة بحيث أبقتها فى حالة بين الموت والحياة . أتباعها وأحباؤها الأوفياء يحاولون إنقاذها بكل مالديهم من مال وعلم وجهد ويصلّون من أجلها عساها تعود إلى الوعى والقوة والحياة والبهاء . تراها سوف تنهض من عثرتها وتطرد شبح الموت عنها ؟ ويرمز المؤلف إليهم (بقاسم يزدانى) وأعضاء البعثة القنصلية الإيرانية المخلصين بباريس .

ويقابل هذه الصورة الإيجابية للثورة صورة سلبية فى داخل إيران حين عمد حرس الثورة إلى اتهام الأبرياء وحبسهم والإفراج عنهم دون محاكمة وطرد الأكفاء والعقليات وتحدى غير المسلمين وغير ذلك .

وكما اصطنع المؤلف تكنيك تداخل المشاهد والأماكن والأزمنة

اصطنع تكنيكاً آخر داخل هذا التداخل وهو لزوم المقارنة بين أحوال الإيرانيين الفارين من إيران والثورة والحرب ، الذين هربوا بأموالها أو هربوها وعاشوا عيش القصف والبذخ والمجون وأحوال إخوانهم المصابرين المعانين المُعَنَّينَ داخل متاريس القتال أو صفوف الوقود والمؤون لكى يظهر مبلغ التناقض لا فى الكماليات كالعلم والثقافة والحضارة بل فى ضرورات العيش وأقل القليل للحياة .

ويلحظ القارئ دقة المؤلف فى وصف شخصياته وصدقة فيه ، الوصف الذى يجعلها حية تمشى وتتنفس أمام القارئ ولا يظن أنها محض خيال والوصف الذى يلطفه بالفكاهة والسخرية وخفة الظل ، وبحيث يجسم ملامح الشخصية البدنية والعقلية . ولايسأم من استقصاء الوصف وبلوغ نهايته حتى أنه لا يترك دقائق الصورة الثانوية التى تبعد عن صورة الشخصية الموصوفة الأساسية لكنها تدخل فى إطارها العام . ويشفع هذا الاستقصاء الوصفى بالاستقصاء السردى للواقعة خاصة إذا كان من يسرد امرأة . مثال ذلك وصفه الدقيق لجسد التيمسار الضخم والسمسار النحيف الجاهل وطريقة كلامه ونظرته إلى بوابة التيمسار أو وصف زجاجات الشمبانيا فى سطليهما أو الوصف الدقيق للدكتور آزاده ولشخصيتى الزوجين الفرنسيين وطريقة حياتهما بما يبرهن على فهم المؤلف التام لطبائع النفس البشرية وأمراضها الخفية والظاهرة فضلا عن سماتها الظاهرة .

وقريب من هذه الدقة فى وصف الشخصيات دقته فى صياغة جمل حوارها ، فكل شخصية يجرى على لسانها لغة طبقتها كأن المؤلف أثبت من قبل ألفاظها ومصطلحاتها الخاصة . فحين يجرى الحوار على

لسان المثقف الأديب أو الدبلوماسى القديم أو العالم أو الطبيب أو الفيلسوف أو القارئ الألمعى أو التاجر الأمى أو المرأة الثرثارة أو المتسلطة ترى تفاوتا فى الحوار مع كل شخصية من هؤلاء ينبئ عن ذكاء المؤلف وسعة معجمه اللغوى ودقة صياغته .

وقد بث المؤلف قسما لا يستهان به من معارفه واطلاعاته عن الحضارة الغربية بعامة وحياة فرنسا وباريس بخاصة . فلم يقنع بعرضه معرفته التامة والدقيقة بمآكل القوم ومشاربهم وأنماط حياتهم ومعالم باريس ووصف شوارعها وميادينها وصفا بحيث يجعل القارئ كأنه يعيش فيها وهو لم يرها فى حياته ، بل ذكر ما هو أهم من ذلك وهو ثقافتهم وفكرهم وعلمهم . أتقن المؤلف اللغة الانجليزية وعرف الفرنسية وترجم عن الأولى بعض تآليفها منها ما نشرته دار النشر الحديث (التى نشرت روايته ثريا) فى مجال علم النفس حول السلوك المضاد من تأليف (أ . هريس) وقرأ كثيرا فى تشريح المخ ووظائفه وبنائه وأمراضه وعلاقته بالكون والحقيقة المطلقة ومركز الإنسان فى هذا الوجود والنظريات الفلسفية والصوفية فى الوجود وخالقه . ويعضد هذه المعرفة باستخدامه المصطلحات العلمية والطبية على لسان الأطباء والعلماء . ويبث معرفته بفنون العمارة الفرنسية على ألسنة المهتمين والمثقفين الإيرانيين فضلا عن الموسيقى والرسم والنحت ومذاهبهما والآثار والمتاحف وما بها والتاريخ الفرنسى بخاصة . ويزداد العجب حين يعلن المؤلف من البداية أن سائر الشخصيات والأحداث والمشاهد لهذه الراوية ومنها شخصية الراوى ، محض خيال وأى تشابه محتمل بينهما والشخصيات والحوادث الواقعية هو من قبيل المصادفة البحتة .

وكان المؤلف موفقا إلى حد بعيد فى بناء الحبكة الفنية للرواية فبينما

تنمو الأحداث بنحو تلقائى وطبيعى وتتشابك وتتعقد وتتضخم العقدة من فصل لآخر حتى تبلغ ذروتها فى نهاية الرواية ويطلقها بدون الحل المتوقع وتحقيق الهدف الذى أعلنه من البداية ، لم يترك للقارئ فرصة للاسترواح بين مشاهد الرواية وأحداثها فاختلق له المناسبات والوقائع المثيرة التى تربطه به ملتزما فلا يدعه يتركه حتى ينتهى تماما من قراءة الرواية . وقد ساعد المؤلف فى بلوغ هذا التوفيق موضوع الرواية نفسها ومايزخر به من إثارة وحماسة وشجن ووصف لمسار رحلته الشائقة وتنقلاته السريعة من مكان لآخر ، وتعرفه على أنماط متباينه من الشخصيات وما يتضمن ذلك من أحداث الحرب والضرب . وحين يشعر باحتمال ملل القارئ بسبب دوام البطلة (ثريا) فى غيبوبتها دون تقدم يذكر ينقل المشهد والحوار إلى الشخصيات المساعدة على المقهى أو الفندق أو حتى الشارع الفرنسى نفسه. وقبل أن يفتر حماس هذه وتضعف أدوراها يضحى الراوى بنفسه فيدخل غمار تجربة طريفة فى قصة جديدة غير متوقعة النتيجة . ثم يفاجئ القارئ أيضا بالنتيجة غير المترقبة التى ظل يداريها عنه من قبل ، وإن كان إحساس الضياع واليأس والغربة الطابع على الرواية منذ بدايتها يهيئ العقول لتقبلها ، فيقدم الحل الذى لم يستطع أن يصل إلى أفضل منه هو أو غيره وهو أن يعيش مغتربا الحياة كما هى لا كما ينبغى أن تكون وأن يضيع فى غمارها ويتوه فى لجاتها كشأن أغلب الناس .

المترجم

القاهرة في أبريل ١٩٩٥

ثريا فى غيبوبة

- ١ -

أواخر خريف ١٣٥٩ هجرى شمسى ، أحد أيام الثلاثاء الباردة ، الثانية بعد الظهر تقريبا في مدخل المحطة ، في الناحية الشمالية الغربية (لميدان الحرية) بطهران ، يتداخل الباعة المتجولون وعربات الكارو ، وركاب الأتوبيسات وسط التراب والغبار ودخان الوقود والأصوات ونفير السيارات : (الكبدة .. الزين ! السيخ بتومانين !) ، (الساندويتش يا باشا ، ساندويتش البيض !) ، (لو سمحت يابيه خذ جانبا) ، (الفول ! كل الفول .. !) (البرتقال ، قشر ، برتقال شهسوار !) ، (البنجر المسلوق ما أحلاه !) (الهمبرجر ، السجق ! السندويتشات الساخنة !) (جقائب اليد ياسيد !) ، (لاتدفعنى ياوالدى !) (الجوارب الصوف ! القفازات والقلانس الصوف ! الخاصة بالسفر !) (الشاى الساخن !) (أوسع

الطريق ياسيد ، دعنى أمر يا أخى !) . انشغلت فى صمت فى البيع جماعة أخرى جلس بعضها فوق علب الصفيح أو الكارتون أو فوق الفرش ، أو افترشت الأرض وقد انتحت جانبا ، أحدهم يبيع الخبز الرقيق والجبن ، وآخر يبيع البيض المسلوق والفطير ، وثالث فى ناحية أخرى يبيع أيضا ، ومعه بعض أكياس النايلون ، اللب والفسدق واللوز والتوت الجاف والتين والحمص والزبيب وحلوى النقل .

أما الساحة بداخل المحطة التى افتتحت لتوها فهى لا تعدو كونها شيئا لا بداية له ولا نهاية ، واسعة مفتوحة ، ولاتزال فى الواقع جزءا من الصحراء . ما عدا جوانب منها نصب فيها الخيام المشمعة . لكن فيما يبدو أن الأتوبيسات المتجهة للشمال الغربى ، بل حتى تركية وأوربا تتحرك من هذه المحطة . وعلى مد النظر شمالا ، تحت السماء الزرقاء والسحب البيضاء ، تظهر جبال الألبرز الصافية التى علتها الثلوج . ويقطع هذا المشهد، فى المواجهة بضع سلاسل من العمارات الشاهقة المتلاصقة المتعددة الطوابق ، الرمادية والبيضاء . وهى بنايات على نسق ناطحات السحاب بنيويورك ، لكن التراب علاها الآن و لم تكتمل من فترة ما قبل الثورة ، وقفت عاطلة وباطلة وسط الرياح الخريفية والفضاء المتضرر من الحرب وبقيت مذهولة مبهوته . فالوحدات السكنية على سبيل المثال ، كأنها بلوكات ملاهى الـ (لجو) التى يركبها طفل حائر ثم يأخذه النوم فى منتصف اللعب ويتركها . وخلف ساحة المحطة يلقى بالقمامة . وفى الأمام أبعد قليلا ، دائرا ما يدور داخل الساحة الترابية ، فى الجوانب والأطراف نصبت بضع خيام مشمعة يشكل كل منها وكالة سفر صحراوية. فى كل زاوية نبتت شركة (تعاونية) كالفطر حين ينبت من الأرض بعد ليلة مطيرة . وخلف الخيام المشمعة تتحرك الأتوبيسات المسافرة وتقف .

إما الركاب فأغلبهم من الأقاليم أو الهائمين على وجوههم أو أناس فقط مثلى تركوا ديارهم لسبب من الأسباب . تناثر الأتراك والأكراد واللور والعرب الخوزستانيون ومشردو الحرب وغيرهم فى كل ركن . وحين أدخل المحطة أرى فى أحد الجوانب بضعة من الجنود يتناولون أقداح الشاى وقد تغيرت لحاهم وشواربهم وتمزقت أزياؤهم العسكرية ، وجلس ثلاثة من الأكراد منتحين بسراويلهم الفضفاضة وصداريهم شبه العسكرية وعمائمهم المكورة وهم يدخنون سجائر الونستون . كما جلس رجل عربى خوزستانى ومعه امرأته وأمه وسبعة من أطفاله يلفهم جميعا الذهول ولا يصدر عنهم فعل .

وأجد الخيمة المشمعة مقر شركة النقل التعاونية رقم ١٥ (ت . ب . ت) وهى أول خيمة على الشمال وأدخلها . وفى ناحية منها وضعت منصة صحراوية على أحد حافتها تعلن لافتة من الورق المقوى بخط بارز (المسافرون إلى إستانبول) . وأمام المنصة مكان خال فأبرز تذكرتى وبدون أن يتفحصوها يضعون علامة أمام اسمى فى القائمة الموجودة لديهم . ليس معى من الحقائب ما يضطرنى إلى تسليمها للشحن . . وعليها يسمح لى مراقب التذاكر بأن أحمل معى إلى داخل الأتوبيس حقيبتى وشنطة اليد الخاصة بى . وهذا الأتوبيس وهو (ماركة المرسيدس الفاخر) يبدو نظيفا لامعا إلى حد ما لكنه لا يزال على غير أهبة للتحرك مع أنه مفتوح البابين وانشغل سائقه وتابعه بشحن الأحمال فوق سقفه . وانشغل مع السائق فى جدال رجل طويل القامة له لحية وشارب ناعمان مجعدان ويلبس قبعة جلدية بيضاء التى يلبسها العلية وتضفى عليه مظهر (الزردشتى المقدس)

ومعه حقائب كثيرة العدد . وإحدى هذه الحقائب الضخمة تمزقت وهو يربطها بحبل . أقدم له مساعدتى حتى يرفعها ومعها بقية الحقائب إلى سقف الأتوبيس .

ويشكرنى هذا الرجل ، الطويل القامة ، ثم أعود إلى واجهة الخيمة وأقف على مقربة من مدخل المحطة وأشعل سيجارة وأنتظر .

وفى تلك اللحظة يرتفع صوت صفارة إنذار من المطار الذى لا يبتعد كثيرا عن آخر الشارع ، نداءات متقطعة وطويلة . ثم يقطع المذياع الموجود بخيمة الـ (ت . ب . ت) برنامجه العادى وكان يذيع التعليق على الأنباء لكى يعلن صوت صفارة إنذار إغارة جوية : (نوجه عنايتكم إلى أن الصوت الذى تسمعونه الآن هو إعلان عن حالة الإنذار أو علامة الخطر ومعناه أن إغارة جوية سوف تقع . غادر محل عملك وتوجه إلى المخبأ) . ثم يذاع من المذياع صوت صفارة الإنذار، ولا يهتم أحد ، ويستمر الناس فى أعمالهم كما كانوا لا يصدر عنهم غير جملات من الاستهزاء والسخرية . سكان طهران بعد شهرين من الحرب أصابهم عدم المبالاة والاكتراث .

ويتجه نحوى الرجل الطويل القامة ذو اللحية والشارب والقبعة والهيأة والمظهر الزردشتى . مع أنه تخلص من شرور الشحن إلا أنه لا يزال يحمل ثلاثا أو أربعا من الحقائب والشنط وبطانيتين ووسادة . يشعل بدوره سيجارة ويهز رأسه ويقول :

– (حالة إنذار !)

– (نعم)

- (لا أعتقد أنهم يهاجموننا ياسيد ، ما رأى سعادتكم ؟)

لا أرد عليه مجيبا

- (لا بد أنهم رأوا شيئا على راداراتهم؟)

- (لابد)

- (أو ربما أتت تقارير عن أمر مشكوك فيه)

أساله (أتممت شحن حقائبك ؟)

- (نعم . سيادتك مسافر إلى أوربا بالـ (ت . ب . ت) ؟)

- (إلى استانبول بالأتوبيس) أدير رأسى وأرمى بالسيجارة النصف المشتعلة بعيدا وأعود إلى دوامة أفكارى .

ويسألنى الرجل الملتحى (ماوجهة سيادتكم ؟)

- (باريس)

- (هل سيادتك مقيم بها ؟)

- (لا)

- (كيف إذن حصلت على تأشيرة الخروج فى خضم هذه المعمعة ؟)

رجل لحوح ، لذلك أذكر له بإيجاز واقعة تصادم إبنه أختى ومرضها الشديد. لا يبدى كبير اهتمام ويسألنى : (إذن سيادتك متجه إلى باريس ؟)

- (مثل ذلك)

- (مسافر لوحدك سيادتك ؟)

- (كيف فهمت ذلك ؟)

- (أفهم هذا من مظهر الرجل وحالته النفسية . أمضيت عمرا فى شركة الطيران الإيرانية فى العلاقات العامة)

- (صحيح)

- (هل تحب أن تتغذى ؟)

- (تناولت شيئا فى منزل أختى)

- (كأنهم هنا ليس لديهم علم بالمطاعم والكافتيريات) ويتفحص أطراف الفناء والمخيمات المشمعة .

أرد عليه بقولى (رأيت هناك فى المقدمة ساندويتشات كبدة وبيض).

- (لا يا أخى لا يوثق فى هذه الساندويتشات)

صوت صفارة الإنذار كان صمت مؤقتا .

ويقول ذو اللحية والشارب الزردشتى (لنذهب ، والله أن من الأفضل أن نتخلص بأقصى سرعة من مكان العدم هذا) .

المرأة العربية التى افترشت الأرض ناحية لا تحرك غير رأسها بلا صوت وتخبط عليه بحركة هادئة على التوالى .

ونعود إلى جانب الأتوبيس ما شيين ونقف منتظرين لأنه ليس من مكان مهيأ للجلوس . ويحدثنى ذو اللحية المجعدة عن الأوضاع السيئة الصعبة .

وأسأله (وأنت كيف حصلت على تأشيرة الخروج فى هذه المعمعة العصيبة ؟)

- (جواز سفرى مختوم بخاتم الإقامة بباكستان . أمى تقيم بها . أرسلت لها الجواز فختموه)

- (صحيح !)

(..... أخذت أيضا تأشيرة أمريكا . زوجتى السابقة وابنى وابنتى يقيمون فيها . يؤشرون طبقا لمقرراتهم لمن ليس لهم الحصانة السياسية والحصانة الدينية ، فمنحت لنا) .

ولا أفهم قصده من عـــدم (الحصانة الدينية) ولا أحـــب أن أفهم .

ونصعد الأتوبيس فى النهاية الساعة الثالثة والنصف ويدير السائق محركه ويشاء الله أن أجلس بجوار الزردشتى الطاهر ، يجلس هو بجوار النافذة وأنا على الطرقة . وقبل أن يستقر فى موضعه يرتب البطانيتين والوسادة تحته (إذا كان لا يمكن السفر الآن بالطائرة فلا أقل من أن نكون مرتاحين) . وعلى الكرسى المقابل جلست سيدة شابة ومعها طفلها الصغير وطالب مسن قصير القامة غليظها يدرس فى ألمانيا .

وقبل أن ننطلق إلى عرض الطريق يرحب السائق بدماثة الخلق وحلاوة الطبع الآذربايجانى بالركاب . أمامه كافة أنواع الصور المغلفة والسجا جيد والقيطان والزهور والمعلقات المكتوبة ومذياع وعلبة منديل ورقية وحاجات أخرى . وبين صورة أمير المؤمنين وصورة ابنه الصغير شعر مكتوب بخط النسخ التعليق ترجمته : ليلة بالبيت ومائة بالغربة – فإلام تجرنا أيها المرسيدس الملعون ؟ قال : (أقدم لكم نفسى . أنا المخلص للسيدات والسادة عباس أغا المشهور بأشك عباس أغا مرندى ، تحت خدمتكم . كل طلباتكم

أوامر . وهذا هو مساعدى حسين آغاجل فى خدمتكم أيضا . أرجو أن تنقضى الرحلة بسعادة وسلامة على جميع السيدات والسادة بحق عليٍّ سلطان الرجال صلوا على جمال محمد وآل محمد) . يصلى المسافرون بصوت مرتفع . يصلى على النبى وآله أيضا ذو اللحية المجعدة لكنه يعود إلى الضحك ويطلب عباس أغا مرندى مرة ثانية وثالثة بصوت أكثر ارتفاعا الصلاة لأئمة الإسلام والمقاتلين الفدائيين ..

وعند بوابة خروج المحطة بعد تفحص رخصة السائق والأتوبيس يخرج المرسيدس (ت . ب . ت) فى النهاية ويتحرك على الشارع المجاور والموازى للطريق الخاص المتجه إلى الكرج ويمر من أمام عمارات ضاحية أكباتان ليسلك هذا الطريق .

ويتوقف عباس أغا بعد عشرة كليو مترات ليتزود بالوقود . ويصل طول صف السيارات الواقفة للتزود بالوقود إلى نحو ثلاثة كيلو مترات ، لكن بما أن الأتوبيسات المقلة للمسافرين مستثناة من التقيد بالدور فى الصف يدور عباس أغا ويأتى أول الصف بظهره ، وبعد تأخر عشر دقائق يتم تزويد الأتوبيس بالوقود .

فى هذه الفترة يحكى لى ذو اللحية والشارب الطاهر الزردشتى - الذى ذكر أن اسمه وهاب سهيلى - عن حياته التى استمرت سنوات عدة فى شركة الطيران الوطنى الإيرانى وأنه أخيرا أخرج فى حركة التطهير وأقيل من منصبه وأنهم (انتشروا) داخل بيته وحملوا معهم بعض كتبه وألبوماته واعتقلوه هو نفسه شهرا ونصف شهر فى معتقل (أوين) إلى أن ظهرت براءته فأخلوا سبيله بدون محاكمة . وفضلا عن زوجته ، وزوجته السابقة وأولاده المقيمين فى بريطانيا وأمريكا ووالدته المقيمة بكراتشى أيضا فله أربعة

أبناء وابنة أخيه المتوفى يقيمون كذلك فى ألمانيا .

وحين أدور بعينى فى الأتوبيس أرى جميع ركابه تقريبا لهم نفس الحالة ، فباستثناء حالتى وواحد أو اثنين من الطلاب ، فإن الباقى حمل معه ماله وأمتعته وسافر أو عاد ليأخذ أمتعة أكثر له . فسهيلى الذى يهاجر من وطنه حمل على حد قوله حتى بلاط حمامه . السيدة كيومرث بور أستاذة الميكروبيولوچى التى درستها فى أمريكا تسافر للحاق بزوجها فى باريس ، ترضع وليدها خلف حجاب إسلامى غير معقود عليها بإحكام والذى لايعدو أن يكون ألعوبة لأنها بعد إرضاع طفلها كأنها لا تهتم إذ ذاك بغير مجاذبة الطالب المسافر إلى ألمانيا الغليظ القصير أطراف الحديث .

وحين نغادر محطة الوقود كان الغروب بدأ يهبط على الطريق . وبعد نحو كيلو متر واحد صدمت سيارة نقل وقلبت وجلس سائقها عبد الله بجانب نحو ثمانين كيلو جرام من البصل المتناثر فوق طرف الطريق الترابى. قروى عجوز جلس القرفصاء بجوار سيارة البصل وأحاط رأسه بيده كأنه لايدرى كيف يتصرف حيال هذا الوضع . تمر السيارات على يمينه وشماله ولايأبه به أحد . منظر البصل المتبعثر وعربة النقل المقلوبة والعجوز العاجز يغدو لأغلب مسافرى الأتوبيس سبب ضحكهم .

- ٢ -

مضت ساعتان من الليل ويتوقف عباس أغا أمام مقهى كبير خارج تاكستان (لتناول العشاء والصلاة) . ربضت بضعة أتوبيسات فى نفس الموضع على نفس الحالة . يخرج مسافرونا جميعا ويشترى أغلبهم من صاحب المقهى الذى يعلو الناس عن رأسه وكتفه بونات العشاء . يتقدمنى سهيلى .

قال : (سيد آريان ليس لديهم غير الكفتة طعاما وشرائح اللحم فماذا نفعل؟) فرددت (كلاهما ، كلا الاثنين مقبول) .

- (كفتتهم لابد أنها لية الخروف . ولانعرف الشرائح من أى لحم) .

- (مزاجك رائق ياسيد سهيلى) .

- (سوف آكل ولو كان مسقيا بأمعاء جراد صحراء مغان) .

ويضحك سهيلي (إذن لو تكرمت بالبحث في جيبك عن مائة تومان فكـــة ؟ اعطني لكي اشترى بونين . لأنه لم يبق معي غير جنيه استرليني ودولار، ثم نتحاسب بعد ذلك)

– (بالتأكيد) .

– (أنت ضيفي على العشاء) .

– (أشكرك) .

– (تحب الشاى أم العصير ؟) .

– (الشاى أفضل) .

– (إذن اثنان من شرائح اللحم وكوبا شاى وزبديتان . مارأيك ؟) .

– (عظيم) .

أعطيـه المائة تومـان ويشـتـرى بونات الطعـام والزبادى . وحين يذهب وحقيبته بيده (للتطهر) آخذ أنا الطعام إلى مقدمة المقهى المزدحم وأحمل بعض الرقاق والزبادى والبصل وأجد مكانا خاليا فى أحد الجوانب . وليس من خبر عن الصوانى .

ويأتى سهيلي ويجدني ونجلس للأكل. شواؤهم ليس سيئاً فى الحقيقة. أرزهم لو سخن لكان ممتـازا . ويأتى اثنان من القـرويين ويجلسـان بجـوارنا ويتناولان الكفتـه . إنهـمـا لا يتناولان الأرز بالخضـار كـمـا يتناوله الناس ، أنهـما يتعشقان الأرز بالخضار . لا يبتعد رأساهما عن طبق الأرز والخضار إلا بمسافة التقبيل ويتناولانه بلُقَم الخبز المدورة ويحملانه إلى فميـهـما ، يبقى بعض الطعام فى فمّيهما ، ويعود بعض آخر إلى حضن الطبق ، قام

بين فميهما والأرز بالخضار العلاقة والاتحاد ، يلعقان أصابعهما أيضا . لا يحتاجان إلى وساطة الملاعق . سهيلى يتناول بدوره الأرز الأبيض بالشوكة .

قال (سوف استقل من استانبول إحدى طائرات الشركة الأمريكية إلى كراتشى أولا ..) .

– (صحيح) .

– (كيف سوف تسافر حضرتك من استانبول إلى باريس ؟) .

– (معى تذكرة شركة الطيران الوطنى الإيرانى ، لكن سوف نرى) .

– (معك تذكرة الخطوط الجوية الإيرانية التى لا تعمل ؟ مطارات إيران مغلقة) .

– (قيل أنهم اتفقوا مع الخطوط الجوية التركية على أن تنقل مسافرى الخطوط الايرانية فيما يبدو) .

ويسأل (تذكرة حضرتك مدفوعة بالكامل ؟) .

– (لا ، فيها ٤٠ ٪ تخفيض) .

– (حضرتك موظف بالحكومة ؟) .

– (فى شركة النفط فى الجنوب) .

– (هل يمكن أن أرى تذكرتك ؟) .

فأريها له ويقول (أنها غير قابلة للتحويل ومقفولة . لكن لدي معارف في استانبول وسوف يقومون بالواجب من أجلك . ننهى الموضوع لو كان عندهم قرار مستجد بنقل من معهم تذاكر « الخطوط الإيرانية » . كم من الوقت قررت الإقامة باستانبول ؟ أنها مدينة جميلة علي غير العادة) .

– (ليس لدي قرار بالمكوث ، أسافر فى نفس اليوم إن أمكن) .

– (هل أنت قلق علي إبنة أختك ؟)

– (لابد من الوصول إلى مستشفاها بأقصى سرعة)

– (ماذا حدث لقدمك ؟ إنك تعرج . هل أصبت في الحرب ؟)

– (لا شئ . إنه عِرق)

– يضحك (أقول لك أن الشر بعيد بأمر الله وبالأمل في الله الواحد ، وسوف ينقضي كل شئ لكم ولابنة أختكم على كل خير وسعادة هناك)

– (لا أدرِي)

يشعل كل منا سيجارته ويأتى الجرسون بالشاى لنا ويقبض ثمنه ويسألنى سهيلى (كيف وقعت هذه الحادثة ؟)

– (أى حادثة ؟)

– (هذه التى وقعت لإبنة أختك)

– (لا أعرف بالضبط . علمنا من خلال رسالة وبضع مكالمات تليفونية تلقتها أختى من أصدقاء ثريا أن ثريا كانت عائدة بدراجتها من منزل صديقة لها حين كان الشارع فيما يبدو منزلقا فتتدحرج وتسقط عند ناصية شارع) .

– (وهل أصيب دماغها ؟)

– (فيما يبدو)

– (وكم مضي عليها وهى مريضة ؟)

– (أسبوعان أو ثلاثة وهى فى غيبوبة)

- (بهذه البساطة ؟)
- (بهذه البساطة)
- (كم عمرها ؟)
- (ثلاث وعشرون ، اثنتان وعشرون)
- (عجيب ..)

وأصعد زفرة (أجل ، رجل مثلى يبقى حيا سليما وسط عبدان ومنطقة الحرب ، يصل من وسط عبدان ومن داخل مناطق النخيل إلى « تشويدر » ليلا راكبا قاربا قديما بمحرك ويبلغ ميناء ماهشهر قاطعا مائة كيلو مترات أو يزيد تحت القنابل المتساقطة وقصف المدافع .. وتسقط امرأة شابة في الاثنين والعشرين داخل منطقة باريس من على دراجتها ..)

- (عند القدر يعمى البصر ياسيد آريان)
- (نعم ، يبدو هذا ياسيد سهيلى)
- (والآن أنت مسافر لكى تعود بها إلى طهران ؟)
- (وليست وهى فى غيوبة بلا شك ، لكن أختى تود إن أعود بها فى النهاية إلى طهران)
- (إن شاء الله الشربَّه وبعيد)
- (على الله)
- (كن على ثقة .. والله تعالى هو المعين)

نصعد الأتوبيس فى حدود العاشرة مساء . ويطرق هذه المرة أغلب الركاب فى صمت ويخلدون كلهم تقريبا فى السبات وينظم سهيلى البطانيتين والوسائد بأسفل منه فوقه . وأعجب له أنه يهتم بنفسه واستعداداته ممتازة (لو تكرمت ياسيد آريان ناولنى تلك الوسادة الصغيرة من فوق هناك .

أعتذر إليك كثيرا ، فقد سببت لك الليلة مشقة بالغة) ويضع الوسادة الصغيرة حائلا بينه وبين النافذة لكى تقع رأسه على موضع لين إذا انزلقت.

الفضاء والصحراء مسودان ويتقدم الأتوبيس متأوها . بجانبى سرعان ماراح سهيلى فى سبات عميق . لا يأتينى النوم ومع أنى تجرعت كبسولاتى ورأسى بها دوار فإن شيئا يدور داخل جمجمتى . فى الخارج كأن الليل ساكن والدنيا هادئة.

لكن الأمر يختلف داخلى. الليل الساجى والعالم الهادى هو ماخرج عنى أو ماكان أسفل وسادة وهاب سهيلى أو ما انزلق وسقط خارج النافذة . ليلة من تلك الليالى التى يسافر فيها الأتوبيس والأتوبيس هو الليل والليل شئ خامل يتحرك . ليل جلال آريان . رجل يقرب من الخمسين من عمره والذى يتأرجح هذا العام بين الوجود والعدم . حين يسير كأنه تشارلى شابلن حين يسير فى أفلامه البطيئة الحركة . وجهه مثل مقطع عرضى للوجه الكامل لشئ هو بين أردشير المتعدى ومكتشف مربى الجزر . حين يتنفس فصدره كالخنزير المصاب بالربو. وفوق ذلك فهو حسن الشكل وسليم وعلى سجيته .

ونصل تبريز فى الثالثة صباحا . شوارعها خاوية وكل مكان فيها بارد وجوها به ريح وعاصفة ثلجية . يقف عباس أغا بالأتوبيس أمام جراج الـ (ت . ب . ت) ويصنعد حوالى ثلاثة من المسافرين الجدد . لا يزال أغلب المسافرين من طهران يغطون فى النوم . إلا السيدة كيو مرث بور تأخذ طفلها وتجلسه ليتبول بأسفل على حافة جدول . الليلة شهادة الدكتوراه فى البيولوجى التى حازتها لا تساوى عدما . تحت نور عمود الكهرباء يشع من أساورها الذهبية وفوران بول طفلها نوع من أطياف النور .

- ٣ -

نعبر صحراء آذربيجان الغربية الصافية فى تباشير الصباح ونتجه إلى حدود بازرجان . الجو الآن مثلج ويرتفع بتثاقل نور النهار . الصحراء والتلال عارية وتبدو جميلة عند أول أشعة الشمس المنبسطة . وقفت الأشجار كأشباح الموتى هنا وهناك . حينا يطير طائر يتماوج جناحاه وسط هبوب الرياح الشديدة التي تهب من ناحية روسيا كقارب صغير وسط الطوفان ورياح السحر . يذكرني هذا بثريا .

حين نتجاوز (ماكو) كان الجو لا يزال منيرا ويقف عباس أغا للتزود بالوقود . كأن ماكو أصبحت حانا من شدة البرد وزادت كدحا بل أن الشارع الأساسى بما فيه من عمارات ومحلات ومنازل منحوتة فى الجبل يبدو أكثر خواء وحقارة . وقف سكانها من بداية الصباح مصطفين يحملون

علب الكرتون الفارغة يتعقبون النفط أو جلسوا يثرثرون أو استسلموا للنوم . أو في صفوف أخرى أمام المخابز ومحـــلات البقالـــة ينتظرون الخبز والمؤونة أو راحوا فى النوم . أتجرع كبسولات الصباح بكأس الماء الذى أحضره لى مساعد عباس أغا . وبعد مدة يستيقظ شيئا فشيئا وهاب سهيلى الذى من غير حسد نام ملء جفنيه بجوارى . لا أقدر على الكلام لكن لا يمكن إيقاف محرك سهيلى .

– (صباح الخير)

– (لام عليك)

– (صبحكم الله بالخير والعافية)

– (اختصر تحيتك ياجناب سهيلى بمقص الرقابة)

يضحك (هل تعرف أين نحن ؟)

– (تجاوزنا ماكو)

– (إذن لم يعد أمامنا حتى بازرجان قدر ماركبناه)

– (المفروض أن نصلها السابعة والنصف أو الثامنة)

– (هل تجرعت جراية الصباح ؟)

– (جراية الصباح ؟)

– (ما تلك الكبسولات الطويلة البرتقالية ، أليست جافرين ؟)

– (لماذا ، جافرين آر – اكس . ثلاث مرات فى اليوم)

– (من أجل انسياب الدم فى العروق وثبات نسبة الأملاح هى أفضل علاج . أخى بعد أن أصيب بالمرض كان يتناول منها . حافظت هذه

الكبسولات عليه حيا سنوات لعلك تعرف ولابد أنه قيل لك إذا أخذت هذه الكبسولات فلن تمس قط مشروبا . الكحول والجافرين أحدهما عدو مهلك للآخر)

فقلت (نعم ، قيل هذا) وأتذكر وعدى لفرنجيس .

ثم يقول سهيلي (ياسيد آريان ، سلمت يداك أريد أن تناولنى تلك الحقيبة الجلدية السوداء فوق هناك) .

وندخل حوالى الساعة الثامنة حدود بازرجان ، وقد سبقنا عشرة أو خمسة عشر أتوبيس ركاب ومئات الشاحنات والركاب باتت فيها ، ومبنى ترانزيت بازرجان مكون من دور واحد كبير وقديم بحيث نرى باباً صغيرا ضيقاً تركه أمير الحرس مواربأ .

ووقف مئات المسافرين أمامه يهمهون . ولا يرى من الشرطة غير بضعة من الشباب الصغار السن من (حزب الله) ذوى خلق وأدب ، يحملون مدافع الرشاش (ج ٣ واوزى) يساعدون الناس ويفتشون .

والمعلوم جيدا أنه لابد من الانتظار هنا ساعات وربما أياما . سهيلى الآن فى كامل يقظته وترتيبه فقد نزل مثل غيره من الأتوبيس - ساكنا ومضطربا - وانهمك فى جمع ركام حقائبه وتنظيمها وعقد عفشه . وكان عباس أغا ومساعده قد انتهيا لتوهما من فتح عقد العفش وإنزال الأحمال . ويقوم عباس أغا بنفسه بجمع جوازات سفرنا ويشق بها ومعه أوراقه صفوف الخلق المزدحمين حتى يصل إلى صالة الترانزيت . وحمل تعليمات منها بأن يحمل كل مسافر سائر عفشه وأمتعته إلى صالة الترانزيت . ورفع رجل مهيب ذو شارب كث من أمام باب ضيق صوته بخشونة قائلا : (على من

لديه عملة زائدة أو ذهب أو مجوهرات أن يسلمها ويتسلم إيصالا عنها ، وإلا فإن ظهر أنه يحمل بعضها سوف يعود من حيث أتى) . والمسافرون إلى الخارج الذين كانوا امن سنوات ثرثارين مليئين بالادعاء ينتظرون الآن جميعا كأن على رؤوسهم الطير لا يسمعون ولاينطقون . لا يصدرون صوتا . لا يريدون إلا أن يسافروا بأى طريقة . هم فى وضع اضطرارى فلا السادة بقوا سادة ولا الهوانم بقين هوانم أيضا . مجرد جزء من جماعة . (فليتقدم المسافرون على « إيران بيما » ثم يليهم المسافرون على « ميهن تور » . وتقف السيدة كيرمرث بور ومعها طفلها بجانبى فقد تركها الطالب الموفد إلى ألمانيا وذهب لمصالحه . لم يعد بقلب هذه المرأة المسكينة أدنى شجاعة كل قطعة من عفشها مبعثر فى ناحية . قالت (هل قرأت كتاب أندريه جيد « الباب الضيق » ؟

– (لا) .

– (يقول : حاول الدخول من الباب الضيق ..)

– (أنت ليس عفشك كبيرا . على سهيلى أن يحاول بأقصى مالديه..)

ولايضحك سهيلى وإنما يكتفى بهز رأسه لكنه غير مهتم شارد الفكر.

ثم تقول السيدة كيومرث بور : (لا يقصد « جيد » العفش وإنما النجاة .)

– (صحيح) .

– (كانت أخت لى أستاذ بالجامعة ، أقيلت الآن ومنعت من الخروج . ولى أخت أخرى معتقلة ولا نعرف عنها خبرا) .

وبعد ساعات يأتي الدور في النهاية لمسافرى (تى بى تى) وندخل بطريقة أوأخرى من بين المتزا حمين الذى تجمدوا أمام الباب الضيق بسبب التدافع العشوائى . ويطول بنا الأمر عامة حتى ندخل في النهاية عفش سهيلى من يد إلى يد . والقاعة كبيرة نسبيا تنتهى بطرقة تفضى إلى قاعة أخرى وهنا يسود السكون والنظام (النسبى) مع وجود صفوف عدة . صف لتسلم جواز السفر وآخر للتفتيش الذاتى وثالث لتفتيش العفش وآخر لتسليم المجوهرات وخامس للخروج ودخول صالة ترانزيت تركيا . وأقف فى صف تسليم الجوازات القصير .

جلس ولد صغير السن قد أخضر منبت شاربه وله عينان خضراوان حساستان خلف مكتب .

– (أين أسباب السفر إلى الخارج ؟)

– وأقول له . . .

– (هل تسافر بمفردك ؟)

– (أجل) .

وأمسك بيدى صورة من المذكرة المعتمدة المختومة بخاتم جمهورية إيران الإسلامية الصادرة من وزارة النفط ، شركة نفط إيران الوطنية ، اعتمدت من لجنة تحقيقات مشكلات موظفى المناطق المضارة من الحرب بعبدان وخونين شهر والموجودة بطهران إلى الجهات المسؤولة برئاسة الوزارة الكائنة فى إدارة الجوازات ليقدموا التسهيلات اللازمة لإيفاء الضرورات الجبرية للمذكور (الذى هو أنا) .

وقد وقع عليها وكيل وزارة النفط . وأريها للأخ .

- (ماهو عملك بشركة النفط ؟)

- قلت ..

- (قلت لي من الذى اعتمد الموافقة على سفرك ؟)

فأذكر له اسم وكيل الوزارة الذى اعتمد ورقة الموافقة على سفرى إلى الخارج من وزارة النفط برئاسة الوزراء .

- (لماذا لم يعتمدها الوزير بنفسه ؟)

قلت إن وزير النفط أسره العراقيون .

ثم يسلمنى جواز سفرى مختوما قائلا (تفضل) .

- (كل شئ تمام ؟)

- (رحلة سعيدة) .

ويمتد صف التفتيش الذاتى أمام مكتبين أحدهما للأخوة والآخر للأخوات . وبعد التفتيش الذاتى يدخل الناس صف تفتيش العفش ، فيقف كل منهم بجوار عفشه ويدفعه أمامه حين يتقدم . وفى المكتب الخاص بتفتيش الأخوة جلس ولد صغير دقيق البنية لا يتجاوز فى الظاهر الثامنة عشر أمامى كأنه ابني . ومن غير أن ينظر إلى بدأ يتحسس بطانة ملابسي والبروز الأعلى بكتفى معطفى ويعيد نفس الأسئلة السابقة عن إذن السفر والعمل ومرافق السفر وغير ذلك ويذكرنى بالولد (سيد مطرود) فى عبدان ، لكن هذا الولد أكثر ذكاء وأناقة . وحين يفتش حذائى ويتحسس بأنامله كعبها يسألنى : (أحوالك على مايرام ؟)

- (آه ، ليست سيئة) . ويبدو مجهدا وكليلا .

(وأنت كيف حالك ؟) فلا يجيب ويكتفى بالإيماء برأسه .

قلت : (أنت تقوم بعملك على نحو جدى كثيرا ، لكن استرعى نظرى أمر)

ولا يهتم كثيرا ، وإنما ينظر إلى بقليل من التوجس

- (أى أمر ؟)

- (ليس قصدى انتقاد أسلوب أداء الأخوة ،لكنى تنبهت الى أن المسافرين الخارجين من التفتيش الذاتى يذهبون إلى أمتعتهم ويمكنهم أن يأخذوا أشياء منها ويخبئونها فى جيوبهم .ألا تظن أنه من الأفضل أن يتم التفتيش الذاتى بعد ذلك ؟)

فيقول : (أيدينا قصيرة . . نحاول أن نغير فى المؤسسة هنا . نريد أن نبنى ممرا جديدا فى هذا الجزء) . ولايقوم بتفتيش فردة الحذاء الأخرى (تفضل)

- (تم كل شى)

- (فى أمان الله)

فأشكره، وأخرج ، وكان سهيلى عليه الدور بعدى واصفر لونه كالكركم وأحاول أن استنبط السبب حتى شارباه ارتفعت نسبة الشيب فيهما ووقفا نحيلين رقيقين .

سألنى (هل يفتشون بدقة ؟)

فأرد : (كما يحب قلبك ويشتهى)

فيترك سهيلى دوره لمن بعده ويخرج من الصف ويذهب نحو أمتعته

ويبدل معطفه وحذائيه . قال لى بعد هذا ونحن فى استانبول أنه أخفى فى بطانة معطفه الأول ثلاثمائة وثمانين ألف جنيه استرلينى شيكات سياحية وألف دولار . وأدخل صف تفتيش الأمتعة وبما أنى لا أحمل إلا حقيبة ملابس صغيرة جدا ومامعى من مال بالحد القانونى أخرج سريعا وأدخل صالة الترانزيت والسيدة كيومرث بور تناقش شرطة حزب ا لله فى قسم الجمارك لأنهم أخذوا كل ذهبها ومجوهراتها وأعطوها وصلاّبها ، وهى لاتزال تحترق بنارها ، لكن هذا لا يفيد . صالة الترانزيت بوسطها منصة دائرية على شكل نعل كبير تنثنى من طرف الصالة الأول ثم تعود إلى الانثناء في طرفها الثانى . وتنفتح أبواب الطرف الأول على أرض إيران وأبواب الطرف الثانى على أرض تركيا بقول عباس أغا مرندى .

ولا أرى سهيلى حتى قبيل الظهر حين يدخل من ركن صالة ترانزيت تركيا . ولم يعد الآن إليه لونه ووجهه وحسب بل تهلل وجهه ، يبدو أنه مر بكل أمتعته .

لكن أول سوء الحظ الآن كان مع موظفى تركيا الذين لم يراعوا أدنى درجات النظام والترتيب فقد بدأوا بتأخير المسافرين جميعا قائلا أن الموظف الأساسى ترك مكتبه لإجراء مكالمة تليفونية .

ثم انقطع التيار الكهربائى (ويتزود كلاقسمى مبنى الجمرك من شبكة الكهرباء الإيرانية) فيلقون هذا الخطأ على عنق إيران . يقولون انقطع تيار كهرباء إيران وكأن هذا أكثر نكات العالم إضحاكا فيلوكون أحاديثهم بالتركية عن ذلك ويضحكون . وبعد ذلك يأتى مفتش جديد ولابدّ أنه يريد إيذاء الناس فأول كلامه الذى ترجم لنا إنه على الجميع أن يكونوا مطعمين

ضد الأوبئة فى إيران . ويرفع المسافرون الإيرانيون الذين لفوا السبع لفات مع موظفى الحدود الإيرانية أصوات الاعتراض (لماذا لم يقل لهم من البداية أحد ذلك ؟) . ولا يأبه الموظف التركى باعتراضهم . لابد أن تكون الجوازات مختومة بختم الخلو من الأمراض إلا من يحمل معه شهادة التطعيم . وهذا أمر فى المصلحة . وتمر مدة فى المجادلة ، لكن الموظف التركى يصر تماما على موقفه . ويمسك الجوازات بيده ويحركها فى الهواء قائلا :

لابد أن تعود هذه الجوازات وتختم بختم الخلو من الأمراض . وجوازى أيضا من بينها . فتقول السيدة كيومرث بور (لن أعود ! ...)

ويقول سهيلى : (لن أعود ولو قطعوا شريانى الأكبر . كان عليهم أن يقولوا لنا من البداية ..)

وبعد ذلك يصيح رئيس الموظفين الأتراك بالإنجليزية (لابد أن موظفى إيران قالوا لكم ذلك . لابد أنهم طلبوا منكم ذلك من البداية) . ولم أكن سمعت شيئا عن هذا المطلب فى جمرك إيران . فتقول السيدة كيرمرث بور (إلى أى حد غباء هؤلاء .. ألف رحمة على موظفينا !)

ويقول سهيلى (عيب !) . ويتفوه كل واحد بشتمة . لكن المحاولة مع الموظف التركى لاجدوى منها . وآخذ الجوازات ثم أعود بعد أن أترك حقيبتى الصغيرة مع سهيلى . أرجع إلى قسم حدود إيران واستفسر هناك وأسأل هنا وأشرح المشكلة للموظف الإيرانى المسؤول عن الحجر الصحى القابع فى ظلمة إحدى القاعات بنهاية الممر . ويفهم قبل أن أتم كلامى فليست فيما يبدو هذه أول مرة فيأخذ جوازات السفر وهى فى حدود خمسة

عشر أو ستة عشر ، ويفتحها جميعا على آخر صفحة ويرتبها فوق بعضها ثم يبدأ فى ختمها وإمضائها بسرعة . وهو رجل فى الأربعين سمين ومتين القوام ويبدو أنه أبعد واقعية عن عمله فى حجرته المظلمة فيتجه إلى قـائلا (هذه الجوازات لن تصـاب ثانية بالـوباء) فـأرد (بالتأكيد) .

- (تفضل) .

- (شكرا يادكتور) .

- (هاه مع السلامة) .

وحين أعود ويغمرنى نور صالة الترانزيت أوزع الجوازات على أصحابها ويتضح أن كل الأختام بها غير ظاهرة فى حوافها فيضحك الجميع ولايهتمون ، لأنه ظهر الآن مشكلة جديدة فى صالة الترانزيت فالساعة هى الثانية عشرة وأغلق الموظفون الأتراك صالة حدودهم ولن يفتحوها قبل الثانية والنصف لأنهم لابد من ذهابهم لتناول الغذاء وأقفلت الأبواب فى نهاية الصالة التركية ووضع عليها السلاسل والأقفال .

ولهذا ننتظر ساعتين بداخل صالة الترانزيت خلف صالة تركيا . وتجمع أغلب المسافرين معنا بالأتوبيس خلف البوابة المقفلة بالسلاسل . وتجلس جماعة أخرى وتأكل شيئا . ويهدى بعضهم لغيرهم الفاكهة والنقل . وتعتلى مجموعة أخرى المنصة وتملأ استماراتها . وابن السيدة كيومرث بور نائم على ركبة الطالب المبعوث إلى ألمانيا الذى يفترش الأرض . وأما السيدة نفسها فقد جلست هى الأرض أيضا وعيناها شبه دامعتين لكنهما جافتان وانشغلت مع طالب آخر بتغيير الليرات التركية والماركات الألمانية والفرنكات الفرنسية . وأجلس بجوار سهيلى الجالس بجانب تل أمتعته وأشعل آخر

سجائرى (الروسية) . ولا أسألة عن كيفية خروجة بكل هذا العفش وهل خرج بعملته أو أخذت منه . إن كثرة أسفارة وتجاربه وقضاءه فيما يبدو سنوات في الشركة الجوية الإيرانية ومعاملاته مع موظفى الجمارك وقيادته للرحلات الخارجية قد زاد ذلك من خبراته .

ويقول سهيلي : (تفضل ياسيد آريان .. انتظر لحظة .. نحن الآن لسنا على أى أرض فلسنا فى إيران ولا فى تركيا) يتحدث هذا بسعادة .

فأرد (مبروك)– (ناس بلا أرض ..)

– (ياسهيلي بيه نحن الآن مُشرَّفون داخل صالة الترانزيت التابعة لمنطقة بازرجان)

– (لا .. لا هنا ولاهناك .. فى هذا العالم المجنون . نحن جميعا داخلون ياعزيزى آريان) .

– (لا تحدثنى متفلسفا وحياة أولادك ياسهيلي بيه)

– (لا ياحبيبى صاحب السعادة . هذا هو نفس حالنا . كل البلاد وكل الدنيا حالها خراب وغير مفهوم وغير دائم ..)

– (لا تغضب ياسيد سهيلي . بعد ساعتين يأتى الموظفون الأتراك ويفتحون البوابات ثم تنهض سعادتك وتغادر بالسلامة إلى كراتشى ثم إلى واشنطون . بعد أسبوع يكون كل هذا ذكريات بالنسبة لك وتقول كل شئ داخل حفلات الكوكتيل ..)

– (يفتحون فى الثانية ؟)

– (فيما يبدو)

– (ماذا يأكلون طوال هاتين الساعتين ؟)

– (محشى بكباب الحلة)

ويضحك سهيلى ويخرج سيجارة من علبة سجائره الونستون ثم يشعلها بولاعتــه الذهبيــة التى لا أعرف حتى الآن أين أخفــاهــا ، ثم عــزم علّى (بسيجارة) فقلت إنى إطفيتها لتوّى . ثم قال : (يجب أن أرسل برقية عند وصولى استانبول إلى ابنى فى لندن ليرسل لى حوالة مالية . فإننى فعلا مـفلس . وأنا مـدين لك أيضـا بمال . ولابد لى من بعض المال لنفـقـات السفر إلى باكستان كذلك)

– (قلت ليس معك غير الدولار والاسترلينى)

– (أوه .. نعم فى البنك)

– (صحيح) .

– (أبعث إلى ابنى فى لندن بسرعة لكى يرسل لى حوالة)

ولا أدرى إن كـــان يقـول لى هــذا أو يقـول للســيدة كيومرث بور أو الطالب المبعوث إلى ألمانيا .

– (أظن أنك ذكرت أن ابنك فى لوس أنجلوس)

– (ذاك ابنى – أما هذا فهو ابن زوجتى من زوجها الأول)

– (صحيح)

– (أنه أفضل من ابنى ياعزيزى محبة واتزانا . مهندس بترول . كان يشتغل فى (الأوبك) فى لندن . والآن يشتغل للعربية السعودية) .

– (إذن فـمن هو الذى ذكـرت أنه فى فـيـرجـينيـا ؟ ظننت أنه ابن زوجتك من زوجها الأول)

- (لا ، أنه روبرت ، صهرى ، أمريكى ، تزوج من اينتى هنا فى طهران . وبنتى خبيرة كمبيوتر آى بى ام)

- (اسمها فيرجينيا ؟)

- (لا اسمها فيروزة . وروبرت يعمل الآن عند أخى زوجته وهو ابنى البكر من زوجتى الأولى)

- (من فضلك أعطنى هذه السيجارة لأشربها الآن)

فيضحك ويمد إلى العلبة (صدعت رأس حضرتك الشريفة !)

- (لا ، لكن معدتى الشريفة مضطربة)

- (عندى بعض الجوز والفسدق بأسفل العفش اسمح لى فأنا مستعد لفتحه ..)

- (لا .. لا ، سوف نخرج من هذا المكان سريعا ثم أتناول شيئا)

وحدود الثالثة والنصف أو الرابعة يخرج فى النهاية آخر راكب من ركاب أتوبيسنا من صالة الحدود التركية . وأظن أن أغلب المسافرين لابد أنهم يشعرون مثلى بالجوع والإرهاق ، لكنهم ، وعلى غير المتوقع ، سعداء مستبشرون وفرحون. وعقدت الأحمال والمنقولات مرة أخرى والأتوبيس على أهبة الانطلاق . وأرى عباس أغا مرندى داخل المرآة ، مبتسما وهو يدير محرك الأتوبيس ويجذب إليه يد الفرملة ولا ينطق بحرف . فقط يذكر أنه يوجد على بعد اثنين أو ثلاثة كيلو مترات مطعم كبير فيه الأكل (وكل شئ) ويصفق أغلب المسافرين .

ونتقدم فى داخل الأراضى التركية بعد تناول الغذاء والاستراحة قبل الغروب والجو لا يزال باردا وتتجه الشمس بسرعة نحو المغيب والغروب . ولا

أشعر بأنني في بلد مختلف . نفس نفير الأتوبيسات ونفس المسافرين . السهول والتلال منبسطة وعارية، والتلال المتموجة الشكل هنا هي استمرار لنظيراتها في إيران . نفس الطبيعة هنا . والطير أيضا هائمة وسط الرياح . سهيلي الآن أكثر سعادة ونشاطا . أمسك بورقة وأخذ يحسب سائر النفقات التي أنفقناها مشتركين أنا وهو من طهران حتى الآن وقمت أنا بدفعها مثل العشاء والغذاء وغيرهما . ويكتب الأرقام باللاتينية بخط جميل جدا ويحسب بدقة . ثم يقسم حاصل الجمع على اثنين ويخرج من حقيبته كل مالديه من الليرات التركية ويعطيه لي . وكان قد فك بعضا من العملة وهو بالجمرك ولا أريد أن أخذ منه مالالكنه يصر ويقول الحساب حساب مع العم والأخ. وحين أضع ما أعطاني من نقد داخل حقيبتي يسألني

– (صورة من هذه ؟ أليست أختك ؟) لايكف أبداً عن فضوله .

– (لا إنها ثريا)

– (جميلة جدا . إن شاء الله سوف تتحسن)

– (الأمل في الله)

– (من يدفع تكاليف المستشفى هناك ؟ تأمين)

– (لا أدرى . لابد أن أبحث الموضوع حين أصل . يبدو أن الطلاب يعالجون بالتأمين الصحى طالما هم بالجامعة . لكن ثريا تخرجت من ثلاثة أشهر وكانت تريد العودة حين صادفتها الحرب وأقفلت المطارات . ثم حدثت لها الحادثة)

– (إذا لم يكن لديها تأمين فماذا تفعل ؟)

- (أدفع من جيبى !)

- (عندك هناك عملة صعبة ؟)

- (لا ، ليس عندى شئ . أختى أيضا ليس معها . لابد أن نسوى الموضوع)

ماشاء الله لايكف عن الكلام .

- (صعب .. إرسال النقود) .

وأطرق سهيلى هنيهة ثم يقول : (لابد أن أختك كانت تود من قلبها أن ترافقك فى السفر) .

- (لا يمكنها) .

- (لم يسمحوا لها ؟ أليس لديكم شهادة من المستشفى ؟)

- (طبعا ، كانوا سمحوا لفرد واحد)

- (لماذا لم تسافر أختك بنفسها ؟)

- (أختى مصابة بعرق النسا ، ومقعدة تقريبا)

- (قلت قبل إن زوجها مات)

- (أجل، كان طبيبا بشركة النفط ، أصيب بالسكته والعمر الطويل لك!)

- (الدنيا ماهى الامعبر أيها المحترم آريان)

ويهدينا الطالب الألمانى الباقلاوة ويخلصنى من شر تحقيق سهيلى لفترة.

ونقضى تلك الليلة فى (أرضروم) فى فندق (هيلون) الصغير الذى

يمتلئ بالضوضاء والحشرات ونأخذ أنا وسهيلى حجرة بسريرين يظل فى داخل أنابيب تدفئتها الجنود العثمانيون حتى الصباح فى الحرب والطعان . ويتألف مبنى الفندق من أربعة طوابق أو خمسة به درج خشبى ضيق وغرف متسعة طلقة ، وكان كلما خرج شخص من الطرقة أو صعد الدرج يذكرنى هذا المبنى الخشبى بنواح مذابح الأرمن . وأتناول أقراصى وأظن أننى سوف أنام جيداً ، ونتحرك فى الصباح بعد إفطار متعجل . وينفصل عنا الطالب المبعوث إلى ألمانيا والسيدة كيومرث بور القاصدة باريس وبضعة نفر آخرون من المسافرين فهم سوف يأخذون الطائرة .

ونقضى اليوم التالى بأكمله مسافرين فى الأراضى التركية وننام الليلة الثانية فى (أنقرة) فى فندق لايفضل كثيرا فندق هيلون أرضروم . واليوم التالى بنفس الوتيرة . وكل المناطق التى مررنا بها تماثل مناطق إيران كثيرا ، الطرق المهشمة ، الأشجار العارية ، المدن الصغيرة والقرى ، كمدن إيران الصغيرة وقراها ، أغلبها جميل لكنها غائصة فى الفقر والطين والوحل . الأودية خاوية والحدائق أقفرها الخريف ، وتمتلئ الطرق بالشاحنات العسكرية . ولِبْسُ الجنود من (أحذيتهم) إلى خوذهم وأسلحتهم ومهماتهم العجيبة الغريبة كلها مصنوعة فى أمريكا . كانوا يوقفون الأتوبيس كل بضعة كليو مترات ويفتشون كل شئ . وكان الأتوبيس يتحرك ببطء حينا فى حوالى المدن الأكبر ، لأن ناقلات الجنود والدبابات تروح وتجيء إلا أن عباس أغا مرندى يتوقف مرة كل بضع ساعات حيثما يحب ويشتهى. فهو محب للبشر والانطلاق ويعجبنى هذا فيه كثيرا . كنت أود أن أعرف ماعنده فى طهران خلفنا وأى حياة يمضيها ، أو أضيفه

ليـــلة فى مكان ما بأى شئ :

ليلة بالمنزل ومائة بالغربة / إلام تجرنا أيها الاتوبيس الذى لا أب لك . حيناً كـان يغنى هذا البيت الشـعرى بلحن أغنيـة (هايدة) ويرد عليـهـا مشاركان حين تغنى : فى بداية غرامنا كم كان حديثنا شاعريًا .

على أية حال يصل بنا بعد ثلاثة أيام من السفـر بأى شكل ونحن فى غاية التعب والإرهاق إلى آخر نقطة لنا فى تركيا أى استانبول ويعود من وجهته مسافرا أيضا .

نزلنا فى بداية الليل أمام جاراج (تى بى . تى) باستانبول فى جزء مزدحم من المدينة ويغصّ بالفناق الكبيـرة والصـغيـرة . واختـفى كل من المسافرين تحت ضباب الليل بعجلة أو بتأن . وندخل أنا وسهيلى ، كما كنا بالسفر ، فندقا صغيرا قريبا من الجاراج وقابلنا أناس ذوو أدب وحلاوة طبع وظرف كـأغلـب الأتراك ، وحين أدركـوا أننا إيرانيـون عـاملونا بحب ولطف وأنزلونا بحجـــرة بهـــا سـريران (فخمـان) . والحجرة تتسع كثيرا عن غرفة التليفون . لكن الشئ الوحيد الذى أريده بعد حمام طويل هو أن أروح فى سبات عميق طويل .

- ٤ -

فى ظلام الليل كنت بالدور الأول من المستشفى رقم ٢ لشركة النفط الوطنية الإيرانية ، فى عبدان بقسم العيادات خلف المكتب الذى كان لفترة غرفة مدير المستشفى أو كما يعرف بـ (ward Master) . أتوا بنا الليلة مؤقتا إلى الغرفات المطلة على مجمع الماء لبعدها فيما يبدو عن طلقات الرصاص ودانات مدافع الهاون . ومع أن حالتى أفضل الآن إلى حد ما وكنت أعاون أثناء النهار حتى بضع ساعات فى حمل الجرحى ونقلهم أو حمل الموتى أو دفع نقالات المصابين والكراسى ، لكن الصداع المؤلم بدأ منذ عصر اليوم فى جعل رأسى ثقيلة وأذهب لأمدد جسدى . بعد ذلك فى الغروب حين أخذ العراقيون يضربون مجمع النهر بالصواريخ من الطائرات العمودية وتحطم أغلب زجاج الأبواب والنوافذ فى هذا القسم من المستشفى ،

ظلت أصوات الانفجارات الهائلة تلف طوال الليل داخل رأسى . تلك الليلة ذاتها السوداء التى أصابت فيها قنبلة ابنة السيد (كاتوزيان) أمام منزلها وهى بداخل سيارتها ، وأتوا بها بعد ذلك إلى الغرفة المجاورة بعد أن قطعوا قدمها .

كانت الليلة بطولها عاصفة وظلت تزمجر خارج النوافذ الرياح الشديدة الهادرة ، بينما تعالى عواء الكلاب من مكان واحد ، وتدخل الرياح والمطر علينا من خلف الشبكات الحديدية والزجاج المكسور ، ولا تجدى أوراق الصحف والكرتون التى ثبتناها على النوافذ . وكان تبادل النيران شديدا يسبب الغشيان حينا خاصة فى الطرف الأيمن للمبنى الذى لا يبتعد كثرا عن الشاطئ والحدود العراقية . وأتمدد وقد تجرعت كثيرا من الأقراص فى الظلمة بلا حس ولا حراك ، لكن النوم يجافينى وأسمع أصوات العاصفة والقنابل والمدافع وحينا تختلط فى بعضها الأصوات بحيث لا يميز السامع بين انفجارات المدافع والصواريخ زمجرة الرعود . وحينا يضئ أغلب الحجرة برق شديد خلف النافذة . وأرى المطر والدخان كأنهما معلقان بسماء المدينة الملتهبة التهابا بين أشجار العرعر . ولا تكف بنت كاتوزيان التى لم تمر أكثر من بضع ساعات على عمليتها الجراحية عن صراخها إذ علمت أن فوق قطع قدمها قد قتل أبوها وأصيبت أمها فى بطنها بشظية من قنبلة.

وتشتد العاصفة بعد منتصف الليل ويدخل المطر فى خرير الغرفة ، ولابد أن الغرفة المجاورة أسوأ حالا لأن بضعة المرضى بها ومنهم ابنة كاتوزيان نقلوا إلى الطرقة . وهدأ قصف المدافع وتبادل النيران الشديد بعد ذلك لكنه مايزال يسمع أصوات طلقات الرشاش والمدافع فلا تزال الحرب دائرة حتى فى جنح الظلام . وأشعر بالآلام تجتاحنى والنوم غادرنى بسبب أقراص

الصداع ، لكنى أدرك أن آلامى أمام معاناه ابنة كاتوزيان المعذبة لا تعد شيئا، فقد استمرت نوحاتها الهيستيرية الفاجعة وهذيا نها وصراخها باللغة الأرمنية طول الليل .

وفى صباح يوم الجمعة ٧ آذر ١٣٥٩ هـ . ش الموافق ٢ نوفمبر ١٩٨٠ م فى مدينة استانبول بفندق أبرولار ذى الثلاثة نجوم ويجوز أنه أربعة نجوم فى شارع مصطفى كمال لا تجد خبرا عن انفجارات عبدان ومآتها وشهدائها . وانتهت أيضا أصوات محرك أتوبيس (تى بى تى) ولغط ركابه وصوت عباس أغا مرندى وليس غير وهاب سهيلى الذى نهض من نومه على السرير الذى بجوارى وغسل وجهه ورأسه وحلق لحيته لكنه أبقى على شاربه ملمعا وأخرج من حقيبته ملابس فاخرة وتهيأ على أبهى منظر ، وأخذ يمشط شاربه أمام المرآة ، وكان يتنغم من تحت شفتيه بصوت خافت ناعم متوافقا مع حركات يده بالمشط .

وحين رأى أنى صحوت ألقى عليه تحية الصباح ثم قال :

– (أى صباح جميل هذا .. ياسيد آريان . اسمح لى أن أتناول معك إفطاراً محترما فى مدينة استانبول الرائعة) .

– (صباح الخير . على عينى)

– (إفطار محترم ، لا زبالة مثل الزبالات التى كنا نأكلها داخل تلك المقاهى التى كان يقف بنا عليها بالقوة الحمار عباس أغا)

– (موافق) ثم أسأله (لابد أن أسارع بالذهاب الى مكتب الطيران الوطنى الايرانى) .

(اليوم الجمعة . هل يعملون ؟)

- (يعملون اليوم ، فأيام الأحد هنا هى أيام العطلة)

- (إذن لابد من الذهاب حالا) وأقوم وأجلس .

- (كيف حال ر أسك يا سيد آريان ؟)

- (بخير)

- (البارحة كنت تقوم فازعا كثيرا من نومك - هل كانت أحلامك مفزعة ؟)

- (لا شى)

- (كانت أنفاسك تتردد داخل صدرك ، وكأن نواحا طويلا كان يفزعك من النوم - فعلا كان ينهضك من فوق الوسادة)

- (آسف ، أزعجتك)

- (لا ، معذرة ، وأنما هذا هدية قتال عبدان)

- (ماهديه قتال عبدان ؟)

- (هذه الكوابيس وهذا الفزع فى النوم)

- (بعضها .. كيف حالك أنت ؟)

- (بخير ، أشكرك) .

ولم أتفوه بكلمة عن أحلامى . بلغ الحال بى بسبب الليالى الأولى للحرب بداخل المستشفى أننى لم أكن أقوى على و ضع رأس على الأرض ولا يبدأمخى الملعون فى الهياج . ويسترسل سهيلى : (أنا تحت أمرك ، لى معارف هنا أيضافى الخطوط الجوية الإيرانية) . وأتذكرأنه قال أنه أمضى

زمنا يعمل فى هذه الخطوطوغيرها ، فأرد (قيل لى فى طهران أن الخطوط الإيرانية اتفقت مع الخطوط التركية أن تنقل مسافريها عبر أوربا ، يجب أن أتحرى هذا الموضوع) .

فقال (يمكن أيضا أن نستفسر عن هذا الموضوع من موظفى الخطوط الإيرانية، فأنا أعرف بعضهم هنا . وأنالى سابقة فى هذه الأمور . وعلى أن أحجز تذكرتى لكراتشى . تأشيرة دخولى أمريكا جاءت فى القنصلية الأمريكية بها . حصل عليها لى أصدقاء من واشنطون . لكنى لست متعجلا لكن بما أن سيادتك على عجلة ويجب أن ترى قريبتك المريضة فى باريس فنبدأ بك أولا)

- (شكرا لك)

- (لكن نفطر أولا إفطارا شهيا معك !)

- (أتحب أن تطلب أن يصعدوا بالإفطار لنا هنا ؟)

- (لا ياعزيزى ، تفضل وارتد ملا بسك وننزل إلى المطعم .. عدنا الآن إلى الحضارة !) وبعد ساعة تقريبا ، بعد تناول عصير الفاكهة وثلاث بيضات محمرة مع المقانق والطماطم والخبز والزبدة والمربى والجبن والقهوة التركية الكثيرة تحسن حال سهيلى (وله معدة تهضم الحديد كما يقول) كثيرا عن أول مرة . وأتى معه أيضا بآلة تصوير أفلام نصف متر ماركة (كانن) واستفسر من عامل الفندق عن محل بيع الأفلام (السوبرايت) ، قلت له (الأفضل يا سهيلى بيه أن نسرع بالخروج إلى مكتب الطيران الإيرانى)

- (أجل ، أنافى خدمتك)

- (هل تعرف عنوانه ؟)

- (لا أذكــره الآن ، لكن بمقــدورى أن أســال عنه مكتب الاستعلامات بالفندق أو من داخل دليل التليفونات . ثم نخرج . وأريد أن أشترى فيلما أو إثنين من السوبرايت ، فمناظر هذه المدينة جننتنى ، ولم يكن لدى فرصة فى المرات السابقة لكى التقطها ، لكن هذه المرة ليس لدى غير الوقت ..)

- (تفضل نمشى) .

ويقع مكتب الطيران الإيرانى فى شارع (الجمهورية) ، فنستقل إليه سيارة أجرة .

ومع سهيلى حق ، فالصباح جميل وصاف ، ويصعد بنا التاكسى من شارع (الشعب) داخلا شارع أتاتورك ، وبعد عبور كوبرى أتاتورك يتجه إلى شارع الجمهورية . وعلى حافتى الماء وقفت الأبنية الشاهقة المتينة بطرزها المختلطة المتداخلة من الشرقية والغربية ، القديمة والحديثة (من الحضارات العثمانية والبيزنطية والرومانية والحضارة الأتاتوركية وناطحات السماء الأمريكية) وقف كل منها بجوار الآخر .

وفى الناحية اليمنى منا يقف كوبرى (غلطه) ، وبعده ، مضيق البوسفور يمتد بهدوء تحت السماء الزرقاء التى يعلو بها قليل من السحاب السميك الأبيض . ما أجمله ، لا يضيرنى لو مكثت هنا أياما أخر لو لم يكن فكرى مع ثريا بالمستشفى فى باريس .

ولما نصل مكتب الطيران الإيرانى كانوا قد فتحوا من فترة . لكن

المكتب خال صامت ساكن ويأخذنى سهيلى بعد السلام والتحية واحتضان كل الموظفين تقريبا إلى موظف جالس لا يعمل وأمامه جهاز كمبيوتر (U.R.Y.) ، فيسلم عليه ويحتضنه أيضا .

- (لا تذب الذباب أو تجلس بلا عمل أيضا ياسيد آذرى ، هه)

- (لا يا سيد سهيلى .)

- (السيد آريان له خدمة عندك)

- (آه ، على عينى) يقولها آذرى بلهجة تركية جميلة ، وقد ارتدى بذلة فاخرة جدا من الجباردين ، وقميصا أبيض بياقة منشاة لامعة ورباطة عنق (كريستيان ديور) . ومسبحة جميلة من الكهرمان بين أصابع يده اليسرى .

قال سهيلى (مسافر إلى باريس ومعه تذكره الطيران الإيرانى ، وقالوا له فى طهران إن اتفاقا عقد هنا فيما يبدو على أن تنتقل الخطوط التركية من معهم التذاكر الإيرانية ، فلو تفضلت بحجز مقعد له)

ولايقول آذرى غير (من فضلك التذكرة والجواز)

فأعطى آذرى الجواز والتذكرة فيأخذهما ويتفحصهما (التذكرة مخفضة أربعين بالمائة من شركة النفط) ويهز رأسه . ويذكر سهيلى بعض كلمات من ورقة الموافقة على سفرى إلى باريس . ثم ينظر آذرى إلى ويسألنى (متى تسافر ؟) فيرد سهيلى (السيد آريان يود السفر بأسرع ما يمكن)

وأقول (اليوم إذا أمكن ، وليس علىّ غير أن أعود إلى الفندق و أحمل

حقيبة ملابسى) ويرد آذرى (عندهم طيران كل يوم فى الساعة الحادية عشرة والنصف والثالثة والنصف إلى باريس) .

- (اليوم الثالثة والنصف مناسب جدا)

ويرفع آذرى سماعة التليفون.

وحينما كان سهيلى يثرثر مع موظف آخر فى أحد الأركان يحجز آذرى مقعدا لى بمكالمة قصيرة بالتركية والانجليزية . رحلة THY 616 (شركة الخطوط التركية) بوينج ٧٢٧ التحرك من مطار (يشيلكوى) باستانبول الساعة ١٥/٣٠ ظهيرة اليوم بلا توقف ، الوصول إلى مطار أورلى الساعة ١٨/٥٥ بعد ظهر نفس اليوم . ويكتب هذه المعلومات على ملصقة برتقالية اللون ويلصقها بتذكرتى ويختمها ويقدمها إلى بكلتى يديه .

يقول ضاحكا (أوكى ؟ ..) وتأخذ الأمور من لحظة إلى أخرى إيقاعا أشد حماسة .

- (تمام ؟)

- (مع السلامة)

- (ممنون)

- (جعلت فدا سعادتكم)

- (هل من مقررات أخرى ؟ تسليم الجواز ؟ إذن بالخروج ؟)

- (لا ياسيدى . هنا لا يعرفون هذه الألاعيب الروتينية المدوخة)

- (هل المطار بعيد من هنا ؟)

- (على بعد عشرين تشيلو متراً .. تأخذ تاتشيا)

- (أوامر أخرى ؟)

- (أن تسافر إلى باريس بأقصى ما يمتشن)

- (إن شاء الله)

(مع السلامة سيادتش)

- (شكرا ياسيد آذرى)

وحان وداع وهاب سهيلي أيضا . ويضغط سهيلي على يدى بداخل يديه ويتمنى لى من صميم روحه وقلبه أن تتحسن حالة بنت أختى برحمة الله الرحيم المعين . ويوصينى بوصايا كثيرة أخرى ويتمنى أن نكون على اتصال فى المستقبل حين يسافر إلى أمريكا وأعود أنا إلى إيران . وحين نريد أن نتبادل العناوين للاتصال مستقبلا نجد أن ليس لنا فى هذا الوقت عنوان أو مكان على الحقيقة . فأنا شردتنى الحرب ويحتمل ألا أعود إلى عبدان حيث بيتى بشركة النفط . ووهاب سهيلي قد هاجر من وطنه وعليه فلا عنوان لى فى هذه الدنيا غير بيت أختى فأعطيه له ويقبلنى . وتشع شعرات حاجبيه السوداء والبيضاء وعيناه البنيتان الفاتحتان . ولا أصدق الآن أنه وضع فى بطانة معاطفه وجاكتتاته القديمة (٣٨٠ ألف جنيه استرلينى) شيكات سياحية وأوراق الدولار النقدية . كما لم أكن أصدق أن تأشيرة أمريكا كانت تنتظره فى القنصلية الأمريكية فى كراتشى ، كما لم أكن أصدق أنهم انسالوا داخل بيته عليه وحبسوه فى (أوين) . وبعد احتضان يودع أحدنا الآخر .

وأعود بتاكسى إلى الفندق ، بعد دفع الحساب وحمل حقيبة ملابسى

الصغيرة أصل للمطار مبكرا نحو ثلاث ساعات . وفى مطار يشيلكوى يقال لى فى أحد شبابيك (الطيران التركى) أن رحلة الطيران رقم ٦١٦ المتجهة إلى باريس سوف تتحرك فى الثالثة والنصف . وأنا أول مسافر يراجعون أوراقى قبل الطيران وبعد هذه المراسم أدخل صالة الترانزيت . وأتحدث بالهاتف من إدارة الاتصالات الصغيرة بالمطار إلى (فرنجيس) وأعرفها وقائع سفرى ورحلة طيرانى وأنى سوف أصل باريس السادسة مساء ذاك اليوم ويسعدها ذلك وأعدها أنى سأعيد الاتصال بها بعد أن أرى بعينى ثريا .

وأشعر أنا نفسى سريعا بالاطمئنان . ولا يبقى غير ساعتين على الطيران وأذهب إلى فرع البنك وأغير كل ليرة تركية ونقد إيرانى بقى بجيبى إلى فرنكات فرنسية . ثم أشترى كتابا من مكتبة صغيرة بصالة الترانزيت . رواية (كلاب الحرب) تأليف فردريك فورسايت الروائى الإنجليزى . وأجلس فى ركن أحد المطاعم العديدة وأتناول فنجاناً رائعا من القهوة التركية المُرّة وأشغل نفسى . وفى الثالثة ينادى على مسافرى الرحلة ٦١٦ . وبعد أن يصف اثنان من موظفى الخطوط التركية سائر المسافرين ويحافظا على استعدادهم يراجعان كروت الصعود ويصحبانا فى طابور واحد وسير منتظم إلى بوابة الخروج رقم ٢٦ وإلى داخل الطائرة . وفى الثالثة والنصف تماما ترتفع الطائرة بهدوء وترسل الشمس الزاهية والحارة بأشعتها من النافذة الصغيرة والبيضاوية الشكل . الجو صاف والسحب تتعلق بأسفل والأرض بأسفل منها . وعلى ارتفاع اثنين وثلاثين ألف قدم عن الأرض يصفو الهواء دائما . وحين نعبر سماء بلغاريا ويوغوسلافيا يقدم لنا وجبه للغذاء طيبة تشمل مشهيات الأطعمة البحرية والدجاج والأرز المفلفل مع القهوة

الممتازة والساخنة ، وبعد الغذاء أخرج كتاب (كلاب الحرب) وأبدأ فيه . ويدور فيما يبدو حول بضعة نفر من العملاء العسكريين المستقلين الدوليين الذين انصبّ عملهم على التعاون مع المسؤلين الإنجليز وقلب الحكومات الإفريقية الواهية . لكن لا أستطيع أن أركز فكرى وأمضى متزنا إذ يضغط تفكيرى فى ثريا بشدة على مخى كله .

ونعبر فى وضح النهار سماء النمسا وألمانيا .

وفى ضوء الشمس وقت الصباح يؤتى بالجثث إلى قسم الأطفال الذى انقلب الآن إلى صالة طوارئ المصابين ، جثة عباس ومرتضى والباقين . كل منهم فوق نقالة مستقلة. وأدفع أنا نقالة مرتضى إلى حجرة العمليات . وكان الدم لا يزال يتدفق من حلقه .

وهما أخوان أرسلا من تعبئة للمستضعفين بأليكودرز إلى الأهواز . كانا قد تلقيا تدريبهما فى اللواء الثالث للجيش فى (كمبلو) لمدة ستة أسابيع . عباس ومرتضى شبستانى ، كان عباس فى التاسعة عشر وقد عشق الاستشهاد ، فترك عمله كصبى ميكانيكى ودخل الخدمة العسكرية . وكان مرتضى يصغره بثلاث سنوات ترك السنة الثالثة فى المرحلة الإعدادية كان يحب كثيرا أخاه وكان يتأسى بعباس أخيه فى كل عمل يعمله فالتحق مع أخيه الأكبر بجيش العشرين مليونا . وفى الثالث من شهر مهر دخلا عبدان وكانا يخدمان فى لجنة مسجد زنكوبى بالقرب من إدارة ملاحة جمرك عبدان . وفى ليلة التاسع عشر من مهر كان مهر عباس ومرتضى وبرفقتهما أربعة حرس آخرون فى التحصينات أمام حديقة المنزل رقم واحد فى (بريم) بمواجهة نادى النفط على شاطئ النهر .

وكان هؤلاء الجنود الستة يتناوبون الحراسة كل ثلاث ساعات . وكان مرتضى وحارسان أكبر سنا منه من لجنة (حسينية أصفهانيها) يقومون بالحراسة من التاسعة حتى الثانية عشرة ليلا بالرشاشات (ج ٣) و الـ (آربى جى سبعة) والقنابل اليدوية . وكانت ليلتها من الليالى المحتمل إمكانية هجوم العراقيين فيها على قطاع النهر . لكن حتى منتصف الليل لم تقع حادثة إلى حد أن مرتضى كان غلبه النوم وهو بداخل تحصينه وهو ينتظر تغيير نوبته فى نصف الساعة الأخير ، جلس على ركبتيه والرشاش فى يده وقد أسند رأسه نائما على رشاشه . وكان رفيقاه الآخران فى التحصين متيقظين مفيقين مع أنهما كانا يشعران بالتعب فى الدقائق الأخيرة ، أحدهما نجف كريمى ولد رقيق من أحمد آباد ، وكانت عيناه على مبنى قاعة (أنكس) التى كان الجنود فى المطبخ يستقرون وراءها . كان نجف ينتظر عودة المناوبين الذين سوف يتسلمون دورهم منهم .

ولم تبق غير دقيقتين أو ثلاث ويبلغ الوقت الثانية عشرة منتصف الليل حين كان مرتضى لا يزال نائما . ويرى نجف ظلالاً تتحرك فى الظلام . تظهر الظلال أولا من خلاف السور الكبير الآجرى لأنكس ثم تتقدم متسللة من ناحية أشجار البقس بموقف السيارات . يعرف هياكل رفاقه وهيآتهم . عباس شبستانى فى المقدمة ثم يتلوه سيد مصطفى خبازى ثم جعفر جراغى. انتهى الانتظار الطويل والمرهق . ويضرب نجف على كتف مرتضى شبستانى بمرفقه (استيقظ ، أتوا) . وفى ثانية واحدة يقوم مرتضى من نومه مبهوتا فزعا (أتوا ؟) (نعم ، لا تخف ، وراءنا ، تحت البقس !)

ويتقهقر مرتضى ويطلق نيرانه ، ويستشهد الجنود الثلاثة بتتابع طلقات

رشاشه (ج ٣) أولهم أخوه عباس .

فى ذلك اليوم فى الصباح الباكر تأتى الجثث الثلاثة إلى المستشفى وأرى مرتضى لأول مرة فكان من بين الجرحى حاول أن يقطع عنقه بخنجر. ولد صغير السن لم يبلغ حتى السادسة عشر ليس غير الشعر الناعم أسفل أذنيه .

ويعزى أحد أخوة الجهاد مرتضى ويطمأنه أنه لم يكن مقتصرا فى نظر الله وحكمه ورحمته وبلغ أخوه بإرادة الله فيض الشهادة .

والطريق الوحيد الذى يمكن مرتضى أن يلحق بأخية عبّره هو أن يلقى الشهادة فى سبيل إفناء الكفار البعثيين ويدخل الجنة .

— ٥ —

نهبط بمطار (أورلى) والوقت مقبل على الظلام . وبعد أن ندخل أنفاق المطار أتتبع متعجلا اللافتات المكتوب عليها بالفرنسية (الوصول) . قلبى يدق بشدة وبدور وسط عقلى شئ كعجلة طاحونة تآكل حجرها . وأصل إلى قسم مراقبة الجوازات . وحضرت الاستمارات التى ملأتها بعد أن أعطوها لى فى الطائرة وجواز سفرى وبه تأشير الثلاثة شهور المعتمدة لدخول فرنسا . ويراجعها ضابط الجمرك . كل شئ مضبوط ؛ لا يسألنى سؤلا ويوقع على الجواز ويختمه وخاتمه تك ، تك . انتهى (مرسى مسيو !) ولا أتأخر ثانية . وبعد هذه المراسم أدخل القسم الأمامى للصالة والتقط حقيبتى الصغيرة من قسم الأمتعة . وأخرج قبيل الغروب . الجو بارد وتلطم وجهى ريح آخر الخريف الشديدة الباريسية . وأتجه من أمام نفق المطار نحو

موقف التاكسيات حين أواجه السيد (نادر بارسى) الشاعر والمؤلف والمترجم والكاتب المسرحي والفنان المسرحى والسينمائى الإيرانى. وكان فى طريقه الى دخول صالة المطار ومعه زوجته الممتلئة ، وأعرف بارسى فى طهران من سنوات مضت سنوات بعيدة جداً ، وبيننا علاقة طفيفة ، ونتصافح، وبعد التسليم والترحيب يقدمنى الى زوجته (سارا) ويقول إنهما أتيا لاستقبال أخت زوجته القادمة من أمريكا . وقد لبس كلاهما ملابسه الفاخرة ، ارتدت زوجته معطفا من الفراء أسود ورماديا وقبعة كاردينالية . أما بارسى فقد ارتدى معطفا طويلا جلديا أسود وكاسكته ذات زغب وأنا بمعطفي الشمعي القديم الشبه العسكرى لا أزيد عن الشيال المهلهل الذى يحمل حقائبهم ، وأبدأ فى وداعه .

– (حسنا يا نادر) .

– (هربت أنت أيضا بجلدك ؟)

– (نعم)

– (إلى اين أنت ذاهب ، أين محل إقامتك ؟)

– (أنا فى طريقى إلى المستشفى ، ولا أعرف فى الحقيقة محلا للإقامة)

– (المستشفى ؟)

– (بنت أختى وقع لها حادث تصادم وهى فى غيبوبة منذ أيام عديدة وحالتها سيئة وانفطر قلبى عليها فأرسلونى لأرى ماذا نفعل)

– (كيف سمحوا لك بالمغادرة وسط ظروف الحرب وإغلاق الحدود هذه ؟)

- (الحمد لله)

ويضحك بارسى قائلا (حسنا ، أتمنى أولا أن تتحسن حالة بنت أختك ياجلال ، وأظنك الآن على عجلة من أمرك ، أنظر هذا رقم هاتفى .. خذه واكتبه فى أى مكان فى دفترك . واتصل بى غدا عصرا) .

يذكر لى الرقم وأدونه بظهر غلاف تذكرتى

- (وهو كذلك)

- (على عينى)

- (الإيرانيون هنا كثيرون ، تعال وتعرف عليهم)

- (طبعا)

- (نقعد معا بعضا من الوقت لنجدد ما مضى ، ربما ضحكنا قليلا ، ولماذا لا نضحك ؟ ما شى ؟)

- (ماشى)

ثم يقول بارسى (انظرى ياسارا ، الشئ الوحيد الذى يعرفه هذا الرجل فى هذه الدنيا ماشى وعلى عينى ، ولو قلت له ياجلال آريان إحمل على رأسك جوال مسامير واصعد قمة جبال قاف لأن هناك رجلا يلزم تابوته مسمار لقال لك : ما شى ، على عينى .. فتعالى لنراك)

وأسأله (هل ترى ، ليلى آزاده ؟)

- (نعم ، ليلى موجودة هنا أيضا مع أنها كانت مريضة لفترة ، لكنى سمعت أنها عوفيت وغادرت المستشفى)

- (حسنا لابد أن أترككما) .

– (إذن لابد من الاتصال بنا بالهاتف)

وتقول زوجته أيضا (أجل لابد من الاتصال)

– (على عينى)

– (أراك ..)

– (مع السلامة)

ويدخل هو وزوجته النفق وأبحث عن موقف التاكسيات ويبدأ قلبى فى الخفقان وتنتابنى حالة من الضعف . وأسرع وآخذ تاكسيا واذكر اسم المستشفى للسائق ، والبقية معروفة .

– (مستشفى ڤال دى جراس ، من فضلك)

– (أجل ياسيدى)

وحقيبة يدى وملابسى صغيرتان ولايلزم وضعهما بشنطة السيارة ، ولا يتطلب هذا التاكسى ذو المقاعد الأربعة مسافرا آخر فافتح الباب ويتحرك .

وجثم الآن الغروب على باريس وأخذت قطرات المطر تتساقط ويسرع سائق التاكسى ولا أعرف مساره ، لكن بعد مدة ندخل منطقة مرور مزدحم ، وبعد نصف ساعة تقريبا أتعرف على شارع (مونپارناس) وبعد بضع دقائق يقف التاكسى على مقربة من المستشفى وأشعر باضطراب الضعف بداخلى. ويدلنى السائق على مدخل المستشفى فى تقاطع شارع (مونپارناس) وشارع (سان جاك) . وأجره التاكسى بضعة وستون فرنكا فأعد سبعين وأعطيها له وأشكره .

ويشبه المبنى الأصلى للمستشفى كأنه كنيسة أو قصر عتيق ، بقبته السوداء على الطراز القوطى وهو واقع تحت ظلال النور الكهربائى الذى ينيره بنحو غير مباشر وتحت المطر ، يشبه مبنى فى أفلام « (الفريد هيتشكوك) التى تمتلى إثارة أكثر من مستشفى . وأنا بدورى فى تلك اللحظة بمظهرى وشكلى المتشرد ، وحقيبتاى بيدى لايبدو على منظر السعادة التامة أو الجاذبية .

وبالسؤال والاستفسار أصل فى النهاية إلى مكتب الاستعلامات . تجلس ثلاث من النسوة بالغرفة وأفهمهن بفرنسيتى العاجزة من المريض الذى أريده ومن أكون ومن أين أتيت ولماذا جئت .

وتستمع إلى كلامى هذه المخلوقات الثلاثة وإحداهن راهبة . ثم ينظرن إلى باهتمام متزايد وكأنى هبطت من المركز العام لبلايا الأرض والسماء فى العالم خاصة حين يسمعن أنى خرجت من إيران بالأتوبيس . وفى نفس اللحظة تدخل إمرأة كبيرة السن أخرى بلباس الممرضة أحاطت كأهلها بمعطف أرجوانى ويبدو أنها أنهت عملها وتريد الانصراف . فتشير واحدة من هذه النسوة الثلاث فى مكتب الاستعلامات إلى نحو هذه الممرضة الداخلة توا وتقدمنى إليها بأنى (السيد القادم من إيران) و (خال المريضة التى فى الغيبوبة .) .

والممرضة السنة ، جورجيت لوبلان ، ممرضة القسم الذى تعالج فيه ثريا . فتقول أيضا (يا إلهى) وتبادر إلى تحيتى . ثم تقول أن ثريا للأسف لا تزال فى غيبوبة إلا أن الدكتور (بول مارتن) أنهى علاجه لها . مضت ثلاثة أسابيع على حدوث هذه (الحادثة المأساوية) وهم لم يعلموا بالضبط

حتى اليوم دقائق حدوث الواقعة ، يبدو أن ثريا سقطت على الأرض بدراجتها واصطدمت على أثر انزلاقها بأسفلت الشارع . أو ربما وقع لها حادث تصادم وإن كان يبدو هذا للنظر بعيدا لكنه (محتمل) . قال سائق السيارة التى وجدها وقص ما رآه أن هذه البنت الشابة أغمى عليها ولم تصب إلا بجروح سطحية فى جبينها وصدغيها . ويأتى بها هنا فى تلك الليلة (مدام كريستيان) و (مسيو فيليب شارنو) وهما من أصدقاء المريضة وكان عنوانهما فى حقيبة يدها . وكانا فى الأغلب فى تلك الفترة يقومان بزيارتها . وأقول (أجل سمعت باسميهما) فهما ممن أخبروا أختى بالواقعة .

وتعرف جورجيت لوبلان بهذه الواقعة ، لكن ، أوه هذا محزن جدا أن ثريا لم تفق أبدا لكى تشرح بنفسها ما حدث لها ، يا للأسف ، أليس هذا مفزعا ؟ كيف الحال الآن ؟ نفس الحالة ، ياللأسف . نفس الظروف . وأود إن أمكن أن أرى ثريا ولو للحظة الليلة وأعلم أننا فى وقت متأخر لكنى قطعت خمسة آلاف كيلو متر سفرا لهذا الأمر وتوافق جورجيت بحب وتفهم وتسوقنى إلى هناك بنفسها . وأضع حقيبتى فى جانب وأمشى برفقتها .

وفى طريقنا فى المصعد حتى صعودنا الدور الثالث تتحدث جورجيت بانطلاق حول الإغماء وأسبابه والظروف المختلفة لمريض الإغماء وآثاره الجانبية على جسم المريض ويتبدل القلق والهبوط الذى تجمع فى صدرى منذ دخولى فرنسا فى لحظة إلى موجة من الألم الذى لا يمكن تقريبا تحمله حين أدخل حجرة ثريا وأتقدم إلى سريرها ... لحظة الواقع المر .

كانت ثريا هناك ، أو من كانت يوما بنتا شابة وجميلة هناك ممددة على سرير بجانب الحائط بعيدا عن الشباك . ولا يظهر غير وجهها وأحد

ساعديها من تحت المحفة والبطانية . وجهها ممتقع شاحب . بدت بأسفل حدقتي عينيها المغمضتين حلقات زرقاء وسوداء . استند ساعدها الهزيل الطويل إلى الملحفة . ساكتة صامتة لا حراك بها .

إبرة المحلول تصل بعرق بوسط ساعدها ومن جنبها تخرج أنبوبة أسترة البول وتنتهي بكيس من (النايلون) بأسفل سريرها ويمتد من أنبوبة الأوكسيجين لسهولة التنفس خرطوم ضيق يدخل القصبة الهوائية من أنفها . واشتد تساقط المطر خارج النافذة وأخذ يضرب النوافذ . ولا أسمع بعد صوت جورجيت لوبلان. وأتقدم وألمس يد ثريا . يدها باردة كالقدح الصدفي السميك الصلب . لا أتصور وجود ضغط الدم أصلاً أو حتى الدم ، لكن نبضها يدق بسرعة . وانحنى وألثم جبهتها الباردة . فى تلك اللحظة لا أتذكر فرنجيس أختي .. ينحصر كل فكرى فى هذا المخلوق . ويحترق شئ داخل عيني وأحاول أن أسيطر على نفسي .

وأعود وأنظر إلى الممرضة ، فتقول (محزن جدا أيها السيد .. أعلم ذلك)

فأرد عليها : (شكرا يامد موازيل لوبلان. هل يمكن أن أقوم بشئ الليلة ؟)

– (لا لا يمكنك أن تأتى بالغد وتتحدث مع الدكتور مارتن) . وترتب معطفها على كتفيها وتغادر الغرفة . (تعال صباح الغد)

– (حاضر ، لا بد من المجئ بالغد وسوف أقوم بدفع تكاليف العلاج)

– (لا أتصور قط أن هذا أمر عاجل واضطرارى لا أظن ذلك . ملأت مدام ومسيو شارنو استمارتها تعهد وضمان . سوف أعطيك تحت عنوانهما ورقم تليفونهما .. إذا لم يكونا معك بالطبع)

– (شكرا . معى العنوان ورقم التليفون)

ونقابل بالمصادفة فى الطابق الأول الدكتور مارتن الذى قدم بسبب شكوى بعض مرضاه وتقدمنى جورجيت لوبلان إلى الدكتور .

– (دكتور مارتن ، لو سمحت أقدم إليك السيد آريان خال المريضة المغمى عليها ثريا أتى الآن من إيران . السيد آريان ، الدكتور مارتن)

ويمد الدكتور مارتن يده إلي (آه ، كيف حالك ، سعيد بمقابلتكم !)

– (وأنا أيضا يادكتور)

– (مرحبا بك في فرنسا)

– (سعيد بمقابلتك يادكتور)

ومارتن رجل في الأربعين أو الخمسين قصير القامة نصف أصلع كثير الكلام مثل جورجيت لابلان وكسائر الفرنسيين ويبدأ بسرعة في الحديث حول وضع ثريا وظروف مريض الإغماء عموما . ولا أفهم أغلب كلامه ، ولا يرجع هذا إلى أن معرفتى بالفرنسية سيئة وحسب بل لأن لم يتبق لمصباح عقلى وشعورى تلك الليلة أدنى زيت . أتيت طوال هذا السفر من ميدان الحرية ومحطة طهران التى تضرب فيها الفوضى والتشتت حتى مستشفى دوفال دوجراس بأمل واه. أما الآن فقد فقدت ثانية خاصية السمع والحواروالتصرف كالبشر والتفاهم معهم . وليس الدكتور مارتن بالذى يكف عن الكلام الآن . وبعد أن يذكر أنه على اطلاع تام بحالة إصابة مخ ثريا ودرجتها ، يظهر أن مثل هذه الحالات ليس لها وضع خاص ، وكل عامل يمكن أن يؤثر في تغيير حالة المريض .

ثم يسألنى : (هل صعدت ياسيد آريان ورأيت ثريا أم لم تصعد ؟)

- (صعدت يادكتور)

- (هل أحسست برد فعل لديها ؟)

- (ما قصدك يادكتور ؟)

فتحدث الدكتور بالإنجليزية قائلا (هل أمسكت يد ثريا وتحدثت معها؟)

- (أجل يادكتور ، فعلت هذا)

- (هل بدا منها رد فعل ؟ أو أصدرت حركة ؟)

- (لا أظن)

- (هل أنت متأكد تماما ؟)

- (لا أظن أنها شعرت بشئ - أو على الأقل لم أنتبه إلى شيء)

- (إصعد فوق من فضلك وكرر هذا الفعل في وجودى . وأحب أن أسجل هذا المنظر بجهاز SSR وأشاهد ، هل لديك وقت ؟)

- (طبعا)

- (حسن جدا ، هلم بنا)

ونصعد أنا والدكتور ثانية برفقة لوبلان ويحضران بمساعدة ممرضة أخرى وأحد الفنيين جهازا إلى غرفة ثريا ويوصلون بسرعة يديها وسائر جبهتها وجانبي جمجمتها بوسائل الاتصال بالجهاز . وأحس بالقلق البالغ بسبب أن تواجدى تلك الليلة في المستشفى بعث إلى الحركة والمحاولات . فيطلب مني الدكتور أن أمسك يد ثريا وأتحدث معها ، أتحدث معها في

أكثر الموضوعات خصوصية وعاطفة ، وأفعل ما طلبه الدكتور وأتحدث مع ثريا نحو خمس دقائق وأمسح برفق على وجهها ويدها وأقبلها . وبعد مدة يخرج الدكتور الشريط المسجل من داخل الجهاز ويقول أنه لابد أن يشاهده بدقة . ولكن لم يحدث فيما يبدو ما يتوقعه من نتيجة مطلوبة . ويشكرنى ويشايعنى حتى باب المصعد .

وأكرر شكرى لهما وأؤكد لهما أنى لا أقصد فى هذه الظروف الحالية بأى حال إخراج ثريا من المستشفى إلى أن تحدد حالتها ونتفق على معاودة المستشفى بالغد وأبحث الوضع المالى (أى دفع فاتورة المستشفى) . ولا يعلم الدكتور مارتن وجورجيت لا بلان عن الوضع المالى شيئا . ويبدو أن ثريا لا يشملها التأمين الحكومى لأنهما كانا يتحدثان عن موضوع النفقات بشك وعدم تيقن . عظيم ! وألقى على الدكتور تحية المساء . لكن الدكتور مارتن يصافحنى بحرارة ويتمنى لى إقامة طيبة فى باريس ويبدي سعادته لقدومى إلى فرنسا لرؤية ثريا . شكرا ألف مرة . وبعد دقائق عشر أخرج بحقيبتى من المستشفى .

وينهمر المطر لكنى أتقدم مترجلا من جانب شارع سان جاك . أصابنى ذهول وأصر على المشى تحت هطيل المطر . هذا الجزء من باريس أعرفه من عهد بعيد وأمشى من شارع سان جاك حتى أدخل ميدان لوكسمبورج . ثم أسير بعد سان ميشيل داخل شارع مسيولوبرنس الضيق المظلم وفندق (بالما) الذى أذكره . وهذا الفندق به حجرات خالية دائما يشبه المقبرة ويقع فى الحى اللاتينى . وحين أدخله ينزل الماء من كل جزء منى . ولايزال (سوموتجو) هنا أيضا . موظف قديم بالاستقبال له وجه

أبيض كالعجين لا يعرف كم سنه . ويقف (سومو نجو) خلف المنصة ويعطيني غرفة . لو كان الوقت غير الوقت والليل غير الليل ولم أكن وعدت فرنجيس لاقتضى الظرف أن أذهب وآخذ بما أمر به الحكيم وآتى إلى ركن الفندق فأدفئ نفسي بنار الفحم لكن هذا هيهات !!

- ٦ -

وحين أنهض من رقودى فى الصباح كان هواء باريس لا يزال غائما كئيبا وشارع (مسيو لوپرنس) مخنوقا . وترتعش خلف نافذتى أطراف الأشجار العارية أمام الرياح ولا أرى شيئا آخر من حالة المنظر ووضعه .

وبعد أن آخذ دشا وأحلق ذقنى وأرتدى ملابسى آتى وأجلس بجوار النافذة وأفتحها وأدع الهواء المتجدد يدخل منها . وأتنفس أنفاساً عميقه وأبدأ فى أن أرى ما يمكننى عمله . أريد أولا أن أكتب إلى فرنجيس رسالة طويلة مفصلة . اتصلت البارحة بها تليفونيا لكنى أشرح لها الآن حالة ثريا كما رأيت بالأمس بالمستشفى وأكتب أشياء كثيرة لها الآن لم أستطع تفصيلها بمكالمة البارحة . وأحاول أن أكون باعثا على التفاؤل قدر الإمكان دونما كذب . ولكنى حين أنهى خطابى أرى هل يموج بالأمل والسعادة

بحيث يبعث على البكاء . قلت فى أحد المواضع (عزيزتى فرى : ليست حالة ثريا خطيرة ، بل أظنها تبعث على الأمل إلا أنها تشكل نوعا من الصدمات يجعلنا نتوقع كل شئ - حتى أن الوضع قد يزيد سوءا. وأنا نفسى لا أعرف معنى كلامى هذا !) وأنهى خطابى بالتقبيل ودعوات الخير وأطوى الرسالة داخل مظروف وأكتب العنوان وألصق المظروف وأضعه وسط جواز السفر وأوراقى الأخرى داخل حقيبتى اليدوية وأنزل بقميص جديد وبلوفر فاخر جديد صنعته فرنجيس . وأضع داخل الحقيبة علبة الأقراص التى لابد أن آخذها قبل الغذاء .

فى فندق (بالما) المتألق يحسب الإفطار مع أجرة الحجرة ، لكن القائم بالخدمة لا يعمل . يأتى المسؤول عن الاستقبال وهو المسؤول عن (المطبخ) أيضا بصينية الإفطار يحملها بنفسه . ولا يسأل غير (شاى أم قهوة؟) . وبقية الإفطار محددة : الخبز الفرنسى والكرواسان والزبدة والجبن والمربى التى تعبأ فى علب صغيرة . لبن بالشاى أو بالقهوة .

ومسؤول الاستقبال اليوم هو نفس العجوز دوفال ، فهو صاحب الفندق ومدير العمال ورئيس مجلس الإدارة والساعى والجارسون بمعطفه وبنطاله المتداخلة طياته ، وبابيونه ، وكاسكيتته وغليونه الأبدى . أقول (قهوة) فيتقدم بالصينية داخل الحجرة الصغيرة بجوار النافذة . الخبز ممتاز والزبدة ومربى الكريز . كذلك ، التهمها كلما عثرت عليها .

وبعد الإفطار أخرج وأدخل متمشيا شارع سان ميشيل وأجد مكتب البريد على ناصية شارع (دانتون) . فتح المكتب لتوه فأدخل واستفسر عن أحوال بريد إيران الجوى . وأوضاع بريد إيران الجوى ليست على ما يرام ،

فلينتي لإيران وجود خارجي بسبب استمرار الحرب الإيرانية العراقية وقفل المطارات الإيرانية ويرفض البريد الجوى المرسل لإيران . أقصاه أن يسافر بالطائرة من باريس إلى (أرضروم) ومنها يرسل بالبر إلى إيران ويستغرق نحو عشرة أيام أو اثنى عشر . وأضع خطاب فرنجيس فى صندوق البريد وأخرج على قدمى من هناك إلى محطة (أوديون) ومنها بالمترو أصل أولا إلى محطة (شاتليه) ومنها إلى محطة (فرانكلين روزفلت) وأنزل وأمشى حتى أول شارع (مونتنى) حيث (بنك إيران الوطنى) فرع باريس .

وفى البنك قامت ضجة من الطلاب المفلسين الخاويىّ الوفاض . وأفتح حسابا مؤقتا به بمبلغ الفرنكات المذكور داخل جواز سفرى بتحرير دفتر صغير وصورة فوتوغرافية وتفصيل بيانات لكى أستفيد به بمرور الوقت . وأكتب شيكا لحامله بعشرة آلاف فرنك لمستشفى ثريا لأعطيها لهم تحت حساب ، ولو بلغت فاتورة الحساب حتى الأمس نحو (١٤٢) ألف فرنك فاللعنة على خواء اليد !

وحين أخرج من البنك تقارب الساعة الحادية عشرة والنصف . ويظهر أمامى إيرانى بطول شجرة البقس ويشرح لى أن حالته الاقتصادية سيئة وأنا أشعر بالمقدرة الاقتصادية المتحسنة فأنفحه بناء على ذلك ورقة بخمسين فرنكا ، لكنى على أية حال سرعان ما أخرج من المنطقة لكثرة آكلى الجيف والمشردين والمتسكعين . وأصل على قدمى من البنك حتى ناصية شارع جورج الخامس ، وفى المنعطف أظهر على نفسى الثراء بمعطفى الواقى من المطر الفخم ذى الثلاثمائة فرنك . وأصل بتاكسى (سيتروين) إلى تقاطع شارع مونبارناس وشارع سان جاك . ولا يزال الجو غائما كئيبا

ولا يفارق مخيلتي منظر ثريا فوق سرير المستشفى ، غير أني أشعر شعورا طيبا بالثقة والاطمئنان . وأشعل سيجارة جديدة ، ويعبر التاكسى شارع جورج الخامس وتقاطع شارع نيوريوك ومن أعلى أحد الكبارى وبعد نحو ثلاثة انعطافات يصل إلى شارع مونپار نَاس . وأنزل أمام مستشفى فال دوجراس ويبدو اليوم مبنى المستشفى القديم بقبته السوداء وأعمدته القديمة وممراته الهلالية بغير لون وبالطراز الباروكى أكثر عبوسا من البارحة كأنك تدخل صومعة الراهبات والرهبان وليس مستشفى عصريا مع أن فاتورة حسابه البالغة (١٤٢٠٠٠) فرنكا عصريا جدا ، هذه هى آثار الأقدام النتنة لحكـــومة (جيسكار ديستان) الرأسمالية .

وفى الممرّ (٣) أرى جورجيت لابلان تخرج من المصعد المعدنى الذى يمتلئ ضجة وضجيجا وراء تمريضها يقتحم العين ببياضة وترانى وتتذكرنى فتبتسم ابتسامة عريضة وتتقدم نحوى بنحو كأنها تريد أن توزع قبلاتها على الناس. وجهها كشريحة البطيخ التى شقت لتوها وعيناها صغيرتان فاتحتا الخضار كحبتى زيتون أخضر .

– (حسنا ، كيف حالك اليوم ياسيدى ؟)

– (بخير ، شكرا ، كيف حال ابنة أختى ثريا ؟)

– (كما هى) تقولها هازة رأسها .

– (لم تتغير ؟)

– (لا .. تريد رؤيتها أولا ؟) وأخاف أن تكون رؤيتى لها خلافا للتعليمات فأقول :

- (أريد أن أضع شيكا فى الحساب . ليس كبيرا)

- (حسن جدا .. أشكرك ألف مرة . أوه ياإلهى .. نسيت خمّن من هنا الآن ؟)

- (من هنا ؟)

- (مدام كريستيان شارنو موجودة ، هل تحب أن تتعرف عليها ؟)

- (شارنو ؟ أوه ، نعم السيدة والسيد شارنو ..)

- (الزوجان الشابان صديقا بنت أختك) وأظن أنها ذكرت أنهما فى غاية الإنسانية (أتيا أثناء هذه الفترة لزيارتها مرات كثيرة . وتعرف أيضا أنهما كانا مهتمين بها . السيدة شارنو موجودة اليوم)

- (بلا شك)

- (جميل ، أليس كذلك ؟ !)

- (أحب أن أتعرف إلى مدام شارنو)

- (طبعا . مدام شارنو الآن عند ثريا) .

ولا أعرف معنى كلمة (خزانة) بالفرنسية لدفع الحساب فى المستشفيات الفرنسية ولا أميل إلى أن أزيد حرفا آخر عما ذكرته حول تسديد الأجر أمام جورجيت لا بلان فى مستشفى على شكل معبد الرهبان المسيحيين واسمه مستشفى المبرة ، وأظن أن كلمة (السيد المدير) أسهل .

وأسألها (هل يمكن مقابلة مدير المستشفى بعد ذلك وأتحدث معه بشأن دفع هذا الشيك ؟)

- (حول دفع الشيك ؟)

- (أجل)
- (أوه ، طبعا ، لا بد أن ترى السيد ماكادام)
- (أجل مسيو مكادام)
- (نفس المبنى ، الدور الأسفل حجرة ١٢)
- (شكرا)
- (حسنا ، بالتوفيق)
- (كيف حال الدكتور مارتن ، هل يمكنني رؤيته اليوم أيضا ؟)
- (الدكتور مارتن أيضا فوق)
- (شكرا) .

ولا تزال واقفة وترمقني .

- (مدموازيل ، هل من أمر آخر تذكرينه لي عن بنت أختي ؟)
- (لا ... للأسف ليس غير ما ذكرته لك بالأمس . ينبغي الصبر حيال مثل هذه الأمور ثم نرى . أننا على أمل أن تتحسن)
- (شكرا)
- (مع السلامة) . (انتبه فقد تكون السلالم مزلقه)
- (أجل ، حاضر) .

وأصعد إلى الطابق الثالث من سلم عريض لمع مزايكه بمادة منظفة خفيفة . كان قسم (OPD) (قسم المرضى المترددين) بمستشفى عبدان يفضله في هذا أيضا . كانت صالة (أوبى دى) في اتساعها صالة مطار

يقوم بالعيادة فيها اثنان وعشرون إخصائيا من كافة التخصصات وصيدليتان تخصان العمال والموظفين .

وكانت الأرضية والحجرات حتى غرف التواليت تنظف ثلاث مرات في اليوم وترش بمضاد للعفن وكانت الأرضيات والجدران تلمع حتى أنها تبرق . لكن حالة قسم (أوبى دى) تغيرت حين نقلونا إليه في غروب ذلك اليوم بعد أن قصف المبنى الأساسى للمستشفى بالصواريخ .

والممر الطويل للطابق الثالث بمستشفى ڤال دوجراس خال تقريبا . وتدخل احدى الممرضات المبتدئات إحدى الغرف بصينية الدواء المدفوعة بعجلات . ويدير أحد العمال بلباسه الأبيض آلة التلميع المغطاه بالدهان على الموزايكو . وعلقت صورة ممرضة ذات شعر ذهبي وعينين زرقاوين وضعت أصبعها على شفتيها المدهونتين بأحمر الشفاه قائلة (سكوت !) وجلس بآخر الممر الدكتور مارتن يتحدث لامرأة شابة دقيقة القوام أو أن المرأة تتحدث إليه . ويرانى الدكتور ويهز من بعيد يده لى .

يتذكرنى من الأمس وأدخل مكتبه النظيف البراق وانتحى جانبا حتى يأتى . وتظهر من النافذة ذات الزجاج الطويل فقط أعالى الأشجار وبها قليل من الأوراق الباقية التى ضربها الخريف وشقت الشمس فجأة جوف السحب فتصب أشعتها الساطعة .

أقوم بمساعدة اثنين من الطلاب المسعفين فى قسم (أوبى دى) أول الليل ويؤتى بين الجرحى بامرأة أحد العمال بطفلها . طفلها حديث الولادة يرقد بجانب أمه التي أصيبت قدماها الاثنتان بشظايا قنبلة وترقد غائبة عن الوعى . التصق الطفل بعنق أمه متيقظا ، التقم ثديها يرضعه .

وجه الأم يخفيه عباءتها ، أما قدماها أو ماكان قبل ذلك قدميها احترقتا داخل جوربيهما وتحول لونها بالدم المتجلط الى الأحمر والأسود والداكن . اختلط جورب قدمها في لحمها وعظمها واحترق دائر عباءتها أيضا وتبقع بالدم المتجلط . امتلأت أرضية صالة (أوبى دى) الليلة بالوساخة والقذارة وعمت رائحة الدماء المنعقدة كل مكان فيها . تحطم كل زجاج النوافذ الطويلة التى كانت تطل على (sick line) ويدخل منها الدخان الأسود . أرقدوا أكثر الجرحى بجوار الحائط حتى يأتى الطبيب ويكشف عليهم . أغلب الجرحى ينطقون بالشهادتين ويقولون لا إله إلا الله وينوحون . غطي أنينهم ونواحهم وبكائهم كل مكان . الكهرباء مقطوعة لكن إحدى مولدات القوى (٤٨٠ واط) تنيرالصيدليات وغرفات هذا الجانب . وجانب النوافذ مظلم ، وفى أحد الأركان بجوارى ، يرقد أحد أفراد إدارة الأمن أصيب دماغه من أحد الانفجارات يهذى بصوت عال عن إحدى آلات صناعة الثلج . يبدو أن آلة صناعة الثلج هذه التى فقدوا مفتاحها أتوا بها من مطعم (أنكس) وتركوها على حافة النهر ثم نقلوها الى مقر الإصلاحات داخل قسم البترو كيميا . ويقترب صوت خطوات الدكتور مارتن والسيده المرافقة له .

– (آها! مسيو.. صباح الخير . كيف حالك ؟) .

– (صباح الخير يادكتور مارتن)

– (حسنا ، كيف حالك اليوم ، ألست مرهقا؟)

– (لا ، شكرا كيف حالكم يادكتور ؟)

– (بخير ، مرسى ، كلاكما بالتاكيد يجب أن يتعرف على الآخر)

وتنظر نحوى المرأة الدقيقة البنية بابتسامة وتطلع . ارتدت سرو الا (جينز) ومعطفا أمريكيا ذهبى اللون . انعقد شعرها الأسود على ظهرها ذيل حصان ولها عينان لامعتان جميلتان . يخاطبنى الدكتور (مسيو .. نسيت اسمك الأول) وأعرف أنه نسى اسمى كله .

– (جلال – آريان)

– (اعذرنى يامسيو آريان) ثم يتوجه إلى المرأة الدقيقة الجرم (مدام كريستيان شارنو اسمحى لى أقدم لك مسيو جلال آريان ، فهو خال ثريا إذا لم تخنى الذاكرة) وتقول كريستيان شارنو ضاحكة (أوه ، أجل ، صحيح . أنا أعرفه جيدا من صورة له أرتها لى ثريا . كانت تتحدث عنك كثيرا) وأهش لكريستيان شارنو وأبش لها ، وتقول :

– (أنشانتيه مسيو آريان ، سعيدة بلك ياسيد آريان)

وأرد عليها أيضا (انشانتيه مدام) يدها بارزة العظام لكنها قوية كأيدى القرويين ويقف إذ ذاك الدكتور ساكنا سعيدا ويدع شارنو تحاورنى ، تقول :

– (ماذا يحدث فى إيران ياإلهى ؟)

– (الثورة والحرب .. وأشياء كثيرة أخرى)

– (ياربى !)

– (الأخت لو بلان قالت لى أنكما راعيتما ثريا ومددتما يد المساعدة إليها هنا)

– (ياه ، لم نفعل شيئا . كانت ثريا صديقتى كنا نذهب معا إلى الجامعة، طبعا أنت تعرف . كنا نذهب إلى السوربون . وبعد تلك الحادثة المؤلمة أقل ما يمكن فعله لثريا أن نأتى بها إلى هنا .. ما أسوأها وأفظعها من

حادثة .. كانت تستعد للعودة إلى إيران . كانت تود أن ترجع طهران عن طريق البر ..)

– (أجل ، أمها فى غاية القلق والتعب) . ثم أتحول إلى الدكتور :

– (دكتور ، كيف حالها اليوم ؟)

– (لا جديد للأسف ..) ويدخل فى إيضاحات أخرى . يبدو أن حالة ثريا لم تعد تتأثر تقريبا بأكثر العلاج والأدوية . ثم يسألنى :

– (قلت البارحة أنك لا تود نقلها من هنا .. أليس كذلك ؟)

– (بلى ، بلى فى الحقيقة هو كذلك ، وعلى أية حال فمطارات إيران كلها مغلقة ولو كانت أمها تود أن أنقلها ، لكن هذ فعلا ليس فى الإمكان)

– (جميل جدا .. قرار حكيم . حسنا يجب أن أذهب)

– (مرسى يا دكتور)

– (حسنا ، مع السلامة)

ويذهب الدكتور وأدخل بلا اختيار غرفة ثريا . لاتزال ثريا فى الغيبوبة وانفصال عن واقع الحياة نائمةتحت الملحفة بركن الحجرة بعيدا عن النافذة فى سبات عميق طويل .

وجهها الجميل يبدو اليوم كأنه ورقة قش سوداء . أكثر سوادا من الأمس . وعلي (التابلوه) أو اللافته بأسفل سرير نومها علامات عجيبة وغريبة على لا أستطيع فهمها . وكريستيان شارنو خلفى وتتحدث . نسيتها . تقول :

- (الأفضل عدم نقلها من هنا ، فحالتها ليست بخير .)

- (أجل أرى ذلك)

- (حسنـا ، يجب أن أذهب لأن ولدىَّ الصغيرين بمفردهما داخل السيـارة ، وقفت لأتحدث مع الدكتـور ، تأخـرت للأسف . أطيل دائمـا الحديث . أوقفت سيارتى أمام عداد مكان انتظار السيارات بجانب الشارع وانتهى وقتها . أين تقيم؟)

- (فندق بالما بشارع لورنس ... طبعا عنوانه مكتوب بدليل التليفون)

- (متى جئت ، بالأمس ؟)

- (أجل ، أمس)

- (هذا عنواني ياسيد آريان أود أنا وفيليب أن نراك . أثاث ثريا وبعض حاجاتها الثمينة خاصة مصوغاتها الذهبية عندى ولابد من مجيئك لتسلمها) . وتعطينى قصاصة ورق كتبت عليها عنوانها (كتبت أيضا رقم التليفون ، اتصل بنا قبل مجيئك ، أو يمكن لفيليب أن يأتى اليك ويجىء بك بسيارته . نحن نسكن فى « سان رمى» على بعد سبعة عشرا كيلو مترا بأطراف باريس . المترو يصلها . سان رمى ..) وتتحدث بسرعة وعجلة تهيل على المعلومات حتى وقفت مشدوها . ولابد أن فيليب هذا زوجها فأرد (مرسى حتما سوف أتصل بكم بالهاتف)

- (إسمع . غدا عطلة الأسبوع لابد أن تتصل بنا لدينا الليلة ضيوف . اثنتان من أخواتى آتيات بأطفالهما ، وأنا من الآن أحس بالصداع ، لكن فيليب يحبهما . تعرف أن فى فرنسا يقولون عن أخت الزوجة أنها الأخت الظريفة . فيليب يشتغل فى رايينسون لكنه يذهب كل يوم إلى مكتب

شركتهم الآخر في بورت دوفرساي . بورت دوفرساي قريباً من هنا .. ولايبعد كثيراً عن فندقك . شارع لورنس جنب محطة أوديون ، أليس كذلك ؟ يمكن أن يصحبك فيليب ويأتي بك . الساعة السادسة أو السابعة بعد الظهر مناسبة جدا جدا) .

وكان عليها أن ترفع رأسها لكي تحادثني ، لكن هذا لم يكن عيبا ولم يوقف سيل كلمات كريستيان شارنو كانت الفرنسية على الدوام (سريعة) عليّ ولو تحدث بها واحد غير كريستيان شارنو . لا أفهم كثيرا من كلامها لكن على أية حال فهمت الدور المطلوب ولا أحب أن أعطلها وقد تركت طفليها الصغيرين (لابد أنهما دون الخامسة وإلا ذهبا إلى المدرسة) بمفردهما في السيارة فأسترسل قائلا :

- (مرسى ، أجل ، سوف أتصل بكم)

فتقول : (يوم أن وقعت الحادثة الفظيعة بقيت ثريا عندنا حتى العصر وكانت في طريق عودتها إلي باريس بدراجتها حدثت لها هذه الحادثة . ولحسن الحظ كان عنواني بداخل حقيبتها فأتينا أنا وفيليب فوراً إلى عيادة طـــواريء (مونبارناس) ونقلنا ثريا إليها . لم يهتم البوليس ، هم لايعرفون غير أن يخلصوا أنفسهم من المشاكل ، يجمعون العناوين ويكتبون تقاريرهم . وللأسف لم يكن لثريا أي نوع من التأمين فقد انتهت دراستها آخر يوليو ، فوقعت أنا وفيليب استمارة ضمان تسديد النفقات . إذا لم يكن فيليب موجودا الله يعلم ماذا كان حدث لثريا المسكينة) ثم أقول : (سوف نظل أنا وأم ثريا مدينين لكما للأبد يامدام شارنو وسوف أتكفل أنا هنا بكافة النفقات . الآن ليس لدينا الكثير من المال هنا ، لكننا سوف ندبره . على كل حال نحن شاكرون لضمانكما . لا يفعل كثيرون مثلما فعلتما)

- (لاتقل هذا)

- (غدا أتصل بكم بالتليفون وأشكركم كما يجب الشكر .. مع السلامة)

- (لا يلزم أن تشكرنا .. كانت ثريا أفضل أصدقاء حياتى كم كانت ممتازة نزيهة الأخلاق مع التجربة القاسية بفقد زوجها فى ثورة إيران وتغلبها على كل شىء فهى متمتعة بالرزانة والتعقل السليم بالحياة . كانت لنا نعم الصاحب والصديق الفاضل الذى لا نظير له .. ظلم ومخجل فى الواقع أن مثل هذه الحادثة قدرت من نصيبها . حظ سىء . يجب أن أسرع ولداى بداخل السيارة وحدهما . أتمنى ألا تكون الشرطة ألصقت على سيارتى مخالفة . كان فيليب يتجنن ، إذن سوف تتصل بنا بالهاتف ؟) .

- (أجل ، حتما)

- (غدا ؟)

- (أجل غدا ؟)

- (جميل جدا ، مع السلامة إذن)

- (مع السلامة)

- (فى أمان الله ياسيد آريان)

وحينما ترحل كريستيان شارنو أعود إلى غرفة ثريا . سريران من الأربعة أسرة خاليان مريض السرير الثالث نائم . رائحة (الديتول) تشم من الغرفة . وأجلس فترة أخرى فوق رأس ثريا . أحتوى يدها فى يدى . وجهها الجميل الداكن مثلما كان فى أيامها الأولى حين جاءت الدنيا . صغيرة غامضة منعقدة اللسان . أهمس لها ثريا .. انهضى انهضى يابنيتى . أنا خالك

جلال . خالك الحبيب . نعود معا إلى طهران .. إلى فرنجيس . أنت لاتحبين أن تبقى فرنجيس وحيدة متألمة وسط هذه الأحوال المضطربة .. قومي يابنيتي . انهضي ياحلوة .. ولا فائدة .

وأذهب إلى مسيو ماكادام بالطابق الأسفل غرفة رقم ١٢ وأدفع الشيك لحساب ثريا .

ومسيو ماكادام قليل الكلام . لكنه يؤخرني ساعة في تسويته لكشف الحساب وتسليمي وصل الدفع الحقيقي . يقول أتمنى أن تتضح بأسرع مايمكن قواعد دفع بقية الحساب ... القواعد قواعد. وحين أخرج في نحو الثالثة بعد الظهر من المستشفى تبدأ ثانية عاديات رأسي وأفكارها فأتقدم ماشيا وأسير في شوارع سان جاك نحو قصر لوكسمبورج . ثم أصل أول شارع مسيو لوبرنس . أتضور جوعا وعطشا . لكن الوقت متأخر جدا للغذاء ومتقدم جدا للعشاء . على كثب من الفندق يقع أحد محلات بيع السندوتشات الذي يشبه السلسلة لماكدونالد الأمريكي . فأقول أذهب وآكل سندوتشا كبيرا منه (بج ماك) بالبطاطس الفرنسية ، فلا أجد غير بضعة من السواح الأسبان والهنود السود متفرقين داخل المحل ، وليس به مقاعد للجلوس وعليه أتوجه للفندق وأبتلع أقراصي بكوب من اللبن بالشيكولاته أحضره سوموبجو . ثم أتمدد على سريري وأشعل سيجارة . على أن أفعل شيئا بأسرع ما يمكن لتدبير نفقات المستشفي . كان نادر بارسي أول من رأيته في باريس والآن هو أول من أفكر فيه .

نادر بارسي ابن حي (بامنار) وأبوه المرحوم غلام رضا البناء وكان وقتها يذهب إلى المدرسة الثانوية وفي الثانوية كان نادر رئيسا لجماعة المسرح بالمدرسة كما كان رئيسا لجماعة التربية الرياضية ، لكنه كان دائم

العراك مع الجميع . وبعد أن ضربه على طائى (علقة) فى الملاكمة ترك جماعة التربية الرياضية . وفى عام ١٣٣٥ سافر نادر على نفقة الحكومة المعطاءة الإيرانية إذ ذاك وبعد سنوات سبع من حصوله على إعانة النفقات المدرسية ، كان يقول إنه حاز على درجة الماجستير فى شعبة العلوم وأظن أنها فى الأدب الكلاسيكى الجديد . وحين رأيت بارسى فى طهران مرتين كان (محررا) فى أحدى مؤسسات النشر لكنه لا يزال فى حالة من الأخذ والرد ، ونصب لنفسه بتأليفه بضع قصص قصيرة ومسرحيات اسما ومكانة خاصة بين طبقة الشباب الذين افتتنوا بنثره (محطم التقليد) . أنشأ مؤسسة صغيرة للنشر لحسابه أمام جامعة طهران وكان يؤدى فى الصالات المدرجة لمسرح الجامعة مسرحياته . وكان ترجم بضع قصص قصيرة لهمينجواى أيضا . ثم دخل التليفزيون وسافر على نفقة التليفزيون الإيرانى إلى فرنسا ومكث بها ستة أشهر وأخذ دورة بها . ثم شرع بعد ذلك فى صناعة أفلام قصيرة فنية . ثم أعلنت الصحف والمجلات أن أحد أفلام نادر بارسى فاز فى مهرجان نيويورك . وكنت وقتها أعمل فى مصانع البترول بالجنوب فلما سمعت بفوزه فرحت ، لكنى بما أنى أعرف نادر من الأساس وكنت أشك دائما فى الفوز فى المهرجانات الأجنبية استفسرت عن فيلم نادر بارسى مرة من أحد أساتذة جامعة نيويورك اسمه (بل كوينتان) وكان مدعوا لأحد سمنارات شركةالنفط وكان المسئول كذلك عن ذلك المهرجان ، لم يكن (بل كوينتان) فقط يتذكر نادر باريسى جيدا وأكد أن فيلمه (ذكر) أنه فيلم جيد بل تذكر أيضا أن بارسى ليلة أن منحوه الجائزة تعارك مع أحد المحكمين (جاك ماكوى) بل ضربه تقريبا. بعد ذاك في أوئل سنوات الخمسنيات ظهر كممثل ضيف في بعض الأفلام التى كان

يكتب فيها اسم نادر بارسى بآخر الإعلانات تحت عنوان (وباشتراك..)

بعد ذلك قام هو بنفسه بإنتاج بضعة أفلام شباك يعاونه بماله وشهرتة أحد الفنانين المشاهير فى السينما الايرانية كان يقطب جبينة - إذا ذكره - ويقول (يا أرحم الراحمين) وتزوج نادر نحو ثلاث مرات وأنجب ولدين اسمهما (هوم) و (تهماج) ويعلم الله من أى شاهنامة استخرج اسميهما وكان ولداه يدرسان فى مدرسة داخلية فى لوزان بسويسرا .

أعطى رقم تليفون نادر بارسى إلى مسئول الاستقبال بأسفل فيصلنى به . ترد زوجته . أحَيِّ وأذكر اسمى وأنى أريد أن أكلم السيد بارسى هل هو موجود؟

- (وصل الآن بالصدفة)

- (هل يمكن أن أكلمه ؟)

- (قلت اسم حضرتك ..) . هذه الأخرى فضولية كثيرا وأكرر ذكر اسمي واترك السماعة على أذنى صامتا حتى أسمع صوت نادر .

- (مو عليكم كما يقول جوين واين)

- (سلام يا نادر)

- (كيف حالك يا جلال خان ؟)

- (متعب)

- (أحك لأعرف ماذا فعلت ؟ متى تأتى لأراك ؟ ماهى حالة بنت أختك ؟)

- (نفس الحالة ، كما هى)

– (قصدك ماذا ؟)

– (فى غيبوبة كما يذكرون)

– (ألست أنت نفسك فى غيبوبة ؟)

– (لست أنا وحدى فى غيوبة ، أجدادى وآبائى هم الآن فى غيبوبة)

ويضحك .

– (ما أخبار دفع الحساب والأجر ؟)

– (أعطيتهم شيكا بعشرة آلاف فرنك فقالوا مرسى ألف مرة)

– (دائماً يقولون مرسى ألف مرة حين يأخذون النقود)

– (لابد أن أحصل على مبلغ من المال يانادر)

– (من طهران ؟)

– (نعم . من أى مكان)

– (ماشى ، تعال الليلة إلى مقهى سانكسيون ، يجتمع بها أغلب الإيرانيين ونتحدث سويا)

– (أين ؟)

– (مقهى دولا سانكسيون . لوجئت التاسعة أو العاشرة أفضل)

– (وأين تقع ؟)

– (نهاية الطرف الشمالى لشارع سان جاك قبل أن تصل إلى الشارع المطل على النهر أمام سينما « ريفولى » ستجدها حتما)

وأدون بعض المعلومات .

- (الساعة العاشرة؟)

- (نعم الساعة التاسعة والنصف ، العاشرة ، تعال فنحن موجودون . هناك مكان اللمة) .

- (ماشى ، آت)

- (هل رأيت ليلى آزاده)

- (لا ، كيف لى أن أرى ليلى آزاده ؟)

- (قلت ربما رأيتها وربما كنت تبحث عنها أمس)معلوم أنه نفسه يحب أن يرى ليلى آزاده .

- (لا .. فقط كنت أود الاستفسار عن أحوالها) ثم أسأله (قلت أنها كانت مريضة وراقدة بالمستشفى ، ماذا جرى لها ؟)

- (لا أعرف ولا أحد يعرف . كل ما أعرفه أنها أجرت عملية جراحية ، لكنهم حجزوها طويلا . أبوها وأمها هنا أيضا . يعيشون فى مرسيليا . أختها هنا أيضا . ليلى تعيش لوحدها . لا نفهم كل ماحدث لها)

- (عظيم ، إذن أراك)

- (تعال العاشرة إلى سانكسيون)

- (ماشى ، أحاول)

- (لا تحاول .. تعال وشاهد الجيل المحترق (من قرن إلى قرن)

- (وما الجيل المحترق هذا الآخر ؟)

- (الجيل الضائع The Lost Generation كما يقول همينجواى)

- (على عينى)

- (تعال ، المهم سوف ترى الشعب المغترب ، يجتمع أغلبهم هناك بالليل، بعيدا عن الوطن ، يتشاكون ويشرحون أحوال أنفسهم ووطنهم ..

استمع إلى النّاى حين يحكى ويشكو آلام الفراق

منذ أن قطعونى من الغابة والناس فى نواح بسبب صراخى)

- (أنها أرواح القتلى هى التى تنوح فى الخط الأول فى أحمد آباد حين يطلع عليهم الموت من صوت انفجار قنبلة)

ويصب بارسى فاحش سبابه على مسبب الحرب ومؤسسها بما لايمكن ذكره . فأضحك وأقول :

- (إذن العاشرة . داخل مقهى نواح الغربة)

- (أجل ، العاشرة ، مقهى سانكسييون) وأودعه ، لكنه من الأدب أو من الملاطفة معى إلى حد ألا يقفل السماعة أولا ، فاستودعه الله وأقفل السماعة . ثم أتمدد وأعقد يدى على جبهتى .

وأحاول أن أجسد فى مخيلتى شكل ليلى آزاده كما كنت أعرفها منذ ثلاثة عشر عاما ثم رأيتها مرة أخرى منذ ثمانية أعوام هنا . ولا أستطيع ، ولا ينتقش فى ذاكرتى غير وجه ثريا الشاحب الممتقع بركن المستشفى .

آتى منزلى من الشارع الخلفى لمصفاة النفط بعربة (لاندروفر) أخذتها من موظفى الإسعاف . لابد أن أجمع شهاداتى وأوراقى وبعض الكراكيب من أجل انتقالى الاضطرارى إلى طهران ، وأطوف فى شارع

أحمد آباد وأصل إلى شارع البتروكيميا الرئيسى ، ومصفاة النفط كأنها غول راح فى سبات الموت ارتفعت سحب الدخان من جسده المحترق . شارع البتروكيميا الرئيسي والشوارع الملتوية فى (بريم) كأنها فى رقدة الموت . المنازل تكون كلها مهجورة . أغلبها بأثاثها ، ونهبها اللصوص وضباع الحرب . الجدران والأسقف هنا وهناك حطمتها القنابل وقذائف المدافع . الحدائق موحشة جافة والأشجار محطمة . ولو سقطت شجرة على أثر نيران العدو وسدت الطريق فلم يكن موجودا من يتجشم مشقة تنحيتها . بل الكلاب والقطط ارتحلت .

ومنزلى على ساحل شط العرب ولا يبتعد عند الحدود العراقية أكثر من سبعمائة أو ثمانمائة متر . آخر مرة عدت فيها إلى منزلى كانت قبل الآن بشهر لكى أخرج منه بالقوة (مطرود) راعى بستانى وابنه المريض (إدريس) وأصحبهما إلى مكان أكثر (أمنا) فى خط (١٢) بأحمد آباد . لم يكن لهما بيت يذهبان إليه. لا يملكان موضعا يروحان إليه .كان منزلهم الغرف خلف حدائق المنازل فى (بريم) ويتعيشان على قليل الراتب الذى كانا يأخذانه منى . يموتان إن خرجا عن عبدان .

ويسمع صوت تبادل النار فوق رأسى وحوالى المنطقة ، لكن شيئا منها لا يصيبنى . وأقف بالسيارة أمام بوابة الحديقة وأخرج منها . لاتزال جدران المنزل سليمة مع أن الزجاج تحطم على أثر القنابل التى سقطت داخل الحديقة . وتعوى الكلاب فى مكان قاص . افتح باب المنزل وأدخل . لا كهرباء . المنزل مظلم . ليس فى المواسير ماء أيضا . أغلب الأثاث بموضعه.

موقع منزلى يقترب إلى شارع خرمشهر ويقترب إلى شاطئ شط العرب نيران العدو إلى درجة أن اللصوص وضباع الحرب لم يكن يجرأون على

سرقته . لكن الأمر ليس بالخطير عند فئران النخيل . أتوا . أعدادهم الآن بالمنزل يجولون ويصولون . خرجوا من قصرية التواليت الجافة وبدأوا هجومهم . فوق الكراكيب المخزونة بالمطبخ ، مضغوا والتهموا إحدى المراتب وبضعة من الموبيليا بل والكتب . يا له من منظر . لكنى أتيت لهم مسلحا . لعلمى بأن هجوم الفئران وقع على أكثر المنازل الأخرى فقد جلبت معى باكوموت الفئران وأقفل باب الحمام والفناء وأبدأ فى الهجوم المضاد . أنشر سم الفئران على كافة أرضيات المنزل وحينا أرشه على رؤسهم . وتأتى جماعاتهم من مكان لآخر وتأكل منه وتسقط وتموت . وأهنأ قلبا بهذا . وأحمل حقيبتى وأبدأ فى وضع ما أريد حمله فيها . لابد أن أسارع بالعودة. يمكن أن يطل العراقيون فى أى لحظة . استطعت أن أرسل إلى ديار العدم فئران النخيل والمجارى بالدى دى تى لكن إيران لم تخترع حتى الآن دى دى تى لفئران النخيل أتباع صدام حسين الملعون .

ويظهر أمامى خيال رجل ويسقط قلبى من الفزع وحين أدقق فى النظر أرى أنه (مطرود) بقوامه النحيل ووجهه الأسمر وشاربه الفاتح .

– (أنت أيها السيد – سلام) السلام العبدانى بكسر السين .

– (مطرود ! يالرضا الله – ماذا تفعل هنا ؟)

– (عدنا ياسيدى)

– (جئت لتعيش هنا)

– (ها أعددت الشاى ياسيدى . هل لك فى كوب منه ؟)

– (ألم تعد بأنك سوف تكون على الأقل فى خط ١٢ عند أخيك. لم تبق بأغا جارى وطلعت وعدت هنا غافلا عما يجرى ، وهيأت الفرصة

لكى يقبض عليك العراقيون فى الطريق ويأسروك ويذهبوا بك . لابد أن تعود إلى خط ١٢ . هنا خطر عليك جدا) وثارت أعصابى بسببه .

- (ضربونا هناك . ويضربون كل يوم هناك . هنا أفضل)

- (هنا بإمكانهم أن يضربوكم بقذائف الكلا شينكوف من الحافة الأخرى للنهر !)

- (الأعمار بيد الله)

- (أين إدريس ؟)

- (إدريس ابنى ساكن فى منزل المهندس نوربشخ)

- (إدريس هنا ؟ يالطيف اللطف !)

- (أين أتركه طيب ؟ لا يبقى فى مكان . لابد أن يكون معى . فهو قليل العقل)

- (تركوا لكم منزل نور بخش ؟)

- (ها إشرب كوب الشاى)

- (لابد أن تعود فورا إلى خط ١٢)

- (إيه ، أين نذهب ؟ إذا حل الأجل فلا بد أن نرحل ، أجل لابد من الرحيل)

- (هنا لا يوجد ماء)

- (الصنبور بآخر الحديقة أوطى . ماؤها كالبرق ، لكن قليلا من الماء يأتى . لا مشكلة)

– (مطرود ، انظر ، لابد أن أسافر إلى طهران . مضطر . وقع لابنة أختى حادثة . وأنت تعلم أنهم ليس عندهم أحد . وربما أضطر إلى ألا أعود إلى عبدان إلا بعد شهرين أو ثلاثة ، لكنى لا أحب أن تبقى هنا ...)

– (هل تطردنا ؟)

– (أى كلام هذا يا مطرود ؟ هذا المنزل ملك الشركة . ملك الجميع . لكن هنا خطراً هنا منطقة حربية)

– (وماذا نفعل ؟)

– (تذهبون إلى مكان آخر)

– (إلى أين نذهب ؟ كل البلاء نصيبنا نحن الفقراء)

(كيف حال أخيك ؟)

– (رحل ..)

– (ماذا ؟)

– (رحل عن الدنيا ، ارتاح ، تساوى منزله مع التراب أيضا)

– (آسف ، يامطرود ، وابنه الذى كان فى خسرو آباد كيف حاله ؟)

– (رحل هو الآخر)

– (استشهد ؟)

– (ها ، اجلس ياسيدى لآتى لك بقدح من الشاى)

– (مطرود أقول لك أن السماء تمطر قنابل وقذائف مدافع وصواريخ وأنت تقول أجلس واشرب كوب شاى . أقول اترك هذا المكان واعتصم بمكان آخر وتقول اجلس واشرب كوب شاى أقول فكر مرة فى ابنك إدريس وتقول أجلس واشرب كوب شاى . لابد أن ترحل إلى الأهواز أو

مسجد سليمان وتلك المناطق حتى تنتهى الحرب)

- (لا مكان لنا)

- (سوف يلوح لك مكان)

- (ولدنا فى هذه المدينة ونموت فيها)

- (هل يوجد أحد فى هذه المنازل المحيطة ؟)

- (لا ... المهندس نوربشخ رحل أيضا)

- (نوربخش قتل أيضا ؟)

- (لا . ذهب إلى طهران . ما هذه الفئران ؟)

وحين أشرح له حكاية الفئران اللعينة إذ بانفجار مزلزل يهز البيت حتى أنى ظننت أنه لابد أنه أطار اللاندروفر عربة المستشفى فى الهواء . وأتقدم لأرى . العربة لا تزال موجودة . وإدريس بجانبها أيضا يرتدى حذاءى التنس ويحمل حقيبته الأمريكية التى كان يبيع منها وقتا سجائر الونستون . بغنائه العربى الذى لا معنى له . الذى يتغنى به على الدوام . أخذ ينظف بمنديله اللاندروفر . بجسمه الضخم وهيأته المذهولة وعينيه البلهاوين يكمل المشهد فى أرض البقس المحترق والأشجار المقطوعة .

وحين أعيد فتح عينى فى فندق (بالما) كان قد حل الظلام وهدأ بخارج النافذة ضجيج الشارع إلى حد ما . وأنظر فى ساعتى . التاسعة والثلث . أنهض وأمس بيدى رأسى ووجهى وأرتدى ملابسى . وفى التاسعة والنصف أجلس على السرير وأشعل سيجارة أخرى وأنصت إلى أخبار إيران الموجهة إلى الإيرانيين بخارج البلاد (حسب توقيت طهران الثانية عشرة)

تنحصر الأخبار على حرب إيران والعراق . حرب الإسلام للكفار الصدّاميين.
أكملت القوات العراقية حصار مدينة عبدان وجعلت من المناطق السكينة لهذه (المدينة المقاومة صانعة الشهداء وشعبها الأعزل) من كل ناحية موضع هجومها بمقذوفات المدافع و الصواريخ والقنابل والهجمات الجوية .
وصلت طلائع (عملاء صدام حسين الكافر الأمريكى) حتى عشرة كيلو مترات من الأهواز ودز فول لكنها ووجهت بالمقاومة الشديدة للحرس الإسلامى وجيش الجمهورية الإسلامية والشعب صانع الشهداء .

نجحت (القوات الإسلامية) فى تحطيم ناقلة آلية تحمل جنديين ودبابة للبعثيين الكفار وقتلت مئات من (المخدوعين نظام صدام حسين العفلقى) .

- ٧ -

أشرفت الساعة على العاشرة مساء حين خرجت من الفندق . أنثنى من شارع لوبرنس إلى داخل شارع سان ميشيل الرئيسى . الهواء بارد لكن السماء صافية تملؤها النجوم . ويهب نسيم عليل من النهر فى الطرف الشمالى للشارع ولا يبتعد كثيرا . ولا يزال الشارع ينبض بالحركة المزدحمة. عشرات المقاهى والمطاعم ودور السينما تشع بالنور ويملؤها الضجيج والعجيج والزينة الباهرة . وتهب رائحة الكستناء والهمبورجر والبطاطس من مطعم ماكدونالد وتطوى منعطف الشارع وتدخل الطريق . موعد لقائى بيارسى العاشرة .

وأثناء الطريق يخزنى دوار عجيب فجأة أسفل جبهتى ، دوار غير عادى. وأستند إلى الحائط على ناصية تقاطع شارع دزكول ، وأنتظر حتى

يمضى الألم أو أمضى أنا . وأنا بالمستشفى خاصة فى أوائل إقامتى به كان ينتابنى هذا الدوار حينا كان يغيبنى عن الوجود وقتذاك لفترة . لكنه ظل فترات لا ينتابنى . لكن الليلة يسبب لى دوخة غير عادية وآلاما شديدة .

وأتابع سيرى بأى شكل وأجلس فى ركن خلف إحدى الموائد الصغيرة للمقهى الذى يشغل قسما من الشارع . و لا يسوؤنى أن أجلس هكذا منفردا بالخارج مع وجود البرودة والهواء الهاب .. سحبت مائدة أو اثنتين من الموائد المستديرة والصغيرة لكن غالب الناس مختفون داخل المقهى ولا تزال رأسى تدور .

ويتقدم نحوى عامل عجوز لكنه أبيض مشرب بالحمرة يلبس معطفاً خمريا علق بساعده فوطة بيضاء وكأنه خرج يزحف من وسط مكتبة (بالزاك) . لا تزال الفوطة البيضاء معلقة بساعده اللعين .

- (نعم ، مسيو ؟)

- (قهوة اسبرسو من فضلك)

- (اسبرسو)

باريس مهد الحضارة .

أنسب نفسى إلى الإنسانية . وأخرج كتاب (كلاب الحرب) من جيب معطفى وأفتحه على الصفحة التى وصلت إليها فى القراءة . جمهورية الزنزبار الصغيرة الأسطورية أصبحت ألعوبة فى أيدى الإنجليز . السير جيمس مانسون أحد تجار لندن يكتشف عن طريق جواسيسه أن بأحد جبال زنزبار - جبل الكريستال توجد مناجم من الذهب الأبيض تقدر ببضعة مليارات من الدولارات ويصمم مانسون أن يقلب حكومة زنزبار

ويحل محلها حكومة عميلة له بمساعدة جيش صغير من المرتزقة المحترفين الدوليين من أمريكا وأيرلندا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا .. لكن بعد أن يخمد أول الثورات الداخلية ضده ثم يدخل عملاؤه يجد أتباع مانسون أنفسهم سريعا فى مواجهة موظفى الاستخبارات الروسيه (كاج ب) ويفهمون أن الغرب لا ينفرد وحده باللقمة إذا كانت سمينة جدا .. لكن الليلة وأنا بباريس وأقرأ بداية الفصل الثامن وقد جلس اثنان من العملاء بعد الاتصال بالهاتف بالسير جيمس مانسون ويريدان الحديث حتى أننى لا أستطيع إتمام قراءة الجملة الأولى من الفصل . ولا تريحنى رأسى . فتفكيرى فى ثريا فى المستشفى يزحف فوق ما بقى من مخى . الصداع ونسيم الليل البارد والوحدة والإغماء وكلاب الحرب وهموم ثريا .. أحاديث جورجيت لوبلان والدكتور بل فرانسوا مارتن وهيئة سريرِ ثريا الأبيض وجسدها المغمى عليه يموج كل هذا وسط عقلى . يشرح الدكتور مارتن الاصطلاحات الطبية العميقة .

(الغيبوبة) حالة فقدان الوعى (تشبه النوم) تحدث إثر اختلال وظائف المخ يمكن أن يكون إغماءً مؤقتا ويمكن أن يدوم ويميت ! وليس بمقدور أحد أن يعلم كم من الوقت يطول . وحالة الغيبوبة التى تستغرق أكثر من يومين أو ثلاثة ويتسبب عن اختلال خلايا المخ وفسادها دليل صدمة شديدة ، واحتمالا ، قاتلة .. وثريا فى حالة إغماء منذ ثلاثة وعشرين يوما . ويمكن أن تستقر الخلايا المختلة بالقشرة المخية (السوبر ال كورتكس) أو فى أجزاء أعمق منه (ديفيسه مالون) وهى محور المخ المركزى .. مسكينة ياثريا .. أرفع رأسى وأنفث دخان سيجارتى السميك فى هواء الليل

البارد القاسى . أشعر بدوار . عم الآن كل جمجمتى ورقبتى ووصل حتى أسفل أذنى .

وتأتى فارعة قد حمراء شعر وتجلس على المنضدة الصغيرة فى الجانب الآخر وتضع حقيبة يدها بركن من المنضدة . وتبدأ ببطء فى خلع قفازيها القليلى البياض . أحاول ألا أنظر إليها منظرها أشد ضعفا من شديدى النحول والضعف ويعلم الله كم من الشديدى النحول فى باريس . وتطير إلى تحية المساء وأضطر إلى خفض رأسى فى رد تحيتها وأبعثر شيئا على وجهى يمكن أن يكون ابتسامة . وتخرج سيجارة من داخل حقيبتها وتضعها وسط شفتيها . ثم تبحث داخل حقيبتها عن الثقاب المفقود . ليس لديها ثقاب . فتخرج سيجارتها من فمها وتبدأ فى السعال . سعالها أسوأ من سعالى إنه نواح المصاب بالزهرى نفسه . ألا فليرحم الله الأتوبيسات الحارقة للوقود الردئ للشركة المتحدة وسط مرور ميدان الثورة بطهران .

تقول بإنجليزية متعسرة (you have light ? – ألديك ثقاب؟)

أشعل لها عودا وأقول بالفرنسية (هل أنت فرنسية ؟)

– (Mais oui !) طبعا فرنسية .

وتبدو أسنانها التى بلون القهوة وعيناها كعيون المرضى بفقر الدم أو أسوأ تبدو صفراء ذات صديد جاف . ولا يعرف كم عدد غضون وجهها لكثرتها . لكن نحافتها الشديدة وأسنانها السالفة الذكر وسعالها المخيف كل ذلك يصرخ بأنها على الأقل اشتغلت عشرين سنة فى مهد الحرية والديمقراطية فى العالم (فى أقدم حرفة بهذه الدنيا) .

– (ألا تحب أن تطلب لى مشروبا ؟)

– (ماذا تشربين ؟)

– (une Bloody Mary)

– (اسمير نوف وعصير الطماطم ؟)

– (بالضبط)

– (البلادى مارى متعب للمد موازيل الصغيرة)

– (المداموازيل الصغيرة هى أمك)

ويأتى الجرسون بقهوتى الإسبرسو ويضع أولا أمامى منديلا ورقيا ثم الفنجان وطبقا صغيرا وبأسفل الطبق الصغير ورقة صغيرة عليها ثمن القهوة وأتعاب الخدمة ثلاثة فرنكات وخمسة وستون سنتيما .

– (وللمدام ؟)

– (بلادى مارى من فضلك)

ويكرر الجرسون الأمر بلا اهتمام ويذهب

وتسألنى (أنت لا تشرب ؟)

– (لا ..)

– (لماذا ؟)

– (لأسباب كثيرة ... منها أمر الطبيب)

– (ما موضعه فيك ..)

– (عذرا ؟) لا أفهم الكلمة الفرنسية التى قالتها

فتسأل كمدرس النحو أو مثل من يخاطبون قليلى الفهم

(ما موضع الألم ؟)

أرد : (جمجمتى) وأشير بأصبع إلى رأسى (رأسى متألمة)

وتضحك (رأسى أيضا متألمة) ثم تفرك يديها وترتعش من البرد قائلة:

(Ru .. C'est froid ! برد !)

– (البلادىء مارى يدفئك ؟)

– (أبدا ، أتمنى ذلك)

– (حسنا)

ولا يسوؤنى أنها ظهرت فجأة وسط ليل الوحدة ، وتفهم أننى بدأت أهتم بها لأول مرة ، فتبتسم ، كأن فى طبيعة الفرنسيات ركب رادار مجهز بكمبيوتر يقتفى أثر (الميراج) لمثل هذا الاجتذاب .

وتسألنى (من أين أنت ؟)

– (من أين تفضلين أن أكون ؟)

– (ألست أمريكيا ؟) وترمق الكتاب الانجليزى (كلاب الحرب) ويأتى على دور الحديث : (الأمريكية هى أمك)

– (أظن أنى معجبة بك)

– (الله يساعدك)

– (مرسى)

– (بماذا ينادون عليك ؟)

– (آدل)

ويصل مشروبها فلا تتعامل آدل معه بتلك الرقة ، بل ترفع الكأس كما كان يفعل فتوات طهران قديما حين يشربون الكأس دفعة واحدة فتعبُّه دفعة واحدة . أو لابد أنها تظن أن الشراب جراية الحكومة بإمكان أن يأتى فى أى لحظة جنود الفرق الأجنبية لينهبوه من أمامها ثم تقول :

(حسنا الآن ما اسمك Alors , comment vous applez - vous ?)

وأرد عليها (اسب) أى حصان .

- (ماذا ؟)

- وأكرر الاسم

فتقول (اسب .. اسم جميل وسهل) ولكنى لا أعتقد أنها اقتنعت .

وأنظر فى ساعتى واعتذر لها بأننى لا بد أن أقابل أصدقاء آخرين على مقهى (لاسانسكيون الساعة العاشرة . فتقول (أوه ، طبعا) وأنها مستعدة لأن ترافقنى إن أحببت ذلك . فأجيب حسب العادة وبسبب اللياقة (أجل ، من فضلك) وسرعان ما أصبح نادما كالكلب .

وندخل سائرين شارع سان جاك ونتقدم ويدور الشارع من خلف ساحة جامعة السوربون والمنطقة يختلط فيها العمارات الحجرية القديمة للجامعة والمقاهى والمطاعم ودور السينما والملاهى الليلية . وتأخذ آدل فى قص قصة حياتها لى . فهى من أهالى قرية صغيرة قريبة من (بورجيه) ولا أتذكر اسم القرية . تعيش فى باريس منذ سبع عشرة سنة لا (عمل) لها آخر . والحكومة لا يكفى ألا تعطيها مرتب الرعاية الاجتماعية ، بل أنها تستدعيها كل شهر لأسباب مختلفة وتقوم بفحصها وتهددها أنها سوف تلغى رخصتها إلا إذا اعتنت أكثر فى المحافظة على صحتها وحافظت على

نظافة شقتها . وتتحدث بعجلة ولا أفهم معنى بعض كلامها ، لا أذكر إلا أنها كانت تستخدم في كـــلامها كلمة فـــرنسية بمعنى (البراز) في اصطلاح العامة صفة لكافة الأسماء الخاصة والعامة تقريبا .

وتستخدم مرارا عبارة (I make nice love) التي أفهـمـا – طبعا – جيدا . ويمر بنا بناصية الشـارع الجانبي بعد دار السينمـــا بائع متجول يبيع أطعمة ساخنة على عربة يد بعجلات . وتتبـاطأ خطوات آدل . وتتسع عـيناها شـــراهة . (J'ai faim) .

– (هل أنت جائعة ؟)

– (أموت من الجوع)

وعلى جانب العربة الأبيض مكتوب بخط بارز :

HAMBURGERS ET HOT DOGS

وأظن أن آدل تقول (تأثير من مظاهر أمريكا وثقـافتـها البراقة – في حضارة فرنسا العريقة) .

ونتقدم ونقف أمام العربة .

وتقول آدل (من فضلك شطيرة بالمقانق بالخردل الزيادة) ثـــم تقول لـــي (خردل انتاج بورجيـه – ممتاز جـدا . Un peu trop fort' ca حريقًا قليلا)

– (جميل)

– (هل تحب ؟) وتمد بقطعة يدها

– (لا ، كلي أنت) .

- ٨ -

وبعد تقاطع شارع سان جاك بشارع سان جرمان الرئيسى بقليل أشاهد اللافتات الكثيرة الارتفاع والقدم لمقهى دولا سانكسيون . وكانت آدل قد انتهت لتوها من ابتلاع شطائر مقانقها ومسحت بيدها خيشومها وفمها ورأسها ووجهها حين ندخل المقهى .

ليس مقهى لا سانكسيون خلافها لشهرتها الكثيرة الذيوع مبنى خارقا للعادة . فى الواقع ما هو إلا حظيرة ثعالب قديمة غير منتظمة ولا مرتبة كأنهم لم يقوموا بترميم جدرانها وستائرها من عهد ثورة فرنسا الكبرى حتى الآن بل لم يقوموا بتنظيفها . لكن قلب آدل يدق طربا . والمبانى الداخلية للمقهى تشمل بضع غرف وصالونات متداخلة وبها بضعة بارات ومنضدة للطعام وغير ذلك . وتنتشر موسيقى الروك الأمريكية من أحد أجهزة

الأسطوانات الآلية وأدير نظرى هنا وهناك حين تقول آدل (نتناول شيئا أولا، أليس كذلك ؟)

– (طبعا)

أثار شهيتها مقدمة أحد مناطق الطعام على شكل فترينة تمتلئ بالأطعمة البحرية المختلفة .

وأسمع خلفي صوت نادر بارسى بفرنسيته الملكونة والفاضحة

– (مساء الخير يامسيو جلال آريان !)

– (مساء الخير يامسيو بارسى)

ثم يستأنف بالفارسية (تفضل إلى مائدتنا ، هناك مكان ، وعلى المائدة المشاريب والطعام وكل شئ)

– (ماشى)

– (هات معك رفيقتك أيضا)

– (طبعا)

وينظر نادر بارسى إلى آدل بإعجاب وقليل من الدهشة . أما آدل وقد ارتدت تحت النور الساطع للمقهى نظارة غامقة غليظة وشع بياضها وقامتها الطويلة وشعرها الأحمر الضارب إلى الذهبى فقد بدت جذابة جدا . ويقودنا بارسى حتى مائدتهم بنهاية المقهى بجوار ساحة الرقص الصغيرة .

تجمع حول المائدة نحو تسعة أزواج إيرانيين رجالا ونساء . ويقدمنى نادر بارسى إليهم جميعا من يسميهم نفسه (الجيل الضائع) ويقدمهم لى بصورة سريعة . عرفت أربعة منهم اسما ولا أظن أن أحدا منهم كان يعرفنى

أولهم الدكتور أحمد رضا كوهسار الكاتب والأستاذ الجامعي وزوجته . الثاني بيجن كريمبور شاعـر الشعر الحديث الإيراني وزوجته . ثم مجيد رهنمايي صـديـق (هويدا) المحب للفنون ، ورضا مجيدى الفنان وأمين المكتبة الخاص (بفرح) ومعها زوجتاهما الأجنبيتا المظهر . ثم الأستاذ جلال كشاورز المترجم والمتخصص في الزرد شتية الإيراني المعروف ومن المؤسسين الأوائل لـ (حزب إيران الجديد) وزوجته . أيضا سيادة العقيد جواد علوى وامراته من عائلة كشاورز. وكانت موجودة أيضا السيدة (هما علايى) المترجمة ومعها زوجها من كبار الموظفين وعضو مجلس الإدارة السابقة لشركة النفط وكان يعرفنى من طرف واحد . ثم قاسم خطيبى السمين الذى يختلط حمرة وبياضا بدون زوجته ثم الدكتور كاظم مكارمى بدون زوجته . ثم أحمد قندى بشعره المدهون وبذلته المخملية وبابيونه الفاخر لكنه غير مرتب وكان يستمع الى صوت أمريكا من خلال راديو كاسيت على أذنه ويبدو أنه ابن أخت زوجة مجيدى وكان ينتظر الحصول على تأشيرة أمريكا . وفوق الموائد تتلاطم صنوف الطعام والشراب . كانت جماعتهم فى الحقيقة تشبه كما يقول بارسى مشاهد قصص هيمنجواى . وقبل أن نجلس بأحد أطراف إحدى الموائد أقدم للأصدقاء ومتابعا جوهم العام آدل (مداموازيل آدل فرانسوا ميتران) فتتحول الينا أغلب الرؤوس وتتمعن فى رمقنا كأن عيونهم تخترق الكؤوس إلينا . وتكتفى آدل بالابتسام وتحافظ على وقارها . وينهض الحاضرون باحترام عظيم ويصافحون آدل . وينظر أغلبهم إليها بإجلال وتدقيق ويبدى كل منهم ترحيبه بها ولا ترد آدل آدل عليهم بغير (مرحبا ، تشرفنا Enchanteé) وتجلس فى ناحية . ويصب

لها كريمور خمر البوردو الأبيض . ويهم بصب كأس لى لكنى أرد عليه بأنى لا أشـرب غير المياه المعدنيـة بأمر الطبيب ، فيقول كريمبور بالفارسية (جناب آريان ، كما يقول شاعرنا مشيرى : إملأ الكأ س .. ولا تكسر قلب الغريب .. فكلنا فى الهم سواء) . وعلى وجـهه يظهر الألم والحزن وله شارب كث منهدل كشارب ماكسيم جوركى ، وانسدلت على كتفيه جديلة من شعره الرمادى الطويل والجعد .

فأرد : (أنا آسف) فيقول نادر بارسى (آريان بك حدثت له هذا العام صدمة عصبية . وعليه يجب أن نأخذ هذا فى الحسبان معه .. وله هم آخر أيضا هنا ..)

فيقول الدكتور أحمد رضا كوهسار (لا قدر الله مكروها ياأخى ؟) وجهه تظهر عليه الشيخوخة ومعها فى الواقع الجلال العظيم والمهابة ، بشعر أبيض غزير على القفا طويل ، وشارب ضخم كشارب كمال الملك (أعظم رسامى إيران المعاصرين) وعينين بارزتين جميلتين .

ويضيف متحدثى الرسمى نادر بارسى (وقع لابنة أخته التى كانت تدرس هنا تصادم وهى تعالج بمستشفى ڤال دوجراس . وهى فى غيبوبة وحالتها ليست على ما يرام . فأتى آريان بيه لمعاونتها)

– (سوف تعافى إن شاء الله)

– (إن شاء الله)

ويقول كريم بور (على كل حال يقول الشاعر) (إملأ الكأس .. فليس فى وادى الخراب هذا شراب غيره ينقذنا من حالنا المهدم)

وتسألنى من المائدة المجاورة السيدة مجيدى التى لم تسمع حوارنا

(هل جاءت من قصر « الإليزيه ؟ »)وتسأل بالفارسية المتأثرة باللكنة الفرنسية .

ولا أرد عليها .

وتسأل زوجة الدكتور كوهسار آدل : (مداموازيل ! هل أنت قريبة مسيو فرانسوا ميتران ؟)

تسأل بالفرنسية باللهجة الأصفهانية .

وآدل التى امتلأفمها بالخبز والزبدة والكافيار وتبتلع كل ذلك ببطء وبعون الخمر لا ترد بعد ذلك بغير كله (لا)

– (أليست لك أى صلة قرابة به ؟)

وترد آدل (من هو فرانسوا ميتران ؟)

– (... زعيم الحزب الشيوعى الفرنسى ..)

فترد آدل (لا .. ليس لى أى قرابة بأى شخص اسمه ميتران) وهى تغطى وجه بسكوتة مغلفة بالزبدة بطبقة من الحلوى قدمها لها الدكتور رهمنايى وعلى مقربة من يدها كأس البوردو التى أعاد صبها لها كريم بور.

وتقول السيدة مجيدى (لكنى واثقة أن مسيو آريان قدمك باسم مداموازيل ميتران) فترد آدل (مسيو آريان ، من هو مسيو آريان هذا الآخر ؟ هل هو أيضا قريبى ؟) فتقول السيدة مجيدى (ذاك السيد الطويل القامة الذى أتيت معه)

فتقول آدل (آه .. ذاك السيد)

فتسأل السيدة مجيدى (أليس كذلك ؟)

فترد آدل (هذا السيد مخه تعبان)

فتكتم السيدة مجيدة وزوجها وغيرهم الفاهمون الفرنسية ضحكاتهم وتقول السيدةمجيدى (إذن كان يهزل ؟ ...)

فترد آدل (هذا السيد قال بنفسه إن مخه تعبان) وتشير بأصبعها إلى رأسها ويضحك الجميع حتى أن بضعة غيرهم والذين أثق أنهم لا يعرفون أصلا الفرنسية ولم يفهموا الحوار شاركوهم فى الضحك .

ثم يسأله مجيدى (إذن فما هو اسمك ؟)

– (آدل فومولو)

– (آدل فومولو؟)

– (آدل كريستيان لا فور فومولو)

– (إذن كان هزارا !)

وتقول السيدة مجيدى (.. عجيب ، السيد آريان طبعه هازل) وتلكز زوجة نادر بارسى السمينة التى فهمت لتوها جنب زوجها بمرفقها وتقول : (فهمت يانادر ؟ السيد آريان قدم لنا هذه السيدة باسم مدامووازيل آدل فرانسوا ميتران واسمها الحقيقى آدل فومولو)

وأشعر بعدم الراحة لما فعلته بآدل ، فلم يكن تصرفا لا ئقا مهذبا ، لكن آدل ليست متضايقة أولا ، بل إنها منهمكة فى الأكل والشرب وتضحك هى نفسها من هذه النكتة وتشعر بالسعادة ويبدو أنها مسرورة جداً لدخولها لعبة فكاهية مع عقليات بلد أجنبى . هذا الأمر أثار ضحكها وسخريتها . تجمع هذا الجمع هنا للضحك والهزل و (الفرفشة) . وينهض

مجيدى ويراقص السيدة (علايى) . ثم ينهض الدكتور كوهسار بدوره ويراقص زوجته . وأستند إلى مقعدى وأشعر بأنى خالٍ وأسأل نفسى ما هذا التصرف الطائش الذى أفعله هنا . ولا تزال آثار دوار الساعة العاشرة فأبتلع كبسولتين بالمياه المعدنية ، لكنهما يزيدان آلام رأسي دوارا فوق دوار .

ويدس إلى بارسى بعلبة سجائر ويقول (لأنك لا تشرب الخمر ، خذها ، واشرب ، وضع الباقى منها فى جيبك ..)

وبالعلبة نحو عشرين سيجارة ملفوفة باليد عجيبة وغريبة .

- (من نفس الصنف الذى يسحب الذئب ليقابل ابن آوى ؟!)

- (أعلى من هنا)

- (عالم الوهم والخيال ؟)

- (عالم الوهم والخيال ؟)

- (عالم الوهم والخيال ٢٠٠٠)

وعالم الوهم والخيال ٢٠٠٠ هو نفس ما أفتقده الليلة .

- ٩ -

لا أذكـــــركم مـــضى من الوقت حين دخلت ليلى آزاده . لا تزال رقيقة ظريفة ، بقليل جدا من المكياج ، وشعر كستنائى فاتح ، وقلنسوة مطر سوداء ، وشال على عنقها صوفى أبيض ، لا تزال ملفتـه للنظر وجذابة . يعرفها أغلب الحاضرين المتحلقين على الموائد ، سعداء برؤيتها . ومفهوم من طريقة نظرات نادر بارسى وسحنته أنه يتمنى من قلبه أن يتعرف أكثر على ليلى آزاده . مضى علىّ وعلى ليلى حتى الآن ثمانية أعوام لم ير أحدنا الآخر ، ولم تكن علاقتنا فى ذاك الوقت تدوم كثيرا ولم تكن أيضا توطدت. ولا أعتقد أنها تتذكرنى من الأصل . تلقى بالسلامات والتحيات على جميع الجالسين على الموائد وتصافح بعضهم . وحين تصل إلى تقول (سلام !) ويبدو أنها لا تتذكرنى فقط بل كانت سعيدة لأنها رأتنى وسط المجموعة . وتجلس بجوارى.

– (جلال آريان – أين أنت ؟ وأين تسكن هنا ؟)

– (جئت أنا الآخر)

– (جميل ، جميل) وعيناها تبحث عن أشياء فى عينى .

فأقول (سعيد لرؤيتك)

– (السعادة هى لقاؤك)

– (معلوم)

– (حسنا ، حسنا)

– (لم تتغير فى الواقع)

تنظر إلى وتقول (هل تحطمت ، أو كبرت قليلا ؟)

– (فقط أكثر بدانة)

– (كيف حالك بالضبط ؟)

– (لا أعلم ، أكبر قليلا ؟ أضعف قليلا)

– (متى جئت من إيران ؟)

– (من ثلاثة أيام)

– (بالأتوبيس ؟)

– (المرسيدس التعاونى ١٥)

– (هربت من الثورة الإسلامية ؟ لا .. لا . آسف ، أنت لا تهرب ، إن الهروب عملنا نحن الفراريج)

– (ليلى !)

وتضحك طويلا .

– (حسنا ، سمعت عن الحرب)

– (ما أسوأها !)

– (كيف ؟)

– (القذرون والمجانين .. والملاعين يضربون المـــدن والشوارع والمنازل والأبرياء) . ولأول مرة أجد من أحب أن أفتح له قلبى .

تسأل (العرب ؟)

– (الصداميون الكفرة)

– (من المقصر ؟ ومن تحاربه ؟ مع السعودية العربية ؟)

– (لا ، مع صدام حسين العفلقى الكافر)

وتضحك عاليا (وضح كلامك)

– (سوء حظ الناس الآن أن إيران بلد الورود والبلابل حين تتخلص من مشاكل ثورتها ، يحكم البلد المجاور مجنون مجرم .. مجنون آثم أى فعل لا يقدم عليه إذا حركوه)

– (ألم تصب بصدمة ؟)

– (لا)

– (إنك تكذب)

– (نعم)

تضحك قائلا (حسنا)

وأنظر إليها ولاتزال فاتنة وجذابة .

- (جلال أين تسكن الآن ؟ عبدان ؟ أو هاجرت ؟ أو تعيش على الهامش ؟)

- (على الهامش)

- (الأفضل للإنسان أن يعيش على الهامش من ألا يعيش من أصله).

ثم تخفض صوتها (من تراهم هنا من رجال ونساء يأكلون ويشربون ويرقصون ، نصفهم هرب من ثورة إيران والباقى فر من الحرب ، يعنى ..)

- (لا تكملى ، أنا فاهم)

- (أنا أيضا)

- (أما أنت فأتيت إلى هنا منذ ثمانية تسعة أعوام ، ولست واحدة منهم)

وتتأوه وتستند على مقعدها (أنا هاربة دائما من نفسى . فى داخلى ألف ثورة ومائة ألف حرب قذرة مجنونة) .

ويقول نادر بارسى الذى تنصّت فيما يبدو (عزيزتى ليلى : لم نأت هذا المكان بسبب العظمة والجاه - جئناه لنعتصم به من سئ الأحداث) فترد ليلى (بم أرد عليك ياسيد بارسى ؟ أعتقد فيما يخصك أنك أتيت تعتصم بهذا المكان فرارا من زوجتك ..)

ويحمر بارسى (العفو ياليلى هانم) ويرفع كأس الكونياك ويفرغه فى جوفه بكامله . لكنه لا يرفع عينه عن ليلى . ويأتى كريم بور بالمشروب المفضل لليلى آزاده ، كأس صغير فيه سائل أخضر اللون ، ويقول (برنو ، مع قليل من الليمونادة) فتقول ليلى (شكرا لا تزال متذكرا ..)

فيقول كريم بور (من يستطيع أن ينسى ... البرنو والليمونادة هو المشروب الوحيد الذى تشربه ليلانا)

- (وأشياء أخرى !)

- (ليلى آزاده أى شئ تريده أنا شخصيا أخلقه لها بروحى وقلبى)

- (فى نظامك القادم لن يوجد غير الخمر البلشفية الملعونة)

- (موجودة)

- (بالبونات !)

ويضحك كريم بور قائلا (من غير بونات أيضا)

وينصت نادر بارسى ويفهم من نظرته أنه لولا وجود زوجته أمامه لوقف ودق عنق كريم بور ، لكنه يتظاهر أمام ليلى آزاده بالرضا . وأنظر إلى آدل تجاوبت بحرارة مع اثنين من الرجال الدكتور قاسم خطيبى وكاظم مكارمى . ومنذ أن أتت ليلى وجلست بجوارى بدأت آدل فى نصب فخاخها . وتقف ليلى وتذهب ناحية السيدة علايى وتجاذبها أطراف الحديث مدة ثم تعود ثانية . أظن أنها تستكشف حقيقة آدل من أصلها (إذن لك خطيبة أنت أيضا !)

- (روح واحدة فى جسدين)

ويقترب إلى مقعدى رجل طويل القامة ينادونه السيد العقيد جواد علوى ، وبتواضع جم يستفسر عن أحوالى . وأظن أنه أتى هو الآخر لاجتناب اهتمام ليلى، ويخاطبنى بقوله :

- (أنا المخلص علوى يا آريان بك)

- (تحت أمرك)

- (سيادتك لا تزال فى شركة النفط)

- (نعم)

- (شركة النفط لاتزال موجودة ؟ سمعت أنهم سموا شركة النفط (شركت رفت) (الشركة التى ضاعت)

- (ماذا أقول ، لابد أن تشرف هناك وترى)

ولايضحك ويسأل (أين ذو الفقارى من عبدان ؟ وما حكايتها ؟ كان لى أخ - الملازم علوى - استشهد هناك !)

- (تهانىّ وعزائى)

وكانت ذو الفقارى ناحية سكنية حديثة البناء بالقرب من الجبانة أو كما يسميها سكان عبدان (التربة) ، هوجمت أواسط شهر آبان . ومعركة (ذو الفقارى) معروفة ، فأقول (ذو الفقار بجوار تربة عبدان) ثم يستأنف :

- (إذن اخترقوا وسط جزيرة عبدان)

- (دخلوا بالليل عن طريق بهمنشير بالكبارى المتحركة لكن الشعب والحرس والجيش أفنوهم وكان القتلى كثيرين جدا)

ويهز العقيد رأسه ، ثم يأخذ فى تحريك الشراب داخل الكأس (كم بلد احتلوه مما بقى من خوزستان ؟ نورنا يابيك)

- (لا أدرى ياسيدى)

عقيد بالجيش ويجرع خمر البوردو فى مقهى دولا سانكسيون ويطلب منى أخبار حرب إيران .

- (احتلوا ميدان تير فى عبدان؟)

- (أنا فى الواقع موظف بسيط على هامش الحياة ، لست رجل سياسة أو حرب .

نعم احتل العراقيون ميدان (تير) بعبدان ، وتقدموا حتى لم يبق أمامهم غير عشرين كيلو مترا من طريق ماهشهر)

ويغضب العقيد، لكنه يدلي ببعض المعلومات العسكرية والتكتكية ويتفوه بقدر آخر من السب والشتم على النظام ، ثم يعود إلى مكانه بالترحيب والملاطفة والتكليف وتخاطبنى ليلى (لاتغضب ، هل تحب أن نخرج ونتمشى ؟)

- (ماشى ، كما أن لدى مهمة)

- (وماذا عن خطيبتك ؟) وتشير إلى آدل (وسمعت أنك وقعت واقفا)

- (خطيبتى أحوالها تمام)

- (مخطوبان من فترة طويلة ؟)

وأنظر فى ساعتى (من خمسة وثلاثين دقيقة)

- (أين وقعت عليها ؟)

- (فى قلب شارع سان ميشيل)

- (جاءها البلاء !)

وننهض وتعلن ليلى آزاده أننا خارجان نتمشى فتتعقبها كثرة من العيون ويسألنى بارسى (هل ستعود ثانية ؟)

- (أظن)

- (. . . بخصوص تلك المسألة الاقتصادية ؟)

فتقول ليلى (لا تتحدثا بالألغاز)

فيقول بارسى (مسألة كنت وجلال نتناقش فيها)

- (لا تعمل حسابا لأى مسألة قط)

- (أعمل بقول فيتز جيرالد لهذه المسألة حسابا وهى أن الليلة لطيفة)

فيصحح كريم بور كلامه (الليلة طويلة ..)

ويكمل بارسى (والدرويش سهران)

فتقول زوجته (تحدث عن نفسك ، من فضلك ، والدرويش نائم . أنت بعد نصف ساعة من كثرة ما أكلت سوف يرتفع شخيرك هنا)

وتنهض من مائدتها الرئيسية فى ضحك كطلقات الرصاص ويتجه بارسى صاحب العين (الزايغة) إلى زوجته .

وتستأذن ليلى (أستودعكم الله الآن)

- (مع السلامة) .

- ١٠ -

بينما نصعد مباشرة إلى شارع سان جاك . تقول ليلى آزاده (عجيب !)

- (ما هو العجيب ؟)

- (رأيتك البارحة فى منامى)

- (وماذا كنا نفعل ؟)

- (جد ، رأيتك في المنام أننا كنا معا فى طهران)

- (كان كابوسا إذن !)

وتضحك (لا ، لكن هذا أمر عجيب فى الواقع ، كل هذه السنوات مضت، ثم لابد أن أراك البارحة فى المنام ، ثم أراك اليوم ، بعد كل هذه

السنين، فى نفس شهر آذر ، كل ما أعرفه نسيته الآن ، ثم فى نفس اليوم . تظهر !)

- (قلت إنه كابوس !)

- (لم يكن كابوسا إذ ذاك ياجلال)

- (لا . .)

وتلتقى نهاية سان جاك بشارع عريض يوازى شاطئ النهر . وعلى شاطئه الآخر تهطل بالنور كنيسة (نوتردام باريس) بأنوارها وبهائها لاجتذاب سائحى باريس ، وتتدحرج على سطح الماء قوارب النزهة البيضاء الفاخرة بأنوارها ولمعانها وتتردد بين ذهاب وإياب .

تسألنى ليلى : (جئت لتسافر بابنة أختك إلى طهران ؟)

- (إذا أمكن)

- (أليس من الأفضل أن تظل هنا .. حتى تتحسن ؟)

(لا أعلم ، أختى تريد أن تعود)

- (اسمع ياجلال ، احك لى عن كل شئ من البداية ، بداية ماحدث ، لأفهم ماجرى)

- (منذ حوالى ثمانية وأربعين سنة ، فى إحدى الليالى ، انجذب المرحوم الشيخ أرباب حسن وهو على سطح منزلنا..)

- (جلال ! ، ليس من البداية إلى هذا الحد ..)

- (من أول هذا الخريف ، ينفع ؟)

- (ماشى)

- (حين بدأت الحرب فى اليوم الأول من الخريف أو اليوم الأخير من الصيف ، كنت أعالج لمرضى فى المستشفى رقم ٢ بشركة النفط فى عبدان ..)

- (لماذا ؟)

- (للنقاهة من سكتة مخية ..)

- (غير معقول !)

- (لم أكن أظن أنه كان عندى)

- (ماذا ؟)

- (شئ يصاب بالسكتة)

- (لا تضايقنى ، ثم ماذا بعد هذا؟)

(فى الأسبوعين أول الحرب ، عندما استطعت الحركة وتهيأت أسباب الخروج من المستشفى ، لكن مع السيل المتساقط من الجرحى والقتلى على المستشفى ليل نهار ، دخلت بالتدريج ضمن القائمين بالمساعدة بالمستشفى كأحدالمرضى الذين بإمكانهم الحركة . ثم احتل العراقيون كل منافذ الخروج من الجزيرة ، وكنا مسجونين تقريبا .. وبقيت حتى أوائل شهر آبان . وفى أوائل الشهر اتصلت بى أختى الموجودة بطهران والمقعدة تقريبا بعرق النسا ، وعرفتنى أن ثريا أصيبت فى حادث وموجودة بالمستشفى فى حالة غيبوبة وموت وعلى أن أصل لها بأى شكل وأقدم لها يد المساعدة وقالت لى جمله لا تزال ترن فى أذنى. قالت (ليس لى فى الدنيا أحد وقبل أن يلفونى فى كفنى الأبيض ويدفنونى أريد أن أرى ابنتى ولو مرة واحدة !)

- (لا ياجلال ، لا تتحدث هكذا)

- (قلت لى أحك لى بالتفصيل عن كل ما حدث)

- (عارفة، ثم ما حدث بعد ذلك ؟)

- (ثم دخلت الليلة التالية مياه الخليج الفارسى عن طريق المنفذ الوحيد أى جنوب الجزيرة (من نهر بهمنشير) ولم يكن وقع بعد فى أيدى العراقيين ، مستقلا أحد القوارب القديمة ذات المحركات تحت طلقات الرشاشات وقذائف المدافع وانفجارات القنابل ، ودخلت ميناء ماهشهر ، ووصلت طهران عن طريق بهبهان وكازرون وشيراز لكى أرى مايمكن فعله لأختى وابنتها . هذا تفسير ماحدث وهذه المأمورية)

- (وتريد الآن إعادتها إلى طهران ؟)

- (لن أرجع بها إلا إذا تحسنت)

- (جميل)

- (ثريا نفسها كانت تزمع العودة ، كانت أنهت أعمالها وعلى وشك المجئ حين حدثت لها هذه الحادثة)

- (ماذا حدث لثريا بالضبط ؟ قلت أصيبت بصدمة مخية .. كيف حالها ؟)

- (سئ .. لا أدرى ، يبدو أن حدث لها نزيف بالمخ ، وقال الدكتور أن النزيف فى القشرة المخية وفى المحور الأوسط للمخ ، فى كل مكان منهما)

- (يا لطيف !)

- (نعم ، بنت غير عادية ليس لها مثال)

- (كم عمرها ؟)

- (ثلاث وعشرون . ثريا البنت الوحيدة لأختى ، ومات أبوها منذ سنوات)

- (لم تتزوج ؟)

- (من ؟)

- (ثريا)

- (لم لا ، تزوجت بإيران بعد أن نالت الليسانس من باريس من السوربون. ثم رجعت إلى إيران قبل الثورة بأربعة أعوام تقريبا . وتزوجت ، وكان زوجها ابن ناس اسمه خسرو إيمان ، حاصل على الليسانس ، وكان له عمل بوظيفة محترمة . وكانا متحابين)

- (ماذا حدث له ؟)

- (قتل فى المظاهرات قبل الثورة)

- (استشهد ؟)

- (أجل)

- (ثم أتت بنت أختك هنا ثانية لتكمل الدراسة ؟)

- (نعم ، قالت فرنجيس الأفضل أن تأتى لتكمل دراستها حتى تنسى زوجها خسرو . ثم عادت إلى إيران بعد سقوط الشاه أوائل عهد بازرجان . وكانت أتمت هذه المرة دورة نظام السنة الواحدة . وكانت تنتوى العودة . فى عصر أحد الأيام سقطت على الأرض بدراجتها ، وانشق جانب

رأسها ، ومن ليلتها وهى مغمى عليها)

– (هل عندها ما يسمى concusion ارتجاجا اصطلاحا ؟ أصيبت جمجمتها ؟)

– (نعم ، هى الأخرى)

– (فهمنى أكثر)

– (تحطم جمجمتها ليس مهما فيما يبدو . المهم مقدار الصدمة الذى أصيب به المخ . شرح الدكتور والممرضة باستفاضة لى هذه الحالة . يبدو أنه حدث لها نزيف داخل المخ ، كأن بعض النسيج اللين والبياض بنفس المخ تهتك أيضا كما ذكر الطبيب)

– (ياللفاجعة)

– (نعم إنها تمزق القلب)

– (والآن ماذا فعلوا ؟ !)

– (أخرجوا الدم من أسفل الجمجمة ، لكنا أصيبت بنوع من الارتجاج concusion يشل جميع حركات المخ . وضعوها فى الواقع فى (العناية المركزة) . اتصل كل جسمها بالأنابيب ووصلات الحياة للأكسجين والغذاء والبول والدواء . يعطونها أيضا الكورتيزون والسكر والفيتامين وغيره . ويجرى لها ثلاث مرات كل أسبوع تصوير لمخها بالأشعة أو EEG . كما يسجل لها شرائط لالتقاط خلجات الأعصاب SSR هم شغالون)

– (هل تعتقد أنها سوف تشفى ؟)

– (نعم ، سوف تتحسن)

– (حلوة جدا ؟)

– (جدا ، ربما فى حلاوتك)

– (بأى مستشفى ؟)

– (مستشفى المبرة (ڤال دوجراس) هل نطقت اسمه بدقة ؟)

– (نعم ، لى . أنا أيضـا لابد من الذهاب إلى المستـشـفى غـدا . مستشفى ساكركور)

– (لماذا ؟)

– (لكى يفحصنى الطبيب ، عملت عملية)

– (أى عملية ؟)

– (لا يمكن قول كل شئ)

فلا أسألها عن شئ وأتذكر كلام نادر بارسى أن ليلى مريضة وعملت عملية لم تذكر لأحد شيئا عنها . وأنظر إليها ، طأطأت رأسها . لا يمكن أن يخطر بخاطرى أن ليلى آزاده يمكن أن تصاب بارتفاع الحرارة فى باريس وهى الجميلة الشابة الثرية الصحيحة الجسد فكيف يصل بها الأمر إلى أن يجرى لها عملية جراحية . إن المرض نصيبى أنا ونصيب أختى وبنتها .

ونعبر ، قدما ، من فوق (بون نوف – الكوبرى الجديد) ثم نهبط فى طرفه الآخر عن طريق سلالم ونمشى إلى ناحية بعيدة عن شاطئ النهر . كل مكان خلى من الناس ، ماعدا بضعة من الشرطة هنا وهناك وحدهم وتسألنى (وأنت أحوالك الآن ؟)

- (لا تسألينى)

- (لاتزال وحيدا ؟)

- (نعم ،ومتعب)

- (لازوجة ، ولا ولد، ولا منزل)

- (لا نجمة ، ولا كأس ، ولا أى حاجة)

- (لماذا بقيت هناك ياجلال، أعنى فى عبدان وما حولها ؟ يمكن أن تغادر هذه المناطق . تعال هنا أو أى مكان آخر ، اشتغلت هناك سنوات طويلة ، يكفى هذا ، لماذا تظل هناك ؟)

- (أبداً ، ماذا كنت أعرف ؟ لم أكن أعمل شيئا . كنت بالمستشفى ، كنت نائما أتصفح كتابا ، نظرت وإذ بصدام يلقى قنابله وصواريخه ، أنت كيف أحوالك ؟) وتتأوه وتنظر إلى الماء (مقهورة)

- (قال بارسى إنك بعد افتخارى .. تزوجت مرتين أو ثلاث مرات أخرى ... هل كنت تجمعين مجموعة)

- (نعم ألبوم من الأزواج القساة .. أيام أن كنت معى كنت أتمنى بشدة أن أكون زوجتك)

- (لا ! ..)

- (ولما لم تتزوجنى ، يعنى .)

- (لم أتزوجك ؟)

- (إنس الموضوع)

- (لماذا ؟)

- (لم يكن الأمر بهذه البساطة)

- (أولئك الذين تزوجت منهم فاجأونى تماما بما لم أكن أتوقعه ، كانوا فى غاية الإثباط أو كما يقول (فريدون توللى) واحزناه كل من تعلقت بحبه .. ظننت أنه ..)

- (هل أنت حزينة الآن ؟)

- (لست حزينة)

- (هل يوجد فى حياتك أحد الآن ؟)

- (لا .. لا فى الواقع)

وتطرق صامته ، شئ بداخلها يعذبها .

- (هل ألم بك شئ ؟)

- (لا شئ)

- (هل تتألمين من شئ ؟)

- (سوف أذكر لك بعد ذلك . واحدا اسمه الدكتور عباس حكمت حتما سمعت باسمه . مؤلف مشهور)

- (بلا شك ، مؤلف « شمع شبستان » و « خاك درميكده » .. أين هو الآن ؟)

- (يعمل بلندن ، يريد أن يأتى ويأخذنى معه عاما لأساعده فى تأليف كتاب من أربعة أجزاء حول إيران . يؤلف لناشر إنجليزى . ربما أذهب وربما لا .. لم أفكر)

- (جميل)

وبعد مدة تحب ليلى أن نصعد السلالم التى تلتقى بساحة يظهر أن الركاب يركبون فيها القوارب الأجرة فى نهر السين .

- (هل تعلم أننى هنا منذ سنوات ولم أركب قاربا منها)

- (تريدين ركوب واحد منها ؟)

- (وأنت لا تحب ؟)

- (ماشى)

- (لا تريد ؟) وتنظر إلى

- (ماشى ، هيا ، أنت أحر جتنى بالقدر الكافى)

- (مرسى ياجلال)

واذهب أمام شباك وأقرأ إعلان إرشادات ركوب القوارب ، ولم يمضِ وقت على تحرك القوارب حتى وقف فى ناحية بعض الأجانب الآخرين ينتظرون القارب التالى . وكان بضعة منهم يتحدثون بالأسبانية ، وأحد الجنود وحبيبته الهزيلة يتغازلان . ووقف ثلاثة من الهنود صامتين فى ناحية أخرى . والنهر يتماوج فى موجات رقيقة وينساب جاريا . وتنشر المصابيح الكهربية أنوارها . والليل ساكن والدنيا هادئة .

وبداخل شباك التذاكر جلست إمرأة شابة ترتدى معطفا كحليّا كالملاحين وعلى رأسها قبعة صغيرة بنفس اللون فوق شعرها الذهبى . وجهها كالبنجر الأحمر من البرد . تقرأ جريدة (فرانس سوار) ، وكأغلب النساء الباريسيات بدأ وجهها مزورا وإن كان بريئا كالأطفال .

وقبل أن أمد يدى بداخل جيبى تنادى على من الخلف ليلى آزاده

- (لا ، إنس ، تعال نتمشى)

- (لا تحبين ؟)

- (غيرت رأيى)

- (ماشى)

- (أخاف أن ينفد صبرك)

- (لا ..)

- (انظر إلى ، أنا ليلى آزادة المتذبذبة نفسها . البنت التعبانة المهووسة)

- (إلى أين نتجه ؟)

وتجذب كمّى (ننزل من هنا إلى شاطئ النهر . ومن هناك طوالى حتى حديقة (تويلرى) ثم متحف اللوفر ، ثم من جنب النتردام وسان لويس من الكوبرى ، ونعود إلى سان جرمان) .

- (ألا تحب فسحة بنصف فرنك فى ليالى باريس ؟)

- (لا !)

- (على كل حال أنا تبعك الليلة ، لم تسألنى عن أحدث ما ألفت ؟)

(ما هو أحدث تأليفاتك ؟) .

- (لاشئ . أنا مستاءة من أحوال إيران وأوضاعها . ولم يعد شئ فى إيران يحركنى)

- (لا تغالطى بإمكانك دائما أن تبدعى أعمالا عظيمة)

- (مع التغير الذى حدث فى المجتمع الإيرانى ، ولايزال مستمرا من يطلب بعد ذلك إنتاجى ؟)

- (آلاف القراء ، أعمالك دائما مقبولة)

- (لم يعد هناك المجتمع الذى يجعل أبناءه يزدهرون . فعلا لابد أن ندخل شرنقة . ندخل غيبوبة)

- (غير ممكن يا ليلى !)

- (ليت معنا شيئا)

فأقدم لها علبة السجائر التى أعطاها لى نادر بارسى ، فتأخذ واحدة ، وأشعل ثقابا داخل يدىّ وأشعل به سيجارتينا .

تقول (سيجارة قوية جدا ، غالية الثمن أيضا) وتأخذ فى السعال .

- (من أين عرفت هذا ؟)

- (ليس مالا أعرفه من مثل هذه المواد)

- (هدية نادر بارسى . هل تعرفينه جيدا ؟)

- (جيدا)

- (لابد أنه أحبك كثيرا ،كان ينظر إليك ولعابه يسيل)

- (يغور . بعد أن انفصل العام الماضى عن زوجته الفرنسية وقبل أن يتزوج زوجته الحالية، لف ورائى يتملقنى فترة . لكننى لا أحب هذا النوع من الرجال . فهو رزين، عاقل، بالغ، محنك، مفوه ، صاحب جواب على كل شىء ، أف !)

- (هل له منـزل هنا ؟)

– (شقة فخمة حديثة جدا فى شمال باريس ، لكن يبدو أن زوجته السابقة تريد أن تستولى عليها منه عن طريق المحكمة • ويريد بارسى بيعها وهو خائف . كأنه يريد أن يعمل بها صفقة . سمعت أن أكثر ثروته أودعه فى بنك باركلى بلندن)

– (لكنه كان يقول أنه وشلّته هم (الجيل الضائع) لإ يران ، مثل الجيل الضائع عند همينجواى)

– (يهذى . همينجواى مات ، وجيله الضائع مات • وهذا الآن من ثقافة مختلفة . أولئك كانوا أساس شعب مختلف • عاشوا قبلنا لستين سبعين سنة . نحن بدلاء أيضا) ثم تتأوه وتقول (ربما نحن ضائعون تائهون •• نحن داخل باريس . نسير غائبين عن الوعى . نستقل التاكسى . نتجالس فى المقاهى . نشرب معا البرنو . نتحادث . نحن مشتتون متشردون . ربما نكون فى عالمنا المختلط البديل الجيل الضائع)

وانظر إليها ويهتز شعرها مع الهواء المعتدل الذى يهب من النهر . وجهها الآن فى ظلال أنوار ليل باريس ، على أرض عمارات (دكورفار ال دولاسيتيه) كوجه أحد شخصيات تلك الروايات أو أنها تحاول أن تكون كذلك •

تقول (والآن وقد أتيت فأنا هنا (ماريا) لك فكن أنت أيضا (روبرت جوردون)

– (غير ممكن ياليلى !)

– (أنا أهذى الآن)

– (صدقت كل شئ مختلط مبدل)

– (لماذا– كيف كانوا فى أسبانيا ؟)

– (ماريا كانت فدائية . قصت شعرها لكيلا يجمع القمل)

– (حسنا ، أقص شعرى من أجلك ألاجارسون أو مثل ماريا بحيث لا يجمع القمل)

– (لا تغيرى فيك شيئا ، كونى بنفس الحالة التى أنت فيها يابنية)

– (ماشى)

– (هل تحبين أن نتحدث عن نادر بارسى ؟)

– (لا ، عليه اللعنة ... شئ داخل مخى يتلوى كالأفعى)

إنها سجائر بارسى الملعونة . حالة (التواء الأفعى) بدورها شديدة فى رأسى . وتقف ليلى تحت شجرة وتستند إليها (تعال ودخن بقية السجائر)

ويشتد هبوب الرياح الباردة على شاطئ النهر والشجرة التى تقف تحتها عارية ضربها الخريف فلم تعد ساترا يحمى .

– (كبرنا وعجزنا نحن الاثنان ، لكنى أؤدى دور بنت المدارس الظريفة)

– (أنت ماكبرت ، أنت سجادة كرمانية)

– (قل أنى سجادة من اللباد من جعفر آباد)

– (سجاد كرمانية)

– (لا يمكن أن أكون سجادة كرمانية ، ممكن سجادة شيرازية)

– (على كل حال أنت خمر صافية !)

وأشعر بإحساس طيب وأشرب سيجارتين معا ، وأملأ موتار رئتى مثل

السيارات ذات الكاربراتيرين ، وأطرد الدخان من ماسورتى تصريف أنفى ، أشرب بتؤدة وتباطؤ .

- (أنظر إلى شعرك .. خصلة منه ابيضت)

وأخرج نفسا طويلا (مع أنى شيخ ....) *

- (جلال هل تعتقد أن الإنسان يدفع ثمن أعماله الماضية ؟)

- (لا)

ويقترب وجهها من وجهى . ما تزال فى جاذبيتها القديمة . وأنظر إليها . وتهتز فجأة كأن أفعى لدغتها .

- (ماذا حدث ؟)

- (لا شئ . أنت لا تعرف ..)

- (ما الأمر ؟)

- (أنا سيئة الحظ)

- (كيف هذا ياليلى ؟)

- (سوف أحكى لك فيما بعد ، من الخير ألا تعرف)

- (قلت هناك شئ ما)

- (طبعا هناك شئ) وتتأوه آهة طويلة (قلت أننا نكفر عن أعمالنا الماضية .. لكننا نكفر عنها)

- (اطرحى هذه الأفكار بعيداً ياليلى)

---

* إشارة إلى بيت لحافظ الشيرازي معناه :

برغم أنى شيخ فضمينى إلى صدرك ذات ليلة . حتى أستيقظ عند السحر شابا (المراجع)

- (إذن لماذا نكابد ونقاسي إلى هذا الحد ؟)

- (تعالى نجلس على هذه الأريكة)

- (ماشي) ونتوجه إلى الأريكة ونجلس . ولا يظهر لنا داخل المقهى كأنه أصابة الإعياء والتعب . وتزداد الحيرة .

ثم أخاطبها (من يرى حياتكم هناك داخل مقهى لاسانكسيون لا يمكن أن يصدق أن تكونوا متعبين قط في الحياة . يعني إذا قارنا حياتكم بحياة الناس داخل عبدان وخرمشهر والخويزة ودهلران وشوش ودزفول وعيلام وسومر ونفت شهر وجيلان غرب قصر شيرين و ..)

فترد (هص ... أعرف)

- (أنا واثق أنك فاهمة)

- (لكن كل واحد له المعادلة الجبرية لمصيره ، جلال .. قلت أنت نفسك هذا الكلام ، أنا فاكرة)

- (حسنا ، لكن قارني)

وتصمت مدة ، وتنظر إلي ، لكن لاتنظر إلى رأسي ووجهي وحسب وأنما كأنها تتعمق روحي وأعماقي : وتسأل (ماهي أحوالك في الحقيقة؟)

- (أعيش) .

- (هل عوفيت تماما من تلك السكتة المخية)

- (تقريبا)

- (ليس لها آثار جانبية ؟)

– (ليست كثيرة . فقط حينا لا تستجيب ذاكرتي بسرعة كما كانت في الماضي)

– (أمـــر عادى ، عمى الذى أصيب هنا بسكتة مخية اختلت ذاكرته قليلا)

– (ما أسوأها ! الشئ الذى أحب أن أتذكره فورا ، يمكن ألا يرد على ذاكرتي . لكن الأسوأ من هذا أن المشاهد التى لا أحب أن ترد إلى ذاكرتي حينا فجأة تهاجمني وتظهر لى) .

– (أغلب مشاهد الماضى تتجلى أمام ناظرى)

– (مشاهد قديمة جدا أو المشاهد الأخيرة والحرب ؟)

– (أغلبها المشاهد الأخيرة)

– (هل تأتيك فى المنام ؟)

– (تأتى لى أثناء النوم . لكن العجيب أنها تأتينى فى اليقظة ولا تتركنى . فمثلا بالأمس ماذا حدث ، كنت جالسا وحدى بالمستشفى استولى على سائر ذاكراتي مشهدأحد الأيام وقت الغروب وكنت فى مستشفى عبدان إذ ذاك ، ظللت دقيقتين أحيا ذاك المشهد)

– (حدثني عن الحرب)

– (لا)

– (قل)

– (لا تريدين أن تسمعى)

– (أعلم ، ليس لدى أى إحساس بالثورة والحرب . ولا أحد منا هنا يشعر بهما)

– (أنت غير مذنبة شخصيا ، فقد هاجرت من إيران قبل ثورتها وحربها مع العراق . كنت فى موقع الاختيار واخترت لنفسك البلد الذى تقيمين به ، كما تختارين بنفسك أزواجك)

– (أوه ؟)

– (أوه)

– (صف لى إذن)

وبرأسى دوار وشرود .

(سوف أحكى لك الآن مشهدا . بعد شهر من بداية الحرب تقريبا كنت فى عبدان . ولم يكن إذ ذاك العراقيون قد أتموا حصارهم لعبدان . وكانت أفواج العاديين من الناس تترك كل شئ وترحل . وكان طريق ماهشهر لا يزال بأيدى الإيرانيين . كان داخل المدينة فى الواقع منطقة حرب . كل مكان كان يمتلئ بالدخان والنار .

وكانت سحب الدخان الكثيفة ترتفع من مصفاة النفط ليل نهار . وكان الدخان والنار يرتفعان أيضا من مخازن نفط باوردة . ولم تكن أصوات انفجارات القنابل وصواريخ المدفعية البعيدة المدى تنقطع . حتى المستشفى ضربوه بالمدفعية. وفى عصر أحد الأيام حين كنت موجودا بالمستشفى ذهبت لأساعد بعض طلبة كلية النفط وكانوا يقومون بالإسعافات . وأتى عامل أصيب فناء منزله بصاروخ كاتيوشا ولقيت زوجته مصرعها وأمه

وأولاده الخمسة كذلك بسبب الانفجار الشديد . وكان وقتها داخل المطبخ فأصيبت قدمه ولم تكن حالته سيئة جدا . وأتوا بجثث امراته وأمه وأطفاله بسيارة الجيب . وكان هو نفسه بأحد جوانب السيارة جالسا ومعه علبة كارتون مكتوب عليها (بوزو مملح) وأعطاها وهو يبكى لأحد الطلاب فسأله بعطف الطالب وكان على علم بما وقع له (ما الذى بداخلها ياوالدى ؟) فقال العامل وهو يضرب رأسه بقبضته (لا أعرف من صاحبها) . وكنا نعتقد فى البداية أن بداخلها البوزو وفتح الطالب أعلى الكارتونة ونظر . وكان العامل يكرر قوله (لا أعرف من هو صاحبها) . وكان بداخل الكارتونة يد لأحد أطفاله انفصلت عن كتفه بسبب شظية فيما يبدو . وكان العامل يضرب رأسه ويقول (لا أعرف من هو صاحبها) .. وهناك كثير من هذه المشاهد .

- ١١ -

ليلى مطأطأة الرأس ، أظن أنها تبكى لكن حين ترفع رأسها تكف عن بكائها ، إلا أن وجهها كساه الخوف والشرود .

تقول : (لابد أن نبقى هنا وندون هذه المشاهد ..)

- (جائز)

- (لا أن نجلس داخل مقاهى باريس ولندن وغيرهما ونقرأ الشعر والتأهاوت ونواح الخمر والمشرّب بإذاعة صوت أمريكا وإذاعة بى بى سى)

- (يجوز)

- (هل تريد أن تسمع شيئا أكثر إفزاعا ؟)

وأنظر إلى عينيها . أنها حقا ترتعش الآن . لا أمد يدى لها .

- (هل تريد أن تفهم سبب أن جسدى يرتعش كالصفصافة حين نظرت إلى بمثل تلك النظرة ؟)

- (نعم)

- (قلت ربما الأفضل ألا تسمع – لكنك تريد أن تعرف ؟) وأظل مطرقا

(واحد اسمه نصرت زمانى ، حتما سمعت اسمه ، كان ينظم الشعر أيضا ويمثل فى الأفلام الإيرانية مشاهد الضرب . كان هنا هذه السنة ، وربما لا يزال باقيا هنا مع أني سمعت أنه هرب من الشرطة الفرنسية وذهب بريطانيا . فى ربيع هذا العام كان يحجل كثيرا ورائى وحولى . وكنت أشعر نحوه بالكراهية ، لكن فى عالم الحرية والمزاح التى أعيشها لا أعرف قول لا للرجال وكنت أتحدث معه كباقى الشلة أضاحكه أى أنى كنت امرأة اجتماعية . وكان يظن أنه يستطيع أن يفعل كل شئ . وفى بعض مرات رفع ورائى داخل المقاهى صوته ولعب دور ابن البلد الفتوة . ومنذ شهر ونصف تقريبا ، كنا ضيوفا فى إحدى الليالى بجمعنا عند الدكتور متين ، وهو مدير سابق لإحدى الشركات الأجنبية ثم هرب وله حدائق وضياع خالية وكئيبة، فى مسكنه خارج بورد يتالى بجوار أتوبان A - 6 . وأسرفنا جميعاً فى الأكل . ونصرت هذا من أولئك الإيرانيين الذين يعتقدون أن المرأة ماهى إلا خرقة تنظيف يجب الاحتفاظ بها فى ركن والاستفادة منها حينا ثم رميها وإخفاؤها فى نفس الركن .

الخلاصة كان تلك الليلة يلف ويدور حولى ... وفى نهاية الليلة قال إنه سيوصلنى البيت بسيارته . أنظر كيف يدق قلبى بشدة حين أقص

حكايته . ولا أعرف كيف وصلنى ابن الكلب بحالته تلك ولم يقبض عليه البوليس بسبب حالة قيادته للسيارة . وكنت أنا نفسى فى حالة طينة وغلبنى النوم داخل السيارة وأمام باب البيت قال إنه يريد أن يصعد لإجراء مكالمة تليفونية . وحين أراد الصعود أتى بزجاجة ويسكى مفتوحة . الخلاصة صعد وجلس وشرب خمرا . ثم دخل غرفتى وهو فى حالة سكر شديدة وبيديه زجاجة الخمر المفتوحة التى شرب منها وكأسان . ويقسم ويحلف أننا لابد أن نتزوج . أننى لم أقص هذه الواقعة حتى الآن لأحد وأنت الشخص الوحيد الذى تسمعها لأول مرة . قلت له حالتى سيئة ويمكن أن نتحدث فى هذا الموضوع بالغد . وكان يزيد فى اجتراعه الشراب ويزداد شهوانية ويتحدث .

ولا أعرف بماذا كنت أرد عليه لكنى كنت لا أريد منه إلا أن يكف عن الكلام ويخرج أو على الأقل يدخل غرفة أخرى ويتخمد ينام . وفى ذلك الوقت لم تكن أختى (برى) فى باريس وكانت سافرت إلى زيورخ . كما كان أبى وأمى فى مرسيليا .. الخلاصة رأيته ممسكا بزجاجة الخمر بعد أن أفرغها فى جوفه ويهددنى . لا أعرف لماذا لم أصرخ وألم عليه الجيران . كنت أسبه وأشتمه وحسب ثم اشتعل غضبة وزاد شره فدق ببطن الزجاجة الحائط وكسرها نصفين وكان نصف الزجاجة المكسورة وعنقها داخل يده..)

وتطرق صامتة . فى هدأة الليل الحالم ، على شاطئ نهر السين الهادئ ، تنزلق على صفحة الماء قوارب بيضاء كبيرة أخرى ، وتذهب . علق على كل شبر من القارب مصابيح غاية فى الجمال ويهب من داخلها

أصوات الموسيقى وصوت النسيم البارد معها . والأعلام ذوات اللون الأحمر والأبيض والأزرق الفرنسية تتماوج برقة بشكل نورانى بأعلى الصوارى مع نسيم الليل العليل .

(مكثت شهرا ونصف شهر بالمستشفى . أخذت ثمانى عشرة غرزة فى جسمى خارج الجزء الأسفل من الكبد .. ولم أعرف ماذا فعلوا بداخل جسمى وأنا بالمستشفى ..)

- (همص)

(فهمت فقط الآن .. فهمت ماذا جرى لى)

قلت (ابن الحرام هذا أين هو الآن ؟ فى بريطانيا ؟)

- (نعم . أشعر الآن أننى لم أعد ثانية كما كنت ، أحس أن هذا الشئ الذى كنته ، تمزق وانقهر ومات) .

- (لا تكونى طفلة يا ليلى .. طبعا أنت كما أنت ، تحدث الحوادث .. منها الهين ومنها الفظيع)

- (أنا لا أهتم به . أنا أفكر فى نفسى ، فكرت فى نفسى ، كان الذنب ذنبى) .

- (اخترت يا ليلى الطريق الصعب للحادثة . طريقها السهل أن الإنسان دائماً يعلق كل شئ بأعناق الآخرين)

- (كنت أفكر فى نفسى الأيام و الليالى التى قضيتها بالمستشفى . كنت أفكر فى نوعية الحياة التى عشتها من الرابعة عشرة والخامسة عشرة والتى وصلت بى فى النهاية إلى هذه النهاية - لكنى لم أكن أفكر بهذه

السرعة . أى حريات وعدم انضباط وتقيد هذه التى لم تتمتع بها فى إيران البنات فى السابق .. أو على الأقل كنت أتمتع بها .. الفلوس الكثيرة .. الحرية الزائدة . يعزنى الجميع . كان أبي يحب اللّهْوَ . أمى كانت بنت فلان السلطنة لشيراز . وأنا نفسى كنت طفلة شقية . بعثونى وأنا فى السابعة عشرة إلى فرنسا عند عمتى ، كنت أسافر وأعود. وتزوجت فى التاسعة عشر بأكبر مخرجى الأفلام الإيرانية فى عهده كما وصفوه . وكنت كلما أذهب إلى طهران حديث المحافل . كنت أترجم الكتب وأؤلف القصص وكان الناشرون وكل من يعمل بالسينما والتليفزيون يحجلون ورائى ويتملقوننى . كنت بداخل نفسى وحيدة وحزينة لكن الأمر يختلف حين يوجد الشراب والرقص و المتملقون . لم يكن عندى هدف ولا إيمان ولا معيار ولاقيمة .. فقط أفرح ، أشرب ، أقرأ الشعر ، أعشق ، لأننا نموت بسرعة)

فأقول لها (كأنك الآن تغيرت)

– (لا ، فقط أشعر بالانهزامية)

– (لماذا . أنت تتحدثين بانطباع جديد)

– (لا .. أنا كما أنا . ألم ترنى الليلة . أن الإنسان لا يتغير من الثلاثين فصاعدا .. وأنا الآن فى السابعة والثلاثين)

– (هذه الفكرة خاطئة يا ليلى . الإنسان بإمكانه أن يتغير ، إلا إذا لم يحب)

– (وأنا لا أحب)

– (جد فى الأمر جديد الآن)

– (إذا أردت فلن أستطيع)

– (ربما لا تستطيعين التغير مع هذه المجموعة التى تصاحبينها . ويعلم الله أنهم شلة مشتتة ومتشردة وجيل ضائع كما يقول بارسى ، ألا يعرفون ذلك ؟)

– (لا ، لا أحد يعرف . لا أظن . فى تلك الليلة وصلت بعربة إسعاف إلى مستشفى خاص . عمتى وزوجها الفرنسى هما فقط يعرفان ماحدث . حتى أبى وأمى فى مرسيليا لا يعرفان شيئا . وهذه هى ميزة الغربة على الأقل . يمكنك إذا أردت أن تكون لوحدك ومنعزلا ، وتهزل وتموت ولا يدرى بك أحد . حتى أختى (برى) الموجودة هنا الآن لا تعرف شيئا قنعت فيما يخص نصرت زمانى بإبلاغ البوليس بالحد الذى يتعلق بى . لم أحب أن تثور ضجة أو ضجيج . هو نفسه من بعد تلك الليلة اختفى تماماًوفجأة . ولما عرف كريم بور وبارسى والدكتور كوهسار وبهمن قرا كوزلو بعد ذلك بثلاثة أسابيع ، لم أقل لأحد منهم شيئا، فجمح بهم الخيال وتصوروا أسوأه ، أى ظنوا أننى عملت عملية إجهاض)

– (والآن كيف حالك ؟ وبم تشعرين ؟)

– (لا أعرف . أشعر أن كل شيء أصبح تماما الا أنا لم أعد امرأة كاملة)

– (لا تكونى طفلة .. ألا تشعرين بالبرد)

– (أشعر فقط بجفاف حلقى)

– (هيا نذهب . وخذى شيئا فى أى مكان)

– (نعود إلى سانكسيون .. نرى ماذا تفعل شلة التشرد و التشتت)

- (ماشى)

- (وأكمل لك بقية فسحة الليل التى بنصف فرنك)

كانت صادقة ، فهى لا تقبل التغير .

ونصعد سلالم شاطىء النهر ولابد من اجتياز الشارع أمام اللوفر الى الشرق.

وتقول ليلى (نرجع بالتاكسى ، أشعر بالتعب)

- (ماشى)

ونذهب الى الشارع وننتظر تاكسيا . الشارع خال .

- (ذاك المبنى العالى والأسود الذى تراه قصر العدالة . و آخره القسم الذى سجنت به مارى انطوانيت قبل إعدامها)

- (حسنا فعلوا)

- (جلال - لا تكن سفاكا !)

- (تعالى ، هذا التاكسى خال)

ويقف التاكسي ونركبه وتذكر ليلى العنوان . وسائق التاكسى امرأة حملت كلبها بجوارها في المقعد الأمامي . وتتحرك من ميدان شاتليه من خلف كنيسة نوترد ام ومن الطرف الشمالى لجزيرة ايل سان لويس الصغيرة وتعبر الكوبرى . وتستمر ليلى فى حديثها . كل من الكنيسة والجزيرة منيرة مضيئة بإجلال . وتلمع الجدران العالية الحجرية بانحناءاتها الصغيرة فى النور غير المباشر . وحديقة الكنيسة وعمارتها القديمة نظيفة صافية وهى من البهاء والأنوار الكهربية ومنظر البانوراما مالا يجعلها تبدو للنظر أنها مكان

دينى وللعبادة والدعاء . وينعطف التاكسى من نهاية الجزيرة من فوق كوبرى (بون دوسولى) إلى داخل شارع سان جرمان ، ثم يدخل من تقاطع مناسب شارع سان جاك . وتقترب الساعة إلى الثانية عشرة . وننزل أمام مقهى سانكسيون وتدفع ليلى بإلحاح شديد أجرة التاكسى . وأريد أنا بشدة أن أستأذنها للانصراف .

- (الأفضل أن أعود للفندق ، وأنام)

فتقول (أدخل ، كل قطعة حلوى ، إشرب فنجان قهوة)

- (لا ، رقم تليفونك بدليل التليفونات ، ولابد أن أتصل بك)

- (ألا تحب أن ترافق خطيبتك ؟ مداموازيل فرانسوا ميتران)

- (لا ، لا أحب الدخول بسبب نفس هذا الأمر)

وتضحك (قلت لك طلب عندى)

- (طلب ؟ نعم . أختى تحب أن ترسل مقدارا من النقود لنفقات مستشفى ثريا ، حدود مائة ألف فرنك .. طبعا ليس عندها وسيلة لكى تخرج النقود . هل تعرفين بدقة من بين أصدقائك من هو أهل للشغب ؟)

- (أنا عن نفسى أستطيع أن أدفع قدرا من النفقات)

- (لا . لو أعدت كلمة واحدة ثانية مما قلته فلن أتصل بك مرة أخرى)

- (لماذا ؟)

- (أنا لا أتحدث فى النقود مع من أحبه)

- (لا تكن سخيفا !)

- (إذن انتهينا من هذا الموضوع)

- (طيب ، فيه اثنان أو ثلاثة)

- (من الجيل الضائع ؟)

- (نعم ، الأستاذ الدكتور كوهسار يؤدى هذه المأمورية ، وبارسى نفسه يمكنه أن يقوم بها . وكذلك بهمن قرا كوزلو . والعقيد الدكتور أفشار . تعال وتحدث مع واحد منهم خفية) .

- (سوف نرى)

وبناء على هذا ندخل ثانية مقهى دولا سانكسيون .

غادر أغلب المجموعة الإيرانية وتركوا المائدة الكبرى ولم يبق غير مجيدى وزوجته واثنان ثلاثة آخرون . وزاد عليهم اثنان أو ثلاثة آخرون أحدهم رجل مكتظ القوام غليظ القد جدا يظهر أنه حين نتعارف سعادة أركان حرب دكتور قائم مقامى فرد .

يعرف جيدا ليلى آزاده . ثم رجل متوسط العمر متواضع وأظنه سائق الدكتور أو حارسه . وأطلب فنجان كاكاو باللبن وتطلب ليلى البرنو . ويطلب أركان الحرب (تيمسار) بأن يأتوا إليه بزجاجة كاملة برنو على المائدة الرئيسية ، مع أنه يعتقد أن السيدات يجب ألا يشربن غير الشامبانيا ، لأنه نفسه يحب البرنو.

يقول (نمشى من هنا إلى منزلى ، عزيزتى ليلى ، وهات صاحبك معك أيضا)

- (صديقى دخل بالعافية يريد العودة لينام)

- (النوم ... لا تهزلى ياعزيزتى ! أن النوم يكون بعد الموت ! بعد الموت نذهب فى النوم !)

(أشرب الخمر فسوف تنام تحت أطباق الثرى) ونغمة كلامه العشقى الشعرى هى نفس نغمة الأوامر العسكرية . وميدان نضاله هو مقهى دولاسانكسيون . وتقول السيدة مجيدى (لكن السيد آريان خفيف الظل ، برافو) ويقول مجيدى (نعم ، لكن مداموازيل آدل فرانسوا ميتران انتظرته طويلا !) وتقول زوجته (لسانها مثل المبرد ، خاصة ألفاظها السوقية ! كانت تكيل سباب أحط ميادين باريس) .

ويكمل مجيدى (وطبعا الدكتور قاسم خان خطيبى واتاه الحظ معها) وأحمد قندى ببابيونه والراديو الكاسيت الترانز ستور السابق الذكر ، يذيع الآن البرنامج الفارسى من إذاعة أمريكا ويبدو أنه مسجل . يقول المذيع بصوت يثير الاشمئزاز ومن خلال صوت الموسيقى (السلام الحار الساخن منا من واشنطون العاصمة المشمسة للولايات المتحدة الأمريكية إلى الأولاد الطيبين والآنسات الوفيات الإيرانيات .. فى طهران ، سمنان ، الأهواز ، شيراز ، عبدان ، جلبايكان ، مشهد ، كرمانشاه ، وسائر مدان إيران الجميلة..)

وتسأل ليلى زوجة مجيدى (أين ذهب باقى الشلة ؟)

فيرد الدكتور مجيدى الذى تفهم لغته الفارسية أكثر فى عالم السكر (السيد نادر خان بارسى الذى كان النوم كابسا عليه ، أنهضته أمراته وذهبا إلى (بون دونوفى) ولابد أنهم يتخانقان على السرير بسبب الفلوس . والدكتور المهندس كاظم مكارمى استفاض فى إظهار معلوماته عن النظريات الفزيقية واينشتاين أمام آدل حتى نهضت فى النهاية من أمامه واصطحبت الدكتور خطيبى النونو . طبعا حضراتكم تعرفون أن خطيبى رافق زوجته إلى بريطانيا وتركها داخل مصحة عقلية مجانية .

وكاظم مكارمى الذى ذهبت امرأته تتفسح فى السويد برفقة ابن أخته ! ذهب بصحبة السيد الدكتور كوهسار وزوجته إلى منزل أركان الحرب فرخى طباخ صاحبة الجلالة . المهم ، أقلوا من الأكل هنا .. أنا لا أزال أفكر فى أن خطيبى النونو هل يستطيع أن يفعل شيئا ؟ ..)

– (أنا لا أتوقع نتيجة حسنة !)

– (وأنا لا أنتظر عاقبة حسنة !)

– (آدل كانت تريد آريان بك)

– (نعم، مداموازيل فرانسوا ميتران كانت تريد السيد آريان !)

– (لا ، قربة خطيبى النونو !) .

وترتفع الضحكات الصاخبة من كل مكان بالمائدة وتقول ليلى إلى زوجة مجيدى (نسرين ، إحكى لى عن كل شئ من طقطق للسلام عليكم !) (أخاف أن تموتى من الضحك) وتقول زوجة مجيدى (بارسى يعتقد أننا جمعيا (الجيل الضائع)بناء عن قول ذلك المؤلف من هو ؟)

وأنظر إلى ليلى .

ويقول مجيدى (نحن جمعيا بالزاكيون)

وتقول ليلى (بالزاك ياسيد مجيدى ؟ الجيل ضاع بسبب القيم الأخلاقية لبالزاك حسنا .. حسنا)

– (أنا عارف ؟)

ويقول الدكتور قائم مقام (كلنا جميعا بالزناكيون)

وأنهض واقفا

(عن إذنكم)

فتقول ليلى (جلال ! لا تَمْشِ الآن)

- (لابد أن أمشى)

- (طيب وذلك الموضوع ؟)

- (أى موضوع ؟)

- (تلك المسألة الخاصة بالمستشفى)

- (غدا أتصل بك بالتليفون)

- (ماشى)

- (فى العاشرة ، يناسبك ؟)

- (العاشرة ، مناسب)

- (إذن أستودعك الله)

- (ماشى ، مع السلامة)

واستأذن الجميع وأخرج . الحمد لله أن الشارع لا يزال باقيا فى مكانه . وأسير فى شارع مسولوبرنس ثم إلى فندق بالما الصغير وهو بدوره لا يزال باقيا بموضعه . أنا فقط المتعب الشديد الإرهاق .

- ١٢ -

الشاب الذى يعمل فى الاستقبال بالليل بالفندق كان يطالع كتابا . وآخذ مفتاح غرفتى وأصعد بالأسانسير . الغرفة دافئة وبدون أن أضئ اللامبة أخلع ملابسى وأنزلق وسط السرير . الملاحف بيضاء وخشنة لكنها ليست سيئة أيضا . وأفتح مذياعى الترانزستور بجوارى . وأتركه على إحدى المحطات الإنجليزية التى تذيع نشرة الأخبار والتعليقات السياسية ولا تزال رأسى بها دوار . ومع هذا أرفع سيجارة أخرى من فوق المنضدة بجوار السرير وأشعلها وأفكر فى ليلى .

وبينما أتمدد وسط الظلام ومطفأة السجائر على صدرى أدير مخى تدريجا وسط طبقات الدخان وأتركه شيئا فشيئا وسط الظلمة المنسالة بالغرفة. حين كنت صغير السن هربت لتوى خارج كوابيس (درخو نكاه) وشارع

شـابور .كنت لا أطيق الليل ولا أنام بدون نور وكنت أشـعـر بالخـوف . الخوف من أن تتـقـاطر عليّ في الظلام عفـاريت (درخونكاه) الملتـهـمـة وتلتـهم رأسي . لكن الآن لا أستـريح للنور . الآن النور يضـايقني . كـسـائر الأشياء الكثيرة التي كانت في الصغر مقبولة لكنها الآن مكروهة . الآن من خلال الظلمة أرى أشياء كثيرة ماضية أفضل مما كانت عليه حتى عفاريت الطفولة الملتهمة في درخونكاه ..

وحين أطفئ عقب السيجارة ، يتصاعد الدخان من سائر رأسي لشدة دوارها. لكن حين أغمض عينيّ تنقلب ثانية بين المنام واليقظة صورة ليلى آزاده وذكراها على قشرتي المخية .. ثم تختلط بها ذكريات أخرى ، ذكرى المرحلة التي عدت فيها إلى إيران بعد وفاة زوجتي وكنت فيها وحيدا وأسعى لكي أجد عـمـلا . ثم مرض أخي يوسف ثم وفاته . ثم في أحـد فـصـول الخريف حين كنت لصيقا بليلى آزاده .كانت طلقت لتوها من أول أو ثاني أزواجها وكـانت تبحث عن رجل خارج دائرة عائلتـهـا وأصـدقائها لتنفث همومها فيه وفي ذلك الوقت كانت تترجم كتابا صغيرا لمؤسسة نشر في طهران وكان لكلينا في تلك الدار صديق مشترك . كانت ليلى آزاده شابة مفرطة الإحساس والجمال . لكن كان معلوما أن علاقة دائمة لن تنشأ بيني وبينهـا ، لأنهـا هي من هي وأنا أيضـا البسيط البرئ . وإذ ذاك لم يكن في محفل ليلى آزاده أحد قط يبحث عن العلاقات الثابتة والحياة البسيطة. عالمها نشأ من الفن والإحساس والإبداع وجوهر العشق والتهاب الحياة . أما أنا فلم أكن غير احتياطي . تشاطرها أحزانها ، تسند رأسها إلى رأسك ثم تنظف بعد منفضات السجائر .

ويدق جرس التليفون جرسا قصيرا أو لعلى أرى حلما . لا أدرى كم نمت أو أن النوم غلبنى أو لم أنم أصلا . أقول لنفسى أتركه يرن ولا أرفع السماعة. لكنى أخشى أن يكون وراءه أمر هام . يمكن أن يكون من المستشفى أو من طهران .

ولا يدق الجرس مرة أخرى . أرفع على كل حال وسط الظلام السماعة .

– (آلو؟)

– (آلو ، مسيو آريان ، معذرة) صوت الشاب المسؤول مناوب الليل بالفندق

– (أنا صاح ، نعم ؟)

– (هنا سيدة وسيد ويريدان أن يريا إن كنت لازلت مستيقظا أم لا .. وبما أنك صاح فسوف يقابلانك)

– (أجل ، موافق)

– (إذن ليس لديك مانع أن يقابلاك ؟)

– (لا)

– (الصالة التحتانية مفتوحة)

فأسأله (ألم يذكر لك السيد والسيدة اسميهما ؟) رأسى من شدة دوارها وعدم النوم مثل قفص مملوء بالفئران تدحرج من أعلى درج له ألف درجة .

بعد لحظة وكأن سماعة التليفون تنتقل من يد إلى أخرى اسمع صوت امرأة تقول بالفرنسية (.. C'est moi أنا ..)

- (ليلى ؟ أنت)

(نعم Mais Ouiii ..)

- (أحوالك بخير؟)

ويبدو فى صوتها وكلامها أنها شديدة السُكْر .

- (نحن فى خير حال وأنا والتيمسار قام قام .. أنا والتيمسار الدكتور - آه أى اسم يجب أن أنطق به فى هذا الوقت من الليل - الدكتور قائم - مه - قام فـــرد وجناب حكيميان كنا نعبر أمـــام الفندق - قلت نطل عليك. لـــم تكن نائما ؟)

- (نائماً ، أى وقت للنوم وقد حل الصباح ؟)

- (ما أخبار رأسك ؟)

- (أظن أنها لا زالت متصلة بجسمى)

- (يمكننا أن نصعد إليك ؟)

لم أستطع فى وقت قط أن أقول لها لا (طبعا)

- (أو تحب أن تنزل ونركب سيارة التيمسار ونقوم بجولة)

- (ماشى)

- (إذن ، تعال)

- (أعطونى دقيقتين لما ألبس هدومى)

- (حكيميان مهتم بمشكلتك)

- (أى مشكلة ؟)

– (.. نفس تلك المشكلة)

– (تعتقدين هذا !)

وتضحك مقهقهة (طيب ، أسرع ، ثم سأشرح لك الموضوع)

ومع حالة رأسي ، عمل عظيم أن أستطيع أن أرتدى حتى سروالى . وألبس كذلك سترتى الشامواه . وانحنيت لأعقد رباط حذائى حين داهمتنى هجمة دوار أكثر قسوة أخذت تلف فى الجزء الأمامى لرأسى ، وأظن أنها هى نفسها . وأضع رأسى على الحائط وأغمض عينىّ . وبعد بضع ثوان يمضى دوار رأسى قليلا قليلا وأسمع صوت صعود الأسانسير الملاصق لغرفتى . ثم يطرق واحد باب غرفتى ، و أهمهم يالطف الله واسمع صوت ليلى (جلال)

– (من ؟)

– (أنا وحدى ، إفتح)

– (الباب مفتوح)

وتفتح ليلى الباب وتدخل بنفس قبعة المطر السوداء وشال العنق بأول الليل وتسألنى (لماذا تقف هكذا وتسند رأسك على الحائط ؟)

– (لا شئ)

– (رأسك مصدع ؟)

– (انحنيت لأربط حذائى ، فانصب الدم الجارى فى جهاز الدورة الدموية فى مخى) وتطلق ليلى آهة متكلفة . ويبدو أنه لا يجرى فى جهاز دورتها الدموية فى جسدها غير (البرنو) والليمونادة .

- (لم تكن نمت ؟)

- (كنت تظنين ماذا كنت أفعل يا بنية ؟) ثم أسألها (أحوالك أنت بخير ؟) (أنت متلألأة جدا !)

- (بخير ، لكنى عطشة) وأنهض وتتقدم وأسألها (تريدين كأس ماء ؟) أعلم أن هذا حمق منى .

وتنظر فى عينى ، عيناها مرهقتان حزينتان متألمتان .

(قلت عطشانة ولم أقل أريد أن أغسل وجهى ويدى)

- (أتيت هذا الوقت من الليل لتحكى لى هذه النكتة ؟)

- (لا .. السيد عباس أغا حكيميان تحت يريد أن تتحدث معه . أتى معه بدفتر شيكاته أيضا)

- (شكرا .. لكنى لست راضيا عن إزعاجك فى هذا الوقت من الليل)

- (لا تقل هذا الوقت من الليل .. تعال) هذه حالة ليلى آزاده . حين كنت أنظر إليها على شاطئ النهر كانت ترتعش كالصفصافة . لكنها الآن - وقد تركت رجلين وصعدت هى بنفسها لهيب مشتعل .

فأسألها (ماذا يريد الدكتور قائمقام ؟) .

- (أتينا بسيارته) .

وتجلس على السرير وتمشط شعرها . ثم تنقل بصرها فى جوانب الغرفة الصغيرة الخالية تقريبا . وبما أن شيئا حتما لا يدور فى عقلها لتتحدث فيه تقول (نظيفة)

– (كوخ) واستمر فى عقد رباط حذائى .

– (صغيرة قليلا)

– (عشت فى أماكن واسعة جدا . مثل المستشفيات . مثل المصحات العقلية)

– (المصحات العقلية ؟)

– (السنة قبل الماضية مكثت ثلاثة أسابيع فى عيادة نفسية فى شميران)

– (يابختك)

– (هل تعرفين التيمسار الدكتور منذ أمد طويل ؟)

– (هذه المرة الثالثة ومالطة تخرب)

– (من ضمن رجال السياسة أو المتلخبطين الأثرياء ؟)

– (الاثنين معا)

– (وقع فى حبك ؟)

– (ماذا أحكى فى هذا ؟)

– (هل هو دكتور حقا ؟)

– (لا ، كان طبيبا بالجيش .. درس هنا وأمضى بضع دورات فى الجيش . من نفس دورات الدكتور أيادى الطبيب الخاص لصاحبة الجلالة الشاهبانو ثم دخل مديرية صحة الجيش . ثم دخل رئاسة الجيش)

– (يعنى حرامى) – وأتممت عقد رباط حذائى .

– (ياليته حرامى فقط . بل هو مخنث جدا)

وتنهض وترتب ثوبها وشال عنقها

- (ننزل ؟)

وتحرّكمّى (ألا تريد أن تقبلنى ؟)

- (لا)

- (معك حق !)

- (لا تكونى حمقاء . كل فعل له وقته ومكانه)

- (هل تعرف ماذا اقترح علىّ قامقامى ؟)

- (لا)

- (هل تريد أن تعرف لماذا يجرى ورائى يتملقنى ؟)

- (لا ، لا أريد) وأحمل البالطو وأقفل الراديو الذى لا يزال مفتوحا ويذيع أسعار أسهم نيويورك وتغيير العملات وارتفاع قيمة الذهب فى نيويورك ولندن وهونغ كونغ .

وتقول ليلى (يريد أن يعطينى خمسين ألف دولار لكى أذيع من راديو الوطن رسالة . هل سمعت الآن كلمة : Prostituée Politique العاهرة السياسية ؟) .

- (لا لا لا مطلقا)

- (ألا تريد خمسين ألف دولار ، كم يكون بالفرنك الفرنسى ؟)

- (ليلى ! تتكلمين مثل النساء الغبيات ! بالله عليك لا تهذى !)

- (وماذا قلت ؟)

- (ماذا حدث لك ؟)

- (ماشى ، خلاص ، سوف أخرس ، لا تغضب)

- (هيا)

- (أرجو ألا تغضب !)

- (هيا بنا)

- (كانت نكتة ، قصدى أنكت والله العظيم)

- (عظيم جدا)

وأطفىء اللامبة ونخرج معا من الغرفة ونهبط لأسفل بالأسانسير .

وتقع عيناى على الجسم الممتلىء جداً للتيمسار الدكتور قائمقامى فرد بجوار رجل ضئيل الجسم له شعر كثيف على قفاه رمادى داكن مسشور بأحد أركان الصالة الضيقة النصف المضيئة كأنهما (لوريل) و (هاردى). وقفا أمام خريطة كبيرة لباريس بها خطوط المترو والملحقات . بجوارهما زهرية ضخمة بها شجرة (الميموزا) تشبه أمام جسم التيمسار الدكتور قام قامى شتلة شوكة الحسك . كان الدكتور قائم مقامى يضع ساقاً فوق ساق بصعوبة . وتقدم ليلى الرجل الضئيل الجسم باسم السيد عباس حكيميان ويبدو أنه تاجر سجاد في فيينا وفرانكفورت . ولا أمد له يد المصافحة . يتحدث باللهجة الغليظة اللورية أو بشئ يشبه اللورية الأصفهانية . التيمسار الدكتور سبق أن تعرفت عليه .

ويقول التيمسار (لنذهب ياعزيزتى ليلى . نستقل السيارة ونلف ونتكلم..)

- (ماشى)

- (صديقك كذلك موافق) وينظر نحوى ، فاغرا فاه .

- (ماشى و تفضلوا) أريد بأى طريقة أن يتعدا عن الفندق .

وسيارة الدكتور قائم مقامي فرد ليموزين مرسيدس بنز SEL - 350 كانت تنتظر في الناحية الأخرى للفندق ، الأبعد قليلا ، في شارع مسيو لوبرنس ذى الاتجاه الواحد . وحين تقع عين سائقه على جمعنا يخرج من خلف عجلة القيادة ويفتح بابين من أبوابها . ويركب التيمسار أمام وأجلس أنا وليلى آزاده والسمسار اللورستانى ، الذى عرفت بعد ذلك أنه من أبناءإليكودرز ، بخلف السيارة ، ليلى فى طرف وأنا بالوسط ثم حكيميان بالطرف الثاني - ثلاث فولات داخل قشرة واحدة . ولا أفهم حتى الآن بم يفيد حكيميان .

وحين نخرج من الفندق يربت حكيميان على ساعدى (المخلص مستعد للخدمة ياجناب المهندس)

- (شكرا)

لابد أنه استخدم لقب المهندس لأنه سمع أنى أعمل بشركة النفط .

ويقول التيمسار (حل موضوع الفلوس ثم نذهب إلى البيت ونكمل السهرة)

فيقول حكيميان (على عيني ياسيادة الدكتور . أنا المخلص مستعد وجاهز من تومان إلى مائة مليون لأجل خاطر عزيزى الجناب التيمسار والست الهانم آزاده. هو فقط يأمر.. كم يريد أن يخرج ؟) ويخرج دفتر شيكاته (لدى شيكات بنك كردى ليونيه وبنك باركلى شعبة باريس)

فأرد (لا أعرف)

وتتقدم السيارة من شارع سان جرمان ناحية الشمال وتعبر النهر ويبدو أن اتجاهها كان فى (كليشى) مستقر الأعيان فى ليلة من الليالى التى يبرد فيها الهواء في باريس لكنه هواء متجدد ، وتود لو كنت فى تل (ساوجبلاغ) وادى طهران .

ويقول حكيميان (لماذا تقول لا أعرف إلا إذا كان سيادتك لا تريد فلوسا هنا ؟) فترد ليلى (أخت السيد آريان باعت جزءا من أثاثها وتريد أن تدفع تكاليف مستشفى ابنتها هنا لكى ترجع إلى طهران. ويلزم لهذه التكاليف فلوس والنظام لا يسمح بإرسال الفلوس للخارج)

- (دعى النظام . إذا ذكرت الست الهانم المحترمة آزاده ، كم يلزم من الفلوس أعطيكم الشيك الآن حسب أمركم . بالفرنك ، بالدولار الأمريكى ، بالمارك الألمانى ، بالليرة الإنجليزية بأى عملة يريد . لا مشكلة . وأعطى رقم تليفونى لأخت سيادته الموجودة بطهران لتحول لى الريالات . إذا لم يكن معها فلوس فأنا فداها . وفدا الست الهانم المحترمة آزادة . وفدا التيمسار الأكثر معزة عندى من روحى . كم يريد من الفلوس ؟)

وأشعر بالحياء أمام كل هؤلاء لأن أتحدث في تهريب النقود . وأضيق بليلى التي رمتني فى هذا المأزق، حتى ولو كانت تتحدث الآن عنى كالمتحدث الرسمى ويشعر حكيميان والتيمسار بترددى. ولا يمكن أن أدعهما يعتقدان أني طفل في وعودى فأرد (ليس يلزمنى كثير . حدود مائة وخمسين ألف فرنك)

يقول حكيميان (ليست مشكلة إطلاقا . ياعزيزى ، أخرجنا فى هذا اليوم أحد عشر مليونا لدكتور اسمه طاغونى أستاذ بجامعة أصفهان أتى

هناعن طريق باكستان . بالأمس اشترينا في طهران عفش مرابى طاغوتى ومجوهراته التى تقدر بثلاثة وعشرين مليون ودفعنا له هنا نقوده بالدولار . ودفعنا مليونا ونصف مليون أيضا لأحد الأرامنة هنا ومنزله فى شارع ميرداماد بعقد بيع ابتدائي وحوالى ثلاثة آلاف دولار لولدين أرسلناها لصاحبنا إياه صاحب مؤسسة السيارات بلوس أنجلوس وحول الفلوس فى طهران) .

فيقول التيمسار (إذا أردت الآن أن تبيع تماثيل الأسود المنصوبة أمام البنك الوطنى بشارع الفردوسى فجناب حكيميان يعطيك شيكا عنها هنا)

ويضع التيمسار شريط أغنية لـ (دلكش) فى إستريو سيارته ، وتتغنى السيدة دلكش : لغيرك أنت أنا لا أسلم قلبى .. يازهرتى لا أسلم قلبى لغثاء وقذى . فيقول (دلكش تتحدث أيضا عن (التومان) ياسيد حكيميان . تقول لغيرك أنت أنا (تومن) لا أسلم قلبى)

ويضحك حكيميان ضحكة متكلفة (والله ماذا نفعل مع هذه الأحوال الخربانة ؟)

– (أوضاع خربانة ؟)

– (أى والله . انظروا ماذا فعلوا بهذا البلد ! كم كانت أحوالنا على خير ما يرام . كل مكان بإيران كان هادئا . كان بها الأمن . كان الأمان . كانت الحرية كان الناس يعيشون حياتهم كل أصناف البضائع كانت موجودة بالسوق . أى سوء ساقوا إليه الشعب المسكين !) وأنظر إلى ابن الحرام الملعون .

ثم أنظر إلى ليلى آزاده . كأن أذنيها امتلأتا بمثل هذا الكلام . فتقول بابتسامة وبلا اكثرات (ساءت الأمور لمن ياسيد حكيميان ،لم تسؤلك .

كسبت فى يومين بقولك حدود أربعين مليون . أى بعت الدولار المقدر بسبعة تومانات ونصف بثلاثين تومانا)

- (أنا محسوبكم) .

ووصلنا إلى منزل له بوابة حديدية عظيمة . وبعد أن يفتح السائق البوابة يدخل منها . ثم يقفلها باعتناء . وأمام المنزل حديقة ذات أشجار ، ومفتوحة على مصراعيها على نسق أسلب Regence الباقى عن عهد لويس الخامس عشر ، كما ذكرت ليلى . وتذكر ليلى أنها أتت هذا المنزل مرة من قبل وتضيف أن التيمسار اشتراه فى شتاء (١٣٥٧ هـ . ش) . ويقص علينا الآن تاريخ بناء المنزل الذى يعود إلى ماقبل الثورة الفرنسية الكبرى . بنى المنزل من أكثر من مائتى عام أغلبه بطراز (تريانون الصغير) فى فرساى بيد نفس مهندس لويس الخامس عشر (جاك آنجيه جابريل) وأمام المنزل يفتح السائق أبواب المرسيدس ونخرج منها . وقبل أن يدخل وراءنا يأت من صندوق السيارة الخلفى بسطلى ثلج برز منه أعناق زجاجات الشمبانيا الملفوفة عليها أوراق الذهب والبروزات الدائرية . ويدير حكيميان رأسه على عتبة البوابة الحديدية والمشبكة والقديمة للمبنى ، وينفث من بين مخاط أنفه بعون إبهامه مرة بعد مرة أمام كل سيخ حديد من البوابة فى ليلة الحديقة التاريخية. وأتمنى ألا تكون روح جاك آنجيه جابريل تكدرت .

ولا أذكر بدقة باقى أحداث تلك الليلة ، وأذكره باختصار وبرواية غير مباشرة كالتالى : نجلس فى (قاعة) منزل التيمسار ذات طراز (ما بعد النهضة) وديكور الروكوكو ونستمع فى نصف الساعة الأولى إلى الموسيقى

(الأصيلة) لعبد الوهاب شهيدى وبنان التى يحبها التيمسار ونشارك التيمسار فى إسهار ليله وتحببه إلى ليلى زاده ويقهرون البعد عن الوطن بالشمبانيا . ويشرح لنا التيمسار كيفية صناعة الشمبانيا (وينطق شمبانى على وزن كمبانى) : الشمبانيا شراب غازى خاص وإنتاج يقتصر على مدينة قديمة فرنسية بنفس اسمه . ينتج العنب الأبيض فى سهول بها أرض جيرية ولابد أن يدعم جسم الزجاجة بخيوط فلزية وإلا انفجرت فى الهواء ! ثم يشرح التيمسار صناعية البراندى والكونياك . فالبراندى أفضل سائل يستخرج من تقطير الخمر . ويجب تناول البراندى خالصا أى لا ينبغى خلطه بشئ إلا باللعاب . وكل خمور البراندى فى العالم براندى إلا البراندى الذى يعد فى ناحية من إقليم كونياك الفرنسى ، فهو ليس فى الحالة الثانية براندى بل هو كونياك . بلاشك هو نفس البراندى لكنه كونياك . ثم يأخذ الدكتور التيمسار القائمقام فرد فى الحديث فى الرسم ، والرسم من (الهوايات) المفضلة فى سائر حياته ويتحدث عن ثلاث مجموعات . أولا مجموعة (بول سيزان) الرسام الكلاسيكى المعلقة على الجدران والطاق . ثم (بير آغوست رنوار) الرسّام التأثيرى المعلقة أعماله على جدران المكتبة ، ثم (فرانسوا مييه) الذى علقت بعض تابلوهاته فى صالة المرآة . وجمع التيمسار أغلب هذه اللوحات خلال ثلاثين سنة بعد أن تعلق قلبه بالثقافة والفنون الفرنسية . ولا أفهم بعد هذا الملعون كيف وجد الوقت الذى يلاحظ فيه بقر الجيش وخيوله .

وفى حدود الثالثة أنهض وأقول يجب أن أعود إلى الفندق . وأقول فيما يخص تغيير العملة أننى فعلا لا أستطيع أن آخذ قراراً إلى أن أتصل تليفونيا بطهران عصر اليوم التالى . أما ليلى فقد صارت لتوها بعد أن قابلت

التيمسار وحكيميان وسائق التيمسار نشطة مثرثرة إلى حد يثير العجب . وسائق التيمسار شاب إلى حد ما جم الأدب وينادون عليه باسم (بيكلرى) لكنه لم ينطق بكلمة أثناء المناقشات فى تلك الليلة الطويلة وعلى هذا يمكن التخمين بأنه من رجال السافاك أو المخابرات الإيرانية المعقودى الألسنة . أما حكيميان الذى كان يقول إنه لم يمس طوال حياته (المسكرات) فإنه الآن يجرع كؤوس الخمر بما أنه لم يعتقد فى أى شئ . وأثناء ذلك ، يأتى مرة بعد أخرى على جنس الفاكهة والحلوى على المائدة .

وبعد أن يحتسى بيكلرى فنجانى قهوة ساخنين ويشعل أيضا سيجارة رقيقة الغلاف يركّبنى أنا وليلى آزاده ويوصلنا إلى نهاية المدينة . وفى الطريق تستمر ليلى فى الحديث وتذكر أشياء عن نفسها وعباس حكمت ولندن أقسم بالله أنى لم أفهم فى تلك الساعة كلمة واحدة من كلامها . وأرجو بيكلرى أن ينزل أولا ليلى آزاده . أمر يدعو إلى السخرية ، لكن فى هذا الوقت من الليل ومع تلك الأحوال لا أجرؤ أن أترك ليلى آزاده بين براثن بيكلرى الذى كان يتحول من لحظة إلى أخرى (جيمس بوند) أقوى وأفظع . ويصل بيكلرى أولا إلى (بوريتالى) وينزل ليلى . وأخرج أنا أيضا وبعد وداع ليلى ، أتقدم وأجلس بجوار بيكلرى ، ويفتح علبة سجائر أمريكية ويستمع إلى نشرة أخبار بالإنجليزية . ويوصلنى بدورى إلى منتصف شارع مسيو لو برنس أمام الفندق ويقول (تحت أمرك) وأشكره . ويسألنى الآن وهو لم يتحدث معى حرفا واحد من أول الليل إلى نهايته (سيادتك راجع إلى إيران ؟)

– (نعم ، فى الوقت المناسب)

– (إلى شركة النفط ؟)

- (مازلت إلى هذه اللحظة ضمن موظفيها ، لكننى حين أعود لابد من التحقق)

- (فى أى قسم كنتم ؟)

- (التعليم - التعليم الفنى بوجه عام)

عيناه يقظتان ووجهه ناضر غض رزين

فيقول (أنا مستعد للخدمة ياسيد آريان . أعطيك رقم تليفون لتتصل بى)

- (أشكرك) ويعطينى رقم التليفون على قصاصة ورق .

- (شكرا ، اتصل بى) .

ولا أفهم مقصده ، لكن الأمر ليس بهذه الأهمية . فلو كان ابن خالة بعيدة القرابة بالتيمسار نصيرى أو كان الصهر الأقرب لريتشارد هلمز رئيس الاستخبارات الأمريكية فلا عجب . لو كان من مرتزفه السير جيم مانسون وأتى فى غروب اليوم من الزنزبار فلا أدهش أيضاً . هذه الليلة لم أعد أندهش من أى شئ .

- (شكرا ياسيدى بيكلرى)

- (فى أمان الله ياسيد آريان)

- (مع السلامة)

ولا يزال الشاب ساهرا خلف منصة الاستقبال بالفندق وانتهى من روايته . وأستعيد مفتاحى ، ولا يلزمنى هذه المرة حين أصعد واستلقى على السرير كبسولات أو سجائر . ويتلاطم على طيات مخى فكرى فى ليلى وفكرى فى ثريا .

في ظلمه الليل حين كنا ننظر من نافذة المستشفى كنا نرى البريق الطائر للقنابل أو قذائف المدافع بأعلى السماء .وكانت الكلاب الخائفة لا تكف عن العواء . كانوا يقذفون المنطقة في كل وقت وكنا نظل يقظين ونخمن حتى انتهاء فترة تبادل ضرب النار من خط سير النار مواقع إصاباتها. فكان أول ما نسمع ، صوت القذائف التي كانت تنطلق من مواقع الضرب في عبدان صوب الأراضي العراقية كصوت الشريط الضخم الورقي الملصق على زجاجة حين تنتزعة وتمزقه. وكان يصل أولا صوت انفجار قذائف مدافع الهاون العراقية في مناطق النخيل شمال الفاو وهي تدك عبدان ، ثم يليه صوت شظاياها الممتد (تق تق تق تق) التي ترتطم بالأرض والأشجار والأبواب والشبابيك وكل شئ يقابلها .. وحينا كان يقترب إلينا الصوت إلى حد أننا كنا نستطيع أن نخمن أين ارتطم هذا الانفجار ، وكان الإنسان يخمن النقطة التي سوف يقع عليها الانفجار التالي .

وكانوا نبهونا في الغرف إلى أن ننام بجوار الجدران لأن مخاطر انهيار الأسقف كانت أكثرمن مخاطر انهيار الجدران لأن بعضها مقوى ومتصل بالآخر. وعندالغروب كانت الغرفة تغوص في ظلام دامس إلا من كان يتحرك بالكشاف اليدوي (من ٢٣ شهر مهر كانت كهرباء عبدان قد قطعت) . ومن خلال وميض نور المقذوفات النارية بالجوكنت أرى حينا حطام منبع النهر ولا يزال حتى ذلك الوقت بأعلى منصته المعدنية خارج نافذتي . كان المنبع المحطم المفتت المعوج قد انحنى كأنه العلم المغلوب دائما ينتظر في الظلام الوقت الذي يجتثه فيه مقذوف مدفع أو صاروخ تال.

أصاب الطالب (داود كشاورز) الذى كان أصيب بشظية وهو داخل اللاندروفر ضيق النفس وكان يخشى أن يموت وقتذاك ويفزع بشدة إذا كان صوت أنفاسه التى يزفرها من صدره الواسع وثقبى أنفه الكبير آخذاً فى الخفوت . وكان لدينا جهاز لضخ الأوكسجين لكنه كان يريد أن ينقل إلى ماهشهر . لكن هذا الوقت ، أوائل شهر آبان ، كان أشد أوقات الحرب ضراوة فى عبدان ، لأننا كنا تحت الحصار الكامل ، ولا يمكن التحرك إلا خلال الظلام عن طريق بهمنشير أو من وسط مناطق النخيل على شاطئ النهر ، ثم الخروج عن طريق البحر .

وبين الظلام كانت تصل مسامعنا على حين فجأة أصوات الطلقات الشديدة التى كان يطلقها جنودنا من مقرهم خلف مدرسة الرازى ولم تبعد عن المستشفى وكنا نظن أن (العراقيين أتوا !) وكان هذا المقر قبل الثورة مقرا لتنظيمات السافاك ، لكن صار الآن سجنا لبعض الجواسيس عملاء العراق والسجناء السياسيين على اختلاف درجاتهم ، وحينا لم نكن نتبين هذه الطلقات كانت تطلق على العراقيين أم كانت تصوب إلى هؤلاء المساجين .

- ١٣ -

في الصباح كان الجوّ مشمسا لطيفا ، مع أن هواء باردا كان يهب أيضاً . وبعد الإفطار أخرج من الفندق وأسير متمشيا حتى أول شارع سان ميشيل ، حيث توجد بعض أكشاك الجرائد . اليوم عطلة والشارع ليس مزدحما كثيراً . وأرى في أحد الأكشاك جرائد (كيهان) و (اطلاعات) و (ميزان) و (انقلاب اسلامى) طبعة يومين أو ثلاثة سابقة بين الجرائد الأجنبية فأعجب ، واشترى جريدة (كيهان) الصادرة بعد يومين من سفرى من طهران . وتوجد صحف فارسية أخرى أيضا طبعة باريس ولندن ونيويورك ولوس أنجلوس . أخبار إيران ، صداى إيران ، فرياد إيران ، پست إيران وغيرها .

وأعود صوب شارع سان جاك والمستشفى حين أقابل (حميد خدابنده) أحد أبناء عبدان والذى يقول أنه يدرس بباريس . يحمل رزمة من الكتب تحت إبطه، ولون أنفه بسبب البرد تحت نظارته ذات الملقاط يضرب إلى الأرجوانى مثل البنجر المسلوق . ويسعد لرؤيتى ونتصافح .

يسألنى (متى شرفتم ؟) فأرد عليه وأذكر له بإيجاز سبب قدومى .

- (أحوال عبدان سيئة ؟)

- (أجل ، سيئة)

- (خر مشهر أيضا راحت ؟)

- (نعم ، فعلا راحت ..)

- (أصبح اسمها خونين شهر)

- (وأنت كيف أحوالك ؟)

- (معدم .. ولكنى عايش ..)

فأعطيه عنوان الفندق وأقول له إننى موجود هنا لأجل غير مسمى وأريد أن كان لديه الوقت أن يأتى ونجلس ونثرثر .

يقول (هذه الليلة تعال إلى مسرح جامعة السوربون المدرج هنا . فالأستاذ أحمد رضا كوهسار سيلقى محاضرة)

- (رأيته البارحة)

- (رأيته البارحة ؟)

- (فى اجتماع أصدقائه)

- (كأنهم لايروقون لك ؟)

– (لا أدرى ، لم أكن أشعر أن أعمالهم لصالح إيران)

– (أفهم قصدك)

– (لكنهم ليسوا جميعا على طراز واحد)

– (لا .. أشكال مختلفة . منهم من كان موجودابفرنسا قبل الثورة . بعضهم هرب وقت الثورة وبعدها . وبعض آخر هربوا بعد الحرب. يتكاثف جمعهم هنا . ومجموعتان أخيرتان محتالون)

– (على أى شكل ؟ !)

– (بينهم كل تافه وكل دون)

– (هم هكذا فعلا)

– (المجموعة الأولى منهم ليست سيئة جدا)

– (كل واحد منهم فيه المعادلة الخاصة بذاته . طيب ، أستودعكم الله)

– (مع السلامة)

– (هل ستأتى لأراك ؟)

– (على عينى ، سوف آتى)

– (سوف أسعد بك)

وفى المستشفى نقلوا ثريا إلى قسم أشعة الراديو وقسم الإ لكتروا نسفالو جرافى وتخبرنى جورجيت لوبلان أنهم نقلوها لكى يلتقطوا لمخها صورا جديدة . وأسألها هل يمكن الانتظار مدة لكى أراها . فتجيبنى بالإيجاب . وأجد ، حين كنت أنتظر كشك تليفون وأدير قرصه على الرقم الذى أعطته ليلى لى . ولا يجيبنى أحد .

وأتسكع وقتا فى نواحى القسم ثم أدخل حديقة صغيرة وأتمشى فيها ، وحين أعود وأصعد أجدهم أعادوا ثريا إلى غرفتها وكأنها لم تكن . وأتقدم حتى أعلى سريرهاوأمسح قليلا بيدى على رأسها ووجهها . وكان لا يزال على جبهتها ووجنتيها زرقة مكان أزرار الجهاز وأسلاكه . وأحاول أن أتناقش ثانية مع جورجيت لوبلان حول حالة ثريا ، لكنها تقول إنه يجب الانتظار حتى يفحص الدكتور مارتن نتيجة أشعة اليوم ويمكننى أن أتحدث معها اليوم التالى . وليس من عمل آخر لى بالمستشفى فأخرج وأعود سائرا . وأصل نحو الساعة الثانية إلى مقهى (لوكسمبرج) فى جانب ميدان لوكسمبرج بناء على ميعاد لى مع نادر بارسى . على أن أتحدث معه بشأن تدبير النقود. ولا أجده داخل المقهى ولا المطعم المفتوح المتسع ولا فى أى مكان تقع عليه عيناى . العثور على نادر بارسى ليس أمرا صعبا . فهو فى هذه السنين صار شديد النحافة والطول ورأسه كبيضه رسم عليها أحد الأطفال بقلمه فى الجزء الأسفل منها عينين ونظارة وأنفا وفما ولحية ماعز.

وعلى أحد الكراسى بنهايةركن المقهى بطرف البار وزجاج أحد النوافذ أرى وجه أحد المعروفين الآخرين لى . إنه (حسين آب باك) عالم الاجتماع والشاعر ومذيع التليفزيون . أعرفه منذ أن كان يعمل فى العلاقات العامة بشركة النفط ، لكنى الآن لا أتعرف عليه وهو منعزل بعالمه مع كتابه وبيرته وأرى منظر حسين آب باك هذا على طول الأشهر العديدة التى قضيتها فى باريس : حسين وزجاجات البيرة والكتاب بأحد أركان المقهى وحيدا وغاضبا وتائها .

وأمامه الآن نحو ثمانى كؤوس خالية للبيرة ويقرأ النسخة الفرنسية لكتاب (الحكومة المصادرة) L' Etat Confisqué وعلى غلافه صورة قبضة

خارجة من داخل علبة . وأتجه إلى الركن الآخر للصالة وأجلس على كرسى أحد الموائد بجانب النافذة وأطلب من الجرسون فنجان قهوة وأطالع جريدة (كيهان) . وحين أشعل سيجارتى الثانية يسألنى بدهشة عجوز جلس على كرسى المائدة الصغيرة المواجهة لى : (هل أنت إيرانى ؟) وأهز رأسى بالموافقة مبتسما وأنفث من صدرى دخان السيجارة . أما هو فيدخن غليونه وله شارب أبيض كث كشارب كليما نصو . ويهز مثلى رأسه أيضا .

– (نعم ، طبعا) ثم أسأله (من أين فهمت ذلك ؟ من الجريدة ؟)

فيقول (هل أنت مضطرب ؟)

– (أجل ، أنا مضطرب)

فيقول (كنت بإيران منذ ثلاثة وخمسين عاما)

– (يابختك)

وهذا العجوز في نحو الثمانين ، أبيض كبقيتهم مشرب بالحمرة أمسك بإحكام غليونة فوق المائدة بكلتي يديه حتي لا يسقط منه ، ومعطفه ورباط عنقه يلمعان .

– (كيف كانت بإيران الأحوال فى ذلك الوقت ؟)

– (معذرة ماذا قلت ؟)

– (كيف كانت إيران فى تلك الأيام ؟)

فيقول (الهواء بارد رطب ، أليس كذلك ؟) وينظر إلى الخارج وأنظر إليه .

يقول (كنت بأصفهان)

- (هل مكثت بهـا مـدة طويلة ؟) . وهذه المرة أحـاول أن أتحـدث بالفصحى فيقول (كنت بشيراز أيضاً)

- (لا)

فأصيح بصوت أعلى (هل طالت مدة إقامتك بإيران ؟)

فيرد (كنت باصفـهـان . كذلك بطهـران . وشيـراز . وأقـمت بتبريز أيضاً . وكذلك زوجتى كانت زوجتى عالمة فى الأنثروبولوجيا) . وينطق أسماء المدن بدقة اللهم إلا أنه يبدل (الراءات) إلى (قافات)

- (هل كنت تعمل بالتجارة ؟)

- (وأنت من أين ؟)

فأقول (طهران) .

لكنى واثق من أن سمعه انتهى ، أو لابد أن النطق الصحيح ، بما أنه مكث فترة فى إيران ، تبخر من ذهنه .

فيقول (كنت أتاجر ، وكنت بكرمان ، ثم ذهبت إلى مشهد . كنت قد تزوجت لتوى . كانت زوجتى عالمة أنثروبولوجياوكانت طيبه جدا . ماتت عام ١٩٧٣) .

فأقول (رحمها الله)

فيسألنى (هل تريد شرابا ؟ أنت ضيفى)

فأرد عليه (لا ، ألف شكر)

ثم يأتى نادر بارسى ويجدنى وينقذنى .

(كيف حالك ياعزيزى جلال ؟) وأنهض وأصافحه .

(سلام ، بخير) ويأخذ كليما نصو الأصم الآن نفسا من غليونه المطفأ . ويسألنى بارسى (كيف الأحوال ؟)

فأرد (سئ . نفس الحالة . التقطوا لمخها اليوم ثانية صورا الكتروانسفالية ، لكن فيما يبدو ليس من جديد يبعث على الأمل)

– (أين ذهبت مع ليلى آزاده البارحة) ولا ينظر إلى عينى .

– (عدنا إلى دولا سانكسيون لكن سعادتك كنت مشيت . فاستأذنت وعدت إلى الفندق . وذهبت ليلى أيضا مع التيمسار قائم مقامى وعباس حكيميان وهو من أليكودرز ..) ولا أحكى له بقية الحكاية ، فليس بى قدرة على الحكاية .

ويقول نادر • (جلال ، تعال معى إلى لندن)

– (ماذا ؟)

– (هيا نذهب إلى لندن ، يومين ثلاثة .. أنا وأنت وخالى الذى وصل حديثا وغنى ويريد أن يسافر إلى لندن محبة .. وأنت عارف باللغة وأهل الحب والصفا ..)

– (كيف ، نذهب إلى إسبانيا ونتفرج على مصارعة الثيران ، أليس هذا أفضل ؟)

(لا ، لندن أفضل)

– (هل تهزل ؟)

– (لا وحياتك)

– (لا تكن طفلا !)

– (لا وحياتك ، وهذا السفر مناسب لك أيضا)

– (لماذا تهذى .. أنا جئت هنا من أجل بنت أختى ، فورائى مشاغل . كما أن مشكلة المائة والخمسين أو الستين ألف فرنك اللازمة لى لم تحل حتى الآن) قال (أولا بنت أختك فى أيدى أفضل الأطباء . وأنت قلت بنفسك أنها فى إغماء وغيبوبة . أما عن نفسى فأنا فى اشتياق إلى فسحة منطلقة قصيرة)

وأنظر إليه وأهز رأسى . لا أدرى أهو الأكثر جنونا والأصم سمعا أم كليمانصو أم أنا .

ويأتى الجرسون ويطلب نادر (دوبل كوروازيه) . وأنا لا يزال بفنجانى نصفه .

– (هل تريد بالصدق والحق الآن أن تعود إلى إيران ؟)

– (أجل)

– (إلى بلاد الخراب هذه ؟ بلا خمر وحبيب .. تهدر أحلى سنوات عمرك ؟)

– (ورائى هناك أشياء أخرى)

– (مثل ماذا ؟)

– (مثلا أولا أختى هى كل عائلتى وحياتى)

– (أتحبها إلى هذا الحد ؟)

– (ليس لى فى الدنيا أقارب كثيرون أحبونى . وحين يتجه واحد منهم إلى لا يمكن أن أدير ظهرى له)

فيطرق نادر . يسمح لهذه الكلمة المجنونة أن تمضى

- (هل تغذيت ؟)

- (لا ، لا أظن أننى أميل للأكل . فقد أفطرت إفطار دسما)

فيقول (لماذا ، تعال نأكل غذاء دسما ، لم أستضفك منذ وقت طويل) ثم ينادى الجرسون (من فضلك قائمة الطعام) فيقول الجرسون (حاضر ياسيدى) ويمضى .

ويقول بارسى (أو تريد أن نصحب معنا ليلى .. ونبقى ثلاثة)

- (ثلاثة إلى أين)

- (إلى لندن)

- (لا) وأفهم حالا أن ليلى هى مشكلته .

- (كيف حالها ؟)

- (بخير ، كانت البارحة حلوة وسعيدة)

ويأتى الجرسون بقائمة الطعام ونختار . ولا يزال المقهى مزدحما . وأجيل نظرى وحسين آب باك لا يزال هناك فى النهاية مشغولاً بكتابه وزجاجات البيرة . وكليما نصو منهمك مع غليونه وكأس خمره الأحمر وصمته . ويتحدث بارسى عن خاله الذى يمتلك أربعة حمامات فى شمال مدينة طهران . ويبدو أن خاله يريد السفر إلى لوس أنجيلوس حين يحصل على التأشيرة ويشترى حمام (سونا) . وبدأ الجرسون فى إحضار طعامنا ويشمل الحساء والسلاطة والبيفتيك والبطاطس والبازلاء الخضراء الصغيرة . قال بارسى (لم تقل لى عن تعبها ؟)

– (من ؟)

– (ليلى)

– (لماذا لا تسألها أنت ؟)

– (أنت كنت معها الآن)

– (صفر)

– (احك وحياتك ..)

– (وضعت يدى منك فى الشق !)

– (لم يكن أمرا قديما ؟ إذا لم يكن يتصل بى فاحك لى بالتفصيل . قل لى أن تعبها لا يتصل بك)

– (ياىادر ، الله يرضى عليك !! ماذا جرى لك ؟ ألا تعتقد أن هناك موضوعات أخرى أيضاً ؟)

– (كنت قلقا بسبب آزاده .. أريد أن أعرف حالها منذ عجزها عن التأليف مرة أخرى وهي فى تشتت . نعم أعلم أنها تستطيع أن تمسك قلمها وتجلس وتكتب . لكن لابد من مطبعة ، الكتابة وحدها لا تكفي . هى امرأة عاطفية حساسة ، حين تتأثر تكتب . وهنا روحها لا تتأثر بشئ ولو على الأقل بنفس الدرجة حين كانت فى أول أمرها فى إيران)

ثم يقول بلا وعى (كيف حالها الآن)

– (نادر إن ليلى طلقت منذ ثمانية أشهر من زوجها لا أعلم الرابع أو الخامس . وأعتقد أنها خطبت لعباس حكمت المؤلف الضخم والمشهور)

– (خطبت لعباس حكمت ؟ المقيم بلندن فى بريطانيا ؟)

- (نعم ، معلوماتك الجغرافية تمام . ما أعرفه أن ليلى تريد السفر إلى لندن وتعمل مع جناب عباس حكمت)

- (ليلى تريد الذهاب إلى لندن وتشــتـغل مع حكمت ؟ لكن حكمت يعمل لمؤسسة دعاية ونشر آسيوية أصغر انسان يعرف أنها تحت إشراف وزارة الخارجية والمخابرات الإنجليزية)

- (لا أعرف هذا)

- (ليلى تريد العمل مع حكمت ؟)

- (البارحة قالت لى هذه المعلومات ، وكان الدوار يأخذ رأسى بسبب سجائرك اللعينة . الحقيقة لم أكن فاهما كأنها تقول أن عليها أن تقرر بسرعة السفر إلى لندن لسنة أو سنتين)

- (سنة أو سنتين تمكث فى لندن ؟)

- (هذا كلامها)

- (لا أصدق)

- (طيب ، لا تصدق)

البيفتيك والبطاطس عندهم سيئة ، لذلك آكل بغير إقبال ، ثم نتحدث عن الفلوس قليلا . ويتمنى بارسى أن يمد يد المساعدة لكنه يقول إن حالته الآن معسرة . شكته امرأته السابقة (كانت فرنسية) ويريدون أن يأخذوا منه المنزل الوحيد الذى يملكه فى باريس فأقول له إننى لا أقصد أن أطلب منه مالا ، لكنى أريد أن أجد عن طريقه رجلا موثوقا به اقترض منه

المال وأحول إليه ما يقابله من النقد الإيرانى فى طهران . فيقول بارسى ربما يمكن أن يقوم بهذا خاله . لكن خاله رجل معاملة والشغل شغل ، لكنه نفسه لا يزال على طول موجة ليلى آزاده.

فيسألنى (وماذا تريد أن تفعل بشقتها بكل ما لها من فخامة ؟)

- (ليلى ؟)

- (نعم)

- (عليك أن تسألها هذا السؤال)

ونأخذ إذ ذاك بعض الحلوى والقهوة ، لكن نادر لا يزال جائعا ويطلب إلى الجرسون أن يأتى إليه سندوتشا bien cuit « مستوى » على الآخر .

- ويقول (كنت سمعت بموضوع علاقتها بعباس حكمت ، لكنى لم أكن أعرف أنها قررت الارتباط به . هل أنت واثق ؟ !)

- (لا)

- (إذن لماذا قلت هذا ؟)

- (أردت أن أضحك عليك)

- (جلال لا أعرف مطلقا متى تهزل ومتى تتحدث بجد ، مثلا البارحة ..) ويصب الجرسون لنا القهوة حين أقول لبارسى : (لا تنظر وراءك ، وخمن من الذى يأتى وراءك ؟)

- (ليلى ؟)

- (لا يا مفضوح امرأتك !)

- (واه ، نسيت أن أقول لها إننى لن أتغذى فى البيت . وهى الآن فى غاية الغضب)

وتأتى زوجة بارسى وأختها بفاخر الثياب وكامل الزينة وتجدانا ، وليس واحدة منهن بدت غاضبة وتقول زوجة بارسى (كنت أعلم أننى سوف أجدك هنا .. السلام عليكم)

وهي ابنة أحد أصحاب الشركات الإيرانيين ، ومهما كنت أفكر فلم يكن يأتى فى عقلى سبب زواجها بنادر بارسى اللّهمّ إلا نبوغه وشهرته الأدبية . أو ربما لأن بارسي يعرف أعمالا أخرى فى أماكن أخرى وأنا على غير علم بها . وينهض نادر واقفا ويسحب كرسيين إلى الخلف لهما ويجلس سارا وسيمين . وتسألنى زوجة بارسى (كيف حالك ؟)

– (بخير ، شكرا ، كيف حالك ؟)

– (شكرا لسيادتك) وعيناها على وأنا ونادر كل منا عيناه على سيمين فحينما خلعت معطفها خرج ثدياها فعلا بارزين من فتحة قميصها . وتقول امرأة بارسى (ماذا أكلتم ؟ أكلهم هنا يفضح)

فقال نادر (أكلنا شيئا مع السيد آريان)

– (أتوا بهذه القطعة البلاستيكية على أنها بيفتيك)

وتخاطب سارا نادر (اتفقنا أن تأتى سوسن وجواد علوى هنا الساعة الثالثة فبكرت أنا وسيمين فى الوصول)

– (طيب)

ثم تغير فجأة لهجتها (نادر مرة ثانية لا تريد أن تأتى إلى المنزل ولا ترفع سماعة التليفون ؟)

فيقول (على عينى ، عذرا ، آسف ، كان التقصير منى)

- (الطباخ طبخ أكلا كثيرا وقلنا نرميه)

- (نسيت من أصله . كنت نائمة فى الصباح ، ومشيت لأقابل المحامى فى منزله وانشغلت)

- (النسيان شئ وعدم الاهتمام شئ آخر . عذرواه)

وأرفع رأسي وأنظر إلى بارسى . بدأ فجأةبظهور زوجته يغوص فى ماء كديك عجوز نقرت دجاجة رأسه . ويطاطئ رأسه . يقول (قلت آسف)

ولكى أغير الموضوع أقول مخاطبا بارسى (ألا يحب أحد أن نذهب إلى لندن في الكريسماس لنقضيه مع ليلى آزاده والسيد حكمت ؟)

فتقول زوجة بارسى (لندن ؟)

وتقول أخت زوجة بارسى أيضا (لندن ؟)

ويركلني واحد من تحت المائدة ركلة ظلت ساقى حتى العصر تتألم بسببها. فيقول بارسى (جلال يهزل)

فأقول (صاحبنا الذى يجلس بجانب البار وبقرب النافذة أليس حسين آب باك الشخصية التليفزيونية ؟)

فتقول سارا (ولماذا هو بالذات ؟)

ويقول بارسى (يجلس هنا دائما ويتسول البيرة ومنعزل داخل عالمه) فتقول سارا (أدعه مرة ونسأل عن أحواله)

- (دعيه ، أنه جيفة)

- (لا تقل هكذا ، حرام .. مسكين ..)

- (حرام ، مسكين ؟ حين كان يحرك الإضراب داخل التليفزيون

لم يكن حراما ؟ حين كانوا يعتصمون فى إيران بحماس المجانين وهيجانهم ويحرضون على المسيرات فى الشوارع ويطيرون بلا سراويل فى بحر حب الثورة ألم يكن حراما ؟)

– (الجميع كان يفعل هذا فى ذلك الوقت . وسيادتك عملت هذا أيضا)

– (أخطأت)

– (كلهم جيف الأجساد إلا أنت !)

فأقول (اسمحوا لى فلابد من العودة إلى الفندق . فهناك اتفاق على أن يأتى زوج إحدى صديقات بنت أختى إلى هناك) ويقف بارسى ويصافحنى قائلا (اتصل بى غدا !)

– (ماشى)

وأقف بجوار الباب ناحية الباب واشترى علبتى سجائر من جهاز السجائر الآلى وأعود وأنظر إل بارسى وزوجته وأخت زوجته . لايزال الثلاثة جالسين مكانهم . يبدون للنظر فاخرى الملبس وذوى وقار ومظهر فائق . يشرب الثلاثة البراندى والقهوة . ولا تزال زوجته تتحدث . كأن هذا الفعل فقط يرضيها أو يسعدها . وينصت بارسى إليها وكأن إذ ذاك هذا العمل فقط يرضيه أو يسعده . الثلاثة منشغل أحدهم بالآخر كثيرا . ويتناول الرجل العجوز الأصم ذو الشارب الشبيه بشارب كليما نصو غذاءه ويقرأ جريدته ويشرب حسين آب باك البيرة أيضا ويتصفح كتابه . المقهى مزدحم . ولا يهتم أحد بغيره كلهم مثل بعض وكل يبكى ليلاه ولابد أن هذا الفعل يسعدهم أو يرضيهم .

مثل يوم أن كنت أرسل (مطرود) وابنه إلى أغاجارى خارج محطة بهمنشير بعبدان تحت قصف المدافع والهاون وانفجار القنابل . والمنطقة بخارج جسر بهمنشير مزدحمة . وتشرق شمس الصباح ، لكن المشهد كأنه القيامة . بعيدا مواسير المصفاة لا تزال وسط الدخان والنار واقفة منتصبة . وسائل النقل فى مجرى النهر تداخلت واحدة بشدة فى الأخرى لمسافة بضعة كيلومترات . يختلط ألوف العرب والعجم فى حيرة من أمرهم ويركنون إلى الفرار . يتحرك الناس بأى وسيلة نقل . من العربات حتى الشاحنات والدراجات البخارية والعربات نصف النقل يتعلقون بها ويهربون بها فى الصحراء إلى كل حدب وصوب ليس لهم بداية ولا نهاية ظاهرة . بداخل عربات التاكسى المحملة والعربات نصف النقل وحتى فوق الدراجات البخارية ، رجالا ونساء شيوخا وشبابا فى حشود ضخمة .. يسير بعضهم مع أبقارهم وأغنامهم على طول جانب الطريق ويقودون قطعانهم .. زئير المقاتلات أعلى رؤوسهم ، وانفجارات الهاون ومقذوفات المدافع من حولهم فيزيد هذا من سرعتهم . الهلع والارتعاش والأعصاب الشاردة والمشاعر الحزينة . إحساس بأن أشياء تحدث ولايمكن للإنسان منعها .. إحساس عند كل الناس بعد حد من الشقاء أو حد من السعادة كلهم يشبه بعضهم بعضا ولا يستطيع المرء أن يحدد شيئا بدقة . ولا يعرف متى يكون طيبا ومتى يكون سيئا لأن كل شئ مثل غيره . وأخرج من المقهى وأعود ماشيا إلى الفندق .

وحين أرجع إلى الفندق أجد رسالة من ليلى لى (أتت مدامـوازيل آزاده لمقابلتك وسوف تعود حدود الخامسة على وجه الاحتمال) . وفى هذه الساعة سوف يأتى كريستيان شارنو وزوجها . فأقول فى نفسى (عظيم) سوف يتعرف بعضهم على بعض . فليلى يصدعها رأسها من أجل التعارف

والاجتماع بالناس . ولابد أن كريستيان وفيليب شارنو لا يسوؤهم أن يتعرفوا إلى مؤلفة وشاعرة ومترجمة أبعدت عن إيران من العهد البهلوى . ولا تزال الساعة الواحدة وأعطى رقم تليفون أختى فرنجيس فى طهران إلى سوموبجو الذى يجلس بجانب التليفون لكى يصلنى بها فى غرفتى . والآن فى طهران بداية الليل وقلت لفرنجيس إننى سوف أتصل بها فى مثل هذا الوقت .

وبعد خمس دقائق يتصل خط التليفون وأرفع السماعة وأسمع صوت فرنجيس بعد صوت عامل التليفون الموصل فى طهران فقد ظل خط التليفون مقطوعا .

- (آلو - جلال ؟)

- (نعم ، السلام عليكم يافرى ..)

- (كيف حالها ؟)

- (نفس الحاله - بخير)

- (لم تفق ، لم تعد إلى وعيها ؟)

- (لا .. إلى الآن ، لكن وجهها ينبض بالحياة)

- (اسمع ياجلال ، قبل أن يحدث شئ وينقطع الخط أتركنى أولا أقول لك أمرا . دبرت مبلغ خمسمائة ستمائة ألف تومان ادفعها فى أى وقت لمن تحدده لى ، بعت ما عندى من ذهب)

- (هل احتفظت بالفلوس فى البيت ؟)

- (احتفظت معى بجزء منه احتياطا)

- (ضعى كل ما عندك فورا فى البنك .. احتفظى بالمبلغ حتى أتصل بك. البنوك موثوق بها . فى البيت غير آمن)

- (ماشى ، ماشى ، قل لى فقط من أعطيه الفلوس ؟)

– (انتظرى ، ولا تتعجلى ، لابد أن أجد أفضل الوسائل لمسألة الفلوس)

– (احك لى عن البنت)

وأحكى لها دقيقتين عن حالة ثريا وعلاجها والأشعة بحيث لا أفهم هل طمأنها كلامى أو زاد قلقها .

فتقول (الذنب ذنبى أنا الغلطانة وأنا الذى أرسلت بيدى ابنتى إلى باريس لكى تتحطم)

– (فرى ، ما هذا الكلام ؟ من أين كنت تعلمين ؟)

– (بعد استشهاد خسرو لم تكن بنتى تريد العودة إلى فرنسا . وأنا بيدى أجبرتها وسفرتها إلى تلك المخروبة . أنا التى أرسلها بالقوة إلى مكان موتها ..)

– (فرنجيس ! لماذا تهذين ؟ لماذا تعذبين نفسك بلا سبب ؟ أى موت ؟ وأن من أين عرفت أنها ستموت ؟ آلاف الناس يعيشون وسط باريس بسعادة واطمئنان ..كان أفضل لهم من طهران ومن طردهم من العمل .. أردت أن تأتى هنا لتكمل دراستهماوبقيت أنت لوحدك ، لا تقوم كل أم بهذ التضحية .. وجرى القدر بهذا الشكل .. لا تتحدثى هكذا ..)

– (ما أعرفه .. ومن كل ماحدث ومن كل ما أفكر فيه أرى أن الذنب كان ذنبى ..)

فأرد (لا ..) ولكى أصرف فكرها من شدة مصيبة ثريا أسألها (ماهى أخبار طهران ؟ ألم يمطروها بالقذائف ؟)

– (لا .. ليس هنا أى وقائع يهاجمون فقط عبدان والأهواز ودزفول وهذه البلاد)

– (وأنت كيف حالك ؟)

– (بخير)

– (وكيف حال قدميك ؟)

– (بخير)

وأعلم أنها تكذب (ألا تزالين تعيشين وحدك ؟)

– (لا .. عندى زوجة الدكتور محمدى وولدها هنا . أنت عارف أنهم أضيروا بسبب الحرب . أتوا من عبدان)

– (الدكتور نفسه عندك ؟)

– (لا إنه يسافر إلى عبدان ويأتى . جلال خل بالك من نفسك !)

– (ماشى . إن شاء الله) .

ونتحدث لحظات أخرى ، ثم نضع السماعة .

فى الخامسة أغسل رأسى ووجهى وأغير ملابسى وأنزل وأنتظر فى ركن من الصالة الصغيرة ، وتظهر مدام ومسيو شارنو بعد نحو ثلاث دقائق بعد الخامسة ومعهما طفلاهما . وشارنو قصير القامة لكنه حسن الطلعة وكثير المزاح والفكاهة. وامرأته ترتدى اليوم معطفا مشكلا ملونا ليس جديدا كثيرا وقبعة بنفس اللون . ويصافحنى شارنو ويعرفنى إلى ابنه ذى الرابعة من عمره (جان لويس) وابنه الآخر ذى الثالثة (پولت فرانسواز) فيقولان بأدب (مرحبا ياسيدى Enchanté , Monsieur) . ثم يتابعان بعد

مباشرة الشقونة واللعب سويا . كلهم عامة سعداء ويعشون على السعادة . الزوجان كأنهما يستعجلان اصطحابى للضيافة لكنى أرجوهما أن يستريحا أولا بضع لحظات ويتناولا الشاى والكيك ثم نتحرك بعد ذلك . وأقول لدى صديقة تركت لى رسالة أنها سوف تأتى لى فى حدود الخامسة ، وربما سوف تأتى . وأحكى لهم باختصار عن ليلى آزاده لكن ليلى لا تظهر حتى الخامسة والنصف ، لهذا أترك لها رسالة على وجه الاحتياط تسلم لها إن أتت وأبين لها أين ذهبت وأذكر فيها أننى سوف أتصل بها بالغد على وجه الاحتمال . ثم نخرج من الفندق جميعا ولفيليب شارنو سيارة (رينو) جديدة ، ونصل أولا إلى المستشفى ، وأصعد أنا وكريستيان شارنو ويبقى بالسيارة فيليب والطفلان . وحالة ثريا لا يجد عليها جديد وتخبرنا مساعدة التمريض الموجودة هناك أن شخصين آخرين من أصدقائها أتيا إليها أيضا ثم غادرا بعد مدة . وتقول كريستيان شارنو هذا الأمر يحدث دائما ، فأصدقاؤها وهم كثيرون يأتون إليها لكن بما أنهم لا يستطيعون الحديث مع ثريا ولاتستطيع الانتباه إليهم فلا يطيلون ويذهبون .

الوقت يظلم حين نصل إلى (سان رمى) فى جنوب غرب باريس . أجلس أنا وفيليب شارنو بالمقدمة وأهل بيته بالمؤخرة ، وينزل شارنو من شارع (رنيه كوتى) وبعد أن يعبر شارع (جاردان) يصل إلى المدينة الجامعية وتشير كريستيان شارنو إلى المبنى الذى كانت ثريا تعيش فيه . وهو مبنى كبقية المبانى بالمدينة وقف بعظمة ويمتلئ نورا . أظلم جو باريس الآن وبسبب أنه ليلة آخر الأسبوع فكان المرور مزدحما جدا ويبدو أن كل سكان العالم ينسالون من كل حدب وصوب داخل باريس . وباريس للجميع نهاية المطاف . ويأتى أخيرا إليها كل متعب وعاجز وطريد ومن أى مكان ولا

يغادر باريس أحد قط لو كان عاقلا إلى مكان خلافها. فقط أنا الغريب أفنى فى الغروب من باريس. وأتمنى أن ليلى كانت معنا .

وبعد فترة حين نتقدم فى شارع مزدحم يبدأ المطر فى الهطول شيئا فشيئا ويدخل فيليب شارنو منطقة سكنية نظيفة ليس فيها ما فى المدينة و الشوارع المكتظة بالسيارات والازدحام . ليس غير المنزل والأبنية المتحضرة كأننا دخلنا خلايا نحل بكوكب جديد . تستمر كريستيان شارنو فى حديثها وأثناء ذلك تسكت طفليها وتؤدبهما . وأرى من خلال الزجاج الأمامى للسيارة أنوار المصابيح والمنازل تنعكس علينا وتسقط الرياح والبرد المطهّر قطرات الأمطار .

لا أذكر من تلك الليلة أشياء كثيرة جدا اللهم إلا أن مسكن أسرة شارنو كان حديثا وجديدا كثيرا ونظيفا جدا وأنهم يحبون القراءة بدرجة كبيرة ويشربون بنهم ويشيع بينهم الحب بشكل كبير ، وجميع تصرفاتهم مرتبة ومحسوبة من وجهة نظرى على الأقل أنا المغترب المشتت . ويتناول طفلاهما عشاءهما مع المربية ويدخلان غرفة نومهما فى الميعاد المحدد . وأم كريستيان شارنو كانت حاضرة تلك الليلة أيضا وتساعد فى إعداد العشاء والعناية بالطفلين . وقبل العشاء نتناول Vin Rose ومعها الأوردوڤر . وأتناول بحيطة منهما . وفى العشاء نحتسى حساء الكمأة ونأكل الجمبرى المشوى قليلا والكرفس ثم السمك الأحمر المقلى ثم تُشرب خمر من نوع الـ Vin Blanc . ثم القهوة ونوع من مشروب العرق الحلو لا أعرف اسمه يؤخذ من الحلوى . تتعشق مدام شارنو وزوجها وأمها (لا بورجيه) الطعام والموائد ويتمسكون به كأن طريق النجاة المنطقى فى تمضية الحياة التمسك بكل حيلة بالطعام والشراب . والأم (لا بورجية) فى سن فرنجيس وتعمل فى

مكتبة محلية ونائبة في نادى (سانا رمى) للكشافات ، مكتظة القوام سمينة صحيحة الجسم لكنها لا تتدخل في مناقشات ابنتها وزوجها . لاتفعل شيئا غير أن تأكل وتشرب وتضحك . جلست بجوارى وفكت زرارين بأعلى بلوزتها وأظهرت صدرها الأبيض .

وبين كريستيان شارنو وزوجها اختلافات في الرأى كبيرة حول الطعام والشراب والتعليم وعلم النفس والأطفال والسياسة . فشارنو غاليٌ معتدل زار أمريكا مرتين ويحب (الولايات المتحدة) . لكن كريستيان اشتراكية ديمقراطية لكنها ليست شيوعية (متهورة) . يرى شارنو أن (جان بياجيه) أوجد في ميدان (علم نفس الطفل) تحولا ثوريا عظيما في بناء الفكر الإنساني في نصف القرن الأخير . كريستيان فرويدية تقليدية وترى أن الحريات الكثيرة بالطريقة الأمريكية ثم الألفاظ الاستعارية الإكلينيكية عن الطفل زخرف قول ويجب أن يتعود الطفل على النظام بل ويأخذ أحيانا علقة (ساخنة) أيضا وحين تتفوه هذا الكلام لا تنظر إلى أمها ، لكن أمها تتوجه إلى ضاحكة بقولها (أوه ، أنا لم أكن أضرب أولادى مطلقا ، يامسيو . كنت (أوضح) لهم كل شئ وحسب).

ويحب شارنو البيرة ، لكن كريستيان تفضل كأسا خفيفا من الدوبونيه الخفيف أو آخر من سان رافائيل وترى كريستيان أنه (مفزع جدا) أن بعض الأسر في هذا البلد تشرب في الفترة الأخيرةالبيرة مع الأورد وفر (يا الهى .. الدنيا جرى فيها أيه) . لهما خلافاتهما و لكنهما يعرفان متى يسيطران على نفسيهما ويعتبران القضية منتهية بقبلة بينهما . ويعلم الله كم مرة تلك الليلة احتضن كل منهما الآخر وقبله . آراؤهما حول سياسة إيران وأحوالها مختلفة أيضا وحزينة . ليس لديهما رأى شخصى حول فلسفة

الثورة الإسلامية ، لأنهما لا يفهمانها أخيرا. لكنهما (يفهمان) الليبراليين المثقفين الفرنسيين . كل منهما بالاصطلاح صادق حنون ، وترينى كريستيان عفش ثريا (نقلت عفش ثريا القليل من محل إقامتها فى باريس إلى منزلها وفسخت عقد إيجار شقتها) . وبين متاع ثريا الشخصى قدر كبير من مجوهراتها . دبلة خطوبتها وخاتم زواجها ، ساعة ، (ماشاء الله) كبيرة ، وسلسلة ذهبية أخرى ، وإسورتان . نفس ماذكرته لى فرنجيس وأتت به ثريا إلى فرنسا ، ولم أستطع تأدبا أن آخذ شيئا من متاع ثريا تلك الليلة لاتحرجا . ويبدو أن فيليب شارنو احتفظ بالذهب كوديعة مقابل التعهد الذى كتبه لتكاليف المستشفى . قلت الأفضل فعلا أن تبقى هذه الأشياء هنا حتى تشفى ثريا (آمل ذلك) وتأتى وتأخذها بنفسها وقال شارنو (على أية حال هنا أكثر أمانا من الفندق !)

وبعد العشاء جلسنا وقتا بجانب النار وشربنا القهوة . وتتحدث كريستيان عن صداقتها مع ثريا . فهى تعرف ثريا منذ نحوثمانية أعوام سواء من وقت دراستهما فى الجامعة قبل الزواج أو أثناء العام الماضى حين عادت ثريا إلى فرنسا . هى تحب ثريا فى الواقع .

وأقول لها (إحكى لى عن يوم حادثتها .. هل كانت يومها هنا ؟) وتتأوه كريستيان شارنو (أوه ، نعم ، ثريا كانت هنا وكان يومها الأحد .كان عندنا لحم محمر وسلاطة روسية وبطاطس محمرة وآيس كريم . وبعد الغذاء لعبت مع الطفلين وكان فيليب يتفرج على التليفزيون ، كان به مبارة كرة قدم . ثم جلست أنا وثريا وتحدثنا . فى نفس هذا المكان على نفس هذا الكرسى الجالس أنت عليه الآن . قالت تلك الليلة إنها تريد أن تتحدث إلى أمها . قالت إنها تريد بجد أن تتحدث إليها وتستأذنها فى العودة

إلى إيران برا . وتعرف أن مطارات إيران كانت مقفلة)

- (أجل)

- (كانت تود العودة . كانت تكثر من المجئ إلينا في الأيام الأخيرة ، وجمعت تقريبا كل متاعها وكانت منذ فترة أتت بمجوهراتها وتركتها عندي ، لكثرة اللصوص حول مسكنها . لم يكن آمنا)

- (كم كانت الساعة حين غادرت بيتكم ؟)

(مبكرا جدا . الساعة الرابعة . كان الجو لا يزال منيرا . فضلت الذهاب بالدراجة لكنها كانت في غاية الحذر)

- (لم تكن مريضة ؟)

- (لا . لا مطلقا)

- (عندها حمى ؟ صداع)

- (لا لا لا ، مطلقا كانت كاملة الصحة وفي تمام العافية . لو كان بها أدنى تعب لمنعتها من الذهاب بالدراجة . لم يكن في الأصل أدنى ظل من الشك حول صحتها وقبل أ ن تغادر في الحقيقة ركبت الولدين لمدة خمس دقائق وضحكت)

- (وماذا بعد ؟)

- (بعد هذا ودعتنا وهي سعيدة وركبت دراجتها وسارت ببطء. وبعد أن رحلت بدأ المطر بالتدريج)

- (متى أخبرتم بالواقعة ؟)

- (التاسعة إلا الربع . . لا لم يكن الذنب ذنبها . ولم يكن ذنب أي

سائق لا أظن . لم يكن ذنب أحد مطلقا)

ويقول فيليب شارنو (وتسقط على رأسها ببساطة على منعطف شارع وتغيب عن الوعى)

- (لا محالة)

- (!! C'est la vie هذه هى الحياة)

- (لا أعرف . ليس عدلا)

- (لا ، مطلقا ليس هذا عدلا . لكن حينا يقع مثل هذا)

- (حتما)

وفى حدود التاسعة يوصلنى شارنو إلى محطة المترو (سان رمى) وأعود وحدى إلى باريس . ولا أجد خبرا عن ليلى آزاده ، فأستعيد الرسالة التى كتبتها لها وأمزقها ثم أصعد بالأسانسير . وأصل وقت إذاعة أخبار منتصف الليل من راديو طهران لكن ليس فيها غير التقارير السيئة (حاصرت القوات المعتدية لصدام حسين العفلقى الآن دزفول والأهواز ويقتل الناس في المدن بلامدافع أو يترك الآلاف من المشردين ديارهم (عادة أسمع بعد أخبار إيران أخبار الوكالات الفرنسية والانجليزية فيتضح لى ظل من الحقيقة بعد مقارنتها) . ذكر القائد العام للقوات الإيرانية أبو الحسن بنى صدر فى حديث صحفى أن البعثيين العراقيين لن يستطيعوا الاستيلاء على دزفول شريان الحياة الاقتصادية والنفطية داخل إيران مادام حيا ! يقول سوف يقاتل حتى آخر قطرة دم فى خوزستان !

وبعد أخبار إيران أستمع أيضا إلى أخبار وكالات الأنباء الأجنبية التى

تذيع مثل نفس الأخبار باختلاف قليل أو كبير ، لكنها فى النهاية أكثر فزعـــا لإ يران ويلقى بنى صدر فى حديث أدلى به إلى الـ (بى بى سى) بكل الذنب على أعناق الآخرين ويتنبأ للشعب الإيرانى بـ (أيام سيئة) .

وتتثاقل جفونى وأحاول أن أفكر فى ثريا وفى ذلك اليوم بعد الظهر الممطر الذى كانت راكبة فيه دراجتها للقدوم من (سان رمى) إلى حجرتها فى المدينة الجامعية لكنى لا أقوى . جمع العمدة فى أحد الأيام سكان القرية حوله وقال لهم أيها الناس عندى لكم خبر طيب وخبر سئ . الخبر السيىء هو أن ليس لدينا هذا العام فى الشتاء غير روث البقر والحمير. لكن الخبر الطيب هو أن لدينا من الروث بالقدر الذى تحبون .

- ١٤ -

على النقيض من الآمال الأولى ، لم يعد ما يبعث علي الأمل خلال الأسبوع الثالث لشهر ديسمبر بعد إجراء الدياليز عليها وثلاث مرات عملوا لمخ ثريا فيها الكتروأ نسفالوجرافى وفحوص وصور SSR يومية . ويستمر السماح بإعطائها الدواء وسائر قياس نبضات الرأس والتحاليل والفحوص مع أن الدكتور مارتن وطبيبين آخرين يقومان بعلاجها لم يصبهم اليأس . وأدفع عشرة آلاف فرنك أخرى بشيك إلى خزانة المستشفى للسيد ماكادام ، لكننا لا نزال مدينين حتى ذلك الوقت بمبلغ (١٣٩,٠٠٠) فرنكا آخر . إلا أن حب الانسانية والروح المسيحية لا تسمح قط بأن يلقى خارج المستشفى المصاب بالغيبوبة . والجدير بالذكر أن استمارة تعهد مسيو ومدام شارنو موجودة بمكتب حسابات المستشفى ، وآل شارنو يحتفظون عندهم بمتاع ثريا ومجوهراتها .

وفى فندق بالما انتقل إلى غرفة مفتوحة أصغر حجما وأرخص – ذات منظر – فى الدور الأخير ذات سقف هرمى . وغرفتى الجديدة لا يزال بها حمام خصوصى وأوسع كثيرا من كشك التليفون . ولها بلكونة صغيرة نصف دائرية جميلة كذلك تنفتح على حديقة الكنسية وليست سيئة . ومدفنها الصغير ، وليس المنظر سيئا . إذا أحببت يمكنك الجلوس بالبلكونة وتتجمد . ولا يزال حتى الآن سيل الأخبار السيئة عن إيران جاريا . توقف التقدم العراقى داخل أراضى إيران لكن (القوات الصدامية الكافرة) بعد استيلائها على قصر شيرين ونفت شهر وبضع مدن حدودية أخرى فى الغرب وكثير من المدن الحدودية فى باختران وايلام وخوزستان ومن بينها جميع مدينة خرم شهر قد ثبتت الآن مواقعها . وبعد يأسهم من الاستيلاء على عبدان فإنهم مستمرون فى قصفها برا وجوا بانتظام من الشمال والجنوب و الغرب . والحكومة الإيرانية فيما يبدو فى ضيق مالى شديد بسبب تأمين نفقات الحرب ودخلت هذه الأيام بوساطة الحكومة الجزائرية فى مفاوضات للإفراج عن ودائعها المالية فى مقابل الإفراج عن وكر الجاسوسية)

ولا أرى ليلى آزاده فى الأيام العشرة الأخيرة من ديسمبر وفى أعياد الميلاد لأنها ذهبت مع أخيها الشاب الأستاذ فى الفلسفة وخطيبة أخيها وهى ابنة أستاذ جامعى إلى مرسيليا . وفى الليلة قبل سفرها تأتى ليلى لزيارة ثريا فى المستشفى . ثم تدعونى بالحاف لتناول العشاء فى منزلها فى بورديتال . فى الحقيقة لا أحب أن أصحبها ، لا أود أن انفرد بها . وهى لابد أنها تشعر بذلك ، لكنها تقول إن أباها عندها فى تلك الليلة فى باريس لكنى أود أن أقابل أباها وأتعرف عليه . وحين ننطق هذا الكلام كنا واقفين أمام المستشفى بجوار مكان انتظار التاكسى .

– (ظننت أن أباك فى مرسيليا أو فى تلك النواحى ..)

– (نعم إنه مرسيليا وتلك النواحى . لكنه يأتى باريس كل ستة شهور للمتابعة الطبية) .

– (صحيح)

– (صحيح . واتفقنا أن نذهب جميعا غدا إلى مرسيليا وتلك النواحى .. ولن أراك ثانية حتى بعد يناير)

– (عظيم. أى خبر هذا ! ما هى أحوال أبيك ؟)

– (لا تضايقنى . هل ستأتى أم لا ! وعدت بابا أن آتى بك ليراك . تحدثت له عنك كثيرا)

– (عنى ؟)

– (عن جلال آريان .. حبى الوفى الماضى الذى أتى حديثا من إيران.. حكيت أشياء كثيرة عنك)

– (كلها سيئة – إن شاء الله)

– (كلها طيبة)

– (ماشى ، أنت بهذا تلوين يدى ثانية)

– (الليلة أطول ليلة فى السنة بالنسبة لى)

– (عظيم ..)

– (نجلس بالليل نأكل ، ونقزقز اللب ونمص شيئا من حلوى البلح والجوز ونتحدث . بابا يحب هذه التقاليد كثيرا)

وأنظر إليها من أعلى نظارتى نظرة من تلك النظرات البريئة لكن يمكنك أن تصب فيها كل شئ .

– (تعال . كم تدللت على)

– (لا أستطيع) وأعود وأنظر إلى ثريا من نافذة شباكها .

– (هل رأيتها ، ماحالها ؟)

– (نعم رأيتها ، انفطر كبدى عليها ، المسكينة ! تعال نمشى)

– (رأسك مشغول ، هل أتيت بكبسولاتك ودوائك الذى تتناوله بالليل ؟) وأضع يدى على جيبى فأجدها .

– (تعال ، أريد أن أريك شيئا)

– (هلمى إذن)

تضحك (ألا تسألنى ما هو ؟)

– (كل شئ أفضل من اللب وحلوى البلح والجوز واللوز الملعونين) .

ونصل بالتاكسى إلى بورديتال . وشقة ليلى كما قالت شقة مزدوجة بإحدى هذه العمارات الجديدة Bâtiment neuf . تشمل الشقة طابقين بالأول الصالة وغرفة السفرة وحجرة المكتب ، وبالثانى الذى ينزل بسلم فخم وبه حجرات النوم ، وغيرها ... وبداخل الشقة تناثرت آلاف الزهريات ونباتات الزينة بحيث ترتفع من الأرضية والأبواب والجدران والنوافذ ، أو تعلق فى السقف ، تهتم بهذا كله الخادمة الفرنسية العجوز لليلى واسمها (جنيفييه) ، والليلة أقابل السيد الدكتور آزاده . وفى التاكسى نبهتنى ليلى إلى أن أباها بسبب مرض بالحنجرة والأحبال الصوتية فقد صوته ويتحدث صناعيا بالإفادة من جهاز الـ (سينتيه سايزر) أو توليد الصوت وعليه فيجب مراعاة أنه لا ينبغى أن يتحدث كثيرا .

أما الأستاذ الدكتور عبد العلى آزاده فرجل طويل القد حسن السيما كثير التميز فى مظهر الدبلوماسيين له شارب وحاجبان بيضاوان وشعر كثيف أبيض ومجعد كأنه نصف كيلو قطن هيدروفيل ويلبس نظارة طبية ذات شنبر أسود بعدسات سميكة كنا نسميها فى ذلك الوقت قعر فنجان . والأستاذ عادة يحتفظ برأسه مائلا إلى ناحية. يده اليمنى ضعيفة وتقريبا عاجزة نتيجة حتمية لسنوات خدمته فى الجامعات وبقسم الثقافة بوزارة الخارجية . ويمسك بيده اليسرى جهاز توليد الصوت (ڤويس سينتيه سايزر) الجديد الأمريكى الصنع . وجهاز توليد الصوت هذا وأنبوبة تردد الصوت المتصلة به والمصنوعة من معدن رقيق موضوعان فى حافظة دقيقة الحجم صغيرة وفخمة ومزينة ويضعها الأستاذ خارج حنجرته ويخرج صوته منها . وطرف الأنبوبة المعدنية الآخر موضوع داخل أحد جيوب صداريه والذى يختفى فيه حتما باقى الجهاز والبطارية والمولد . والصوت الخارج من وحدة التكبير الصوتى الصغير لجهاز التوليد صوت صاف لكنه متموج معدنى يعطى حالة الصوت الظريف لأرتوديتو فى فيلم (حرب الكواكب) . وارتدى الأستاذ فوق صداريه قميصا منشّى الياقة ورباطة عنق ورداء يشبه العباءة الفخمة أو الكيمونو الشرقى بما يضفى عليه فى الأغلب شكل الموجودات المعنوية وغير العادية وصفاتها . وهو كثير التواضع ويتعامل بالإتيكيت . وبعد المصافحة والسلام والسؤال عن الأحوال ، يشير إلى أفضل مقاعد الحجرة لأجلس عليه ، والذى إن تقرر أن أسقط تلك الليلة على مكان ناعم – يسكتنى المخية وقدمى المجروح من أيام عبدان – لقمت بهذه السقطة .

ونجلس حول مائدة مستديرة فخمة من المرمر الأبيض والكريستال الأزرق على كراسى جلدية سوداء . وعلى المائدة تحفة مطعمة بسن الفيل نفيسة أخرى بجوار الحائط ، لا تبعد كثيرا وبضعة أطباق صينية وكريستالية فيها النقل الإيرانى والشمام والبطيخ وحلوى البلح والجوز ولب الشمام له رائحة الحلتميت الطيب والباقلاوة اليزدية وحلوى الأرز وزجاجتا خمر وهذا كله لابد أنه معدّ لأطول ليالى السنة.

وتقدمنى ليلى إلى أبيها وتذكر له سبب قدومى إلى فرنسا وأين كنا أول الليلة ومن قابلناه ، كل شئ كأنها تعيد ذكره . وينصت العجوز إلى الكلام بدقة وبينما يميل برأسه إلى جانب يخفض نظره . فقط يرمقنى من وقت لآخر . ثم يضع مولد الكلام على حنجرته ويقول (ليتنى كنت أكثر شبابا مثلكما ، بى استعداد وأستطيع أن أكون بإيران وأشترك فى هذه الفعاليات . إن مجرد ذكر اسم إيران يزيد نبضى قوة) . ولا يتجاوب تماما الصوت المتموج الإلكترونى الذى ينبعث منه مع الكلمات التى يلفظها .

– (عفوا)

– (يقول أوحدى مراغى : نحن سكارى وسكرنا من كأس العشق وهذا الصيت الذى أعليه من اسم العشق / يوم أن قتلت على عتبة العشق / فبداية تاريخى أيام العشق .. عشق الوطن ، الوطن الأم وتقاليد الوطن أعز العشق)

– (ألا تتحدث عنى ياوالدى ؟)

– (كنت فى عبدان ، وهناك الحرب)

– (كنت هناك مصادفة)

- (لا تحط من قدرك ..)

وكنت أستاء من لفظة الحط من القدر ..

- (كنت موظفا بسيطا فى المستشفى .. يرأسه مدير)

- (أبقيت فى إيران من أجل هذا ؟)

- (إن لم أبق فى إيران .. أنا كنت فى إيران)

- (لو سمحت لانبدأ هذه الليلة العظيمة بصورة « بحث سعدى وجداله مع المدعى » مدحت فيك ليلى كثيرا . أثنت عليك كثيرا) .

- (ليلى هانم لها طبع خيالى وحالم)

- (أنا معك فى هذا تماما)

فترد ليلى (بابا ، لا تسمع كلام جلال ، إنك إن ألحفت عليه لأنكر أنه موجود فى الأصل)

فيقول الأستاذ (نعم ، فاهم . وأى حكمة فى هذا يابنتى . يقول مولانا :

توجد الصورة مما ليس له صورة   كما يتولد الدخان من النار

ولم أتناول من الصباح بعد الإفطار شيئا حتى الآن فخوت معدتى و ثار فيها الضجيج وأتمنى أن يظهر بأسرع ما يمكن طعام العشاء . لكن خادمة ليلى هي التى تظهر الآن بصينية القهوة والمشروبات : البرنو لليلى والقهوة الأيرلندية للأستاذ والقهوة السادة لى كل فى كأسه أو طبقه الخاص به . يبدو أن ليلى أصدرت التعليمات اللازمة .

ويسعى الأستاذ آزاده بكرم إلى إنقاذى (ربما يميل السيد آريان الى أن يشرب الليلة فنجانا من القهوة الأيرلندية) فتقول ليلى (جلال لديه حظر من الطبيب يا بابا فلابد أن نعذره) وتنظر نحوى . وأطرق صامتا .

ويقول الاستاذ (فاهم يا بنتى) . ثم يشرح لى أن (القهوة الأيرلندية) إحدى مشروبات الأيرلنديين التقليدية ، وتعود شربها منذ خمسة وعشرين .. عاما حين سافر الى (دبلن) فى أولى مأمورياته وهى intéressant لذيذة جدا لأنها مركبة من العناصر الحارة والباردة وهى agréable مناسبة جدا لمزاج سيادته . بلا شك نتحدث الليلة الفارسية ، لكن فارسية الأستاذ الكلاسيكية اختلطت بأنواع الكلمات الفرنسية والانجليزية واللتين تبحر الأستاذ فيهما وتمكن بدرجة كاملة .

ثم يسترسل (إحك لى لأفهم يا سيد آريان هل رأيت من المهاجرين الساكنين فى باريس أحدا آخر غير ليلى؟)

– (نعم ، لكن ثلاثة أو أربعة فقط)

فتقول ليلى (جلال فى الواقع سهران بداخـــــل مستشفى فـــال دو جراس)وملأت طبقين بالنقل وحلوى البلح والجوز ووضعتها أمامى

فيقول الاستاذ (على كل حال هم هنا كثيرون جدا)

– (نعم ، كثيرون)

– (ما رأيك فيهم يا سيد آريان ؟ تفضل كل من رمرمة أطول ليالى السنة) فأراد (بقول أحد الطلاب الذين رأيتهم .هم مـــن كـل الأصناف والأشكال – (نعم من كل الأصناف والأشكال. الله يعلم أنه كان عندنا

فى إيران كما هو التقليد دائما من كل شكل وصنف ، وانفتاح هجرتهم ، كما هو حالنا ، صيفا وشتاءً أمر طيب) .

فتقول ليلى (ليس كلهم يا بابا) .

وأرفع طبق النقل وأبدأ بالفسدق واللوز .

(طبعا ليسواكلهم. ولا أقصد بالهجرة ولف العالم مجرد العثور على المراعى للمواشى وللمجتمع البدوى الآرى .. لكن قصدى هو الضرورات السياسية والاجتماعية والحياتية لحضارتنا ، والتى كانت فى صورة هجرة ورحيل طوال أزمنة التاريخ حتى عصر ما قبل الأشكانيين ولا تزال مستمرة)

وتقول ليلى (بلا شك ، ضرورات الأثرياء يابابا !) ثم تضع كأسها وتقف وتختفى فى إحدى حجرات الطابق الاسفل لكى أشاهد جمالها أثناء سيرها ، لكن ليس بقدر ولع أبيها بإدخال شئ فى رأسى .

ويعتبر الأستاذ آزاده كلام ابنته ، ولابد أنه لجاج وتضاد سابق ، كأنه لم يسمع ثم يتوجه إلى باهتمام أكثر قائلا(أقول أن البروفيسر أو لمستد ذكر فى كتابه تاريخ الامبراطورية الهخامنشية لنا نماذج منها أفراد حتى فى العهد الأشكانى وأحيانا طبقات من الشعب الإيرانى كانوا يتركون ديارهم بسبب الضغط أو باقتضاء التحولات السياسية والاجتماعية ويهاجرون إلى الغرب أو الى الشرق . والمقصود من الشرق فى ذلك الزمان بلا شك مدن أفغانستان الحالية والهند والمقصود من الغرب بين النهرين والشام وأنطاكية) وينظر إلى كـأنه يطلب الموافقة .

– (أجل .. البروفيسر أولمستد)

– (وبعد استيلاء العرب على أراضى إيران هاجر الموابذة الزردشتيون الأشراف والطبقة العليا للمجتمع إلى الهند أفواجا ، عن طريق البر أو عن طريق البحر عابرين الخليج الفرسى وبحر عمان ، وبنى أغلبهم أكبر تجمع للزردشتيين فى الكجرات بالهند على مقربة من بمباى)

ويتكلم الاستاذ باستفاضة ، ماشاء الله ، بالقياس إلى من فقد حنجرته وأحباله الصوتية فأقول لنفسى ما أحسن سهر أطول ليالى السنة التقليدى ، كل شئ كامل .

قبل سفرى من طهران ذهبت إلى مجلس ختم القرآن للسيد جليلى من أقارب زوج فرنجيس ، وكان مات بسبب سرطان المعدة والبنكريلس (أهل إيران فى هذه الفترة كانوا ولا يزالون يموتون بسرطان المعدة والبنكرياس وغيرهما) . وأجلس فى تكية مسجد دباغخانة بجوار صديقى وابن حى القديم بهرام آذرى . وأقرأ الفاتحة وكان به مكان للنساء . وهذا المشهد كامل أيضا . وفى مكان الرجال جلسنا متحلقين متربعين مع جدران رواق قيام الليل بالمسجد يغالبنا النوم . وكانت الأحذية بالخارج مصطفة زوجا زوجا . وقف أصحاب العزاء أمام المسجد . وكان الناس يأتون زرافات ووحدانا فيصافحون أصحاب العزاء ويعزونهم ويسلمون أحذيتهم ، ويدخلون ملقين السلام وأيديهم على صدورهم معظمين وينتحون جانبا ويجلسون ويدخل خادم المسجد ويعطينا المصحف . فنقبله ونضعه على جباهنا ثم نقرأ القرآن . يشرب الجميع الشاى المر بالسكر فى الفم . ونشرب السجائر الروسية المخصوصة جمعيا . ويعظ الشيخ بأعلى المنبر . ويشخر مكبر الصوت من وقت لآخر وأرى الوجوه المعروفة من أوقات مضت ومن العائلة والأسرة ومن أهل الحى يأتون مجموعة مجموعة .

ويوضح لي بهرام آذرى فلان هذا من يكون وعلان ذاك ماذا يعمل . هذا الذى يوزع الشاى ابن اخت المرحوم جليلى كان فى الثالثة بكلية العلوم والصناعة، والآن يسوق تاكسيا . وذلك الأبيض الشعر هو الدكتور تراب زاده الذى أعتق (طرد) وهو بلا عمل . وذلك الممزق الجورب هو محمد أغا جوادى الذى كان قاضيا بالمحكمة لكن لديه الآن صفقات عقارية . وذاك الذى يربط عنقه مسعود حسينى الذى كان موظفا بجهاز التخطيط قسم الكمبيوتر والآن يبيع أجهزة الفيديو المهربة. ويصيح خادم المسجد بنواح (الفاتحة) ونقرأ جميعا الفاتحة .

يقول الأستاذ آزاده (أقول ناصر خسرو بدوره الذى أمضى الشطر الأعظم من حياته في اكتساب الفضائل وفى خدمة الأمراء وفى اللهو واللعب واكتساب المال والجاه حين وقع موضع الغضب هاجر من وطنه وقضى فترة فى التركستان والسند والهند وعاشر وتباحث مع أرباب الأديان المختلفة .. فى «جوامع التواريخ » وفى كتاب (دبستان المذاهب) ورد أنه التجأ من وطنه بيمكان وعاش العشرين سنة الأخيرة له فى تلك المنطقة .. ثم لدينا الشيخ فريد الدين العطار مع أنه اشتغل فى سائر سنوات شبابه فى شادياخ - بالعطارة طبعا العطارة لا يعنى به بائع العطارة والأدوية ولكن يعنى بائع الدواء وصانع الدواء - سافر إلى العراق فى أواخر عمره حين ضاق ذرعا بمصاعب زمانه ومرارته فى موطنه وعاش سنوات فى بغداد فى خدمة مجد الدين البغدادى . والحكيم أبو القاسم الفردوسى نفسه أيضا وطبعا أنت عارف بعد أن انتهى من نظم الشاهنامه ، لما دالت الأسرة السامانية على يد الأتراك توجه إلى غرب إيران وسلاطين آل بويه ، ومن هناك اتجه أيضا إلى غزنة فى أفغانستان الحالية وتوجه إلى بلاط السلطان محمود الغزنوى ، لكنه عاد فى النهاية إلى مسقط رأسه طوس ومات فى

حال مؤسفة بسبب ما وجده فى البلاط من عدم تحمس محمود إلى عظمة عمل الفردوسى وحسد بعض الشعراء الأدنى مرتبة فى البلاط) .

واسترق النظر إلى الباب الذى غابت وراءه ليلى ، ولايظهر لها أثر . لا أعلم أهى منشغلة بتجهيز العشاء أو تغيير ملابسها أم تأخذ حماما أم ماذا .

(ويبين لنا التاريخ بلا شك أن مثل هذه الظواهر كانت ولازالت فى سائر البلاد والمجتمعات ، بل حدث فى بلدنا إيران أيضا عكس هذه الأحداث . بلوتارخ المؤرخ الكبير يذكر لنا أن عام ٥٢٩ ميلادية حين أغلق جستنيان مدرسة سقراط فى أثنيا وأمر أتباعة بالصمت هرب أعقاب الأفلاطونيين من موطنهم والتجأوا إلى بلاط كسرى الأول أنو شيروان)

ويصب الأستاذ فنجانا من (القهوة الأيرلندية) جديدا لنفسه ويتحدث عن الشيخ سعدى الشيرازى الذى سافر إلى الشام وحلب وبعلبك إلى أن يصل إلى أن الشيخ قال بعد عودته إلى وطنه :-

لما عدت وجدت البلاد آمنة - وتخلى النمور عن طبع النمر ، فأتذكر مطرود وابنه المتخلف إدريس فى الغرف الخلفية لحديقة منزلى فى بريم وأننى لم أستطع أن أبعدهما بالقوة عن عبدان لبضعه أيام ولو إلى آغا جارى . وأتذكر هذا العجوز يوم سفرى من محطة غرب تهران وقد انقلبت سيارة النقل ببصله فى شارع الكرج بعد محطة البنزين وظل عاجزا فكيف يتصرف فى هذه الحالة ، لكنه لم يكن يجيل برأسه فكرة النزوح عن الوطن . ويعيدنى صعود ليلى سلم الطابق الأسفل مرة ثانية إلى النظر إلى تلك الحجرة . لكنها جديرة بالمغيب وجديرة بأن أنتظرها ، لأنها الآن وقد ارتدت رداء حريريا شفافا جميلا اختلط لونه الأسود بالأبيض تبدل هى فجأة شقة

الطابقين المذكورة في بورد يتالى إلى « القلعة التى تسلب العقل » من حكايات المثنوى .

وتعلن ليلى أن العشاء فى التاسعة وتقول أن جنيفييه والطباخ الذى أتوا به من أجل سهرة الليلة وعد أنه سوف يكون معدا ربما أبكر من وقته . وقبل العشاء ينهض الدكتور آزاده ويدخل إحدى الغرف حتى يصلى - أقسم على ذلك هذا قالته لى ليلى . كل ليلة قبل العشاء يذهب أولا الأستاذ ولو شرب مشروبا أوخمرا أو أكل شيئا فيغسل يديه وفمه ثم يتوضأ ويصلى المغرب والعشاء - عظيم طالما أن هذه عادة ورثها بابا من زمن حياته فى منزل والديه فى شيراز . على كل حال ، يطول غياب الأستاذ فى صلاته الليلة عن ساعة وأكثر ، ربما كان يتضرع فوق سجادته إلى ربه ويشكو بثه وحزنه ، ربما غلبه النوم ، ربما أى شئ ، لكنه أحد المتقاعدين من نظام متقاعد .

لكن الشئ الذى كانت ليلى تود أن تريه لى يظهر للأسف أنه فيلم فيديو . فحين تعود إلى حجرة نومها تأتى معها بكاسيت فيديو وتضعه فى جهاز الفيديو فيلم سينمائى أمريكى بلغته الأصلة اسمه (COMA) أى (الغيبوبة!) . وأقسم على أن ليلى فى دنياها السعيدة المهيجة لابد أنها تخيلت أن مشاهدة هذا الفيلم فى هذه الحالة والأوضاع سوف تكون (ممتعة) لى . وتقول إنها تعبت كثيرا حتى وجدت نسخة من هذا الفيلم لسهرة الليلة .

أصل فيلم (كوما) من قصص المستشفى البوليسية والمفزعة الحاكية للهذيان الأمريكى أو اصطلاحا رسالة احتيال رأسمالى - فيه رؤساء

مستشفى كبير يرسلون عمدا من وقت لآخر واحداً من المرضى الذين ليس لهم أحـــد ولا عمل من قسم الحوادث والطوارئ إلى (كوما) حينما يعلنون رسميا أن المريض المسكين مات ويرسلونه إلى ثلاجة خاصة ويحتفظون به ، لكي يبيعوا منه بعد ذلك أجزاء جسمه ، الكلوة والعين وغيرهما .. وأعتقد أن هذه القصة لا تزيد عن البله والجنون والهذيان . لكن تشابهها بحالة ثريها وتداعيها لها مثير للاشمئزاز، وكنت أصاب وسط الفيلم بحالة مغص وقئ ... حتى أن تواجد ليلى لم يستطع أن يسكن حالتي . حين كان الأطباء يرسلون مريضا جديدا إلى (الكوما) كنت أنهض وأدخل الحمام وأفوت مشاهدة المشهد بداخل الحمام وأبقى به خمس دقائق وحين أعود كان وجهي ولوني في غاية الجمال .

وتقول ليلى (يقطعني .. أنا السبب)

– (لا .. لماذا ؟)

– (هذا الفيلم قلب حالك)

– (لا شئ ..)

– (خفت ! تحول لونك الأحمر إلى أبيض كالجير)

– (هذا جمالي الطبيعي !)

– (لا ! ! !) (هل تريد أن آتي لك بشئ)

– (إجلسي مكانك .. أحكي لي .. نقلوه إلى الثلاجه ؟)

– (هراء ، دعني أطفئه)

– (ماشي)

- (فنجان قهوة بلبن ؟)

- (ماشى)

- (يقطعنى لما اخترت هذا الفيلم آه قل عنى بنت حمارة .. وضعت هذا الفيلم لهذا الرجل المسكين)

- (هص . هذه تسلية)

وتنهض وتقفل الفيلم على مشهد جورج دوجلاس وهو يجرى متعقبا الأشرار ويكتشف ثلاجة جثث من(المغمى عليهم) . ثم تأتى من المطبخ بقهوة باللبن ساخنة .

(فى البداية أزعجك بابا بثرثرته فى التاريخ والآداب المشتتة المشردة لبلاد الزهور والبلابل ، ثم قرفتك بهذيان أمريكا)

- (إلا أنت سمعت الكلام ؟)

- (بابا كان رافع صوته أزيد من اللازم !)

فأضحك وتضحك هى معى

- (كيف حالك ؟) وتضع يدها على جبهتى . بشرتها فى مقابل بشرتى ساخنة وملتهبة .

- (بخير وحلو)

- (كيف حال ضغطك ؟)

- (أى ضغط ؟)

- (ضغط دمك)

- (لاتهتمى به)

- (ماذا حدث ؟)

- (أبدا ، حدث لى شئ من البركان)

وأتناول القهوة ومعها ثلاثة أو أربعة من الكبسولات ، ويعود إحساسى بالراحة إلى صدرى ورأسى ، وتضع ليلى شريط فيديو عن الموسيقى الإيرانية وتقول بابا يعشق مطربة هذا الكنسرت الجميلة ، ثم تأتى إلى جوارى وتجلس (رأسك مصدعة ؟)

- (لا - لكن الشئ الوحيد الذى لم يخرج من باطنى أظنه كان فم معدتى الاحتياطى)

- (ألم تعتقد أن الحالة لن تعود إليك ثانية بهذا الشكل ؟ تصبح صدمه Stroke? ؟)

- (لا ... لكن الصداع اشتد برأسى دقيقة أو دقيقتين بحيث ظننت أننى داخل فى الكوما)

- (حين خرجت من هناك وكان لونك ووجهك بذاك الشحوب أنا نفسى التى كنت سأدخل فى الكوما !)

- (خوفتك .. ياطفلة)

وتنظر إلى عينى .

لأول مرة أشعر فى سائر هذه الرحلة أنى وصلت إلى نقطة يمكن أن توجد بها الحياة الهانئه . لكن جنيفييه هذه النكدية لابد أن تقطع علينا السعادة وتأتى لتقول أن العشاء جاهز .

ويلحق بنا أيضا بسرعة الدكتور آزاده .

والعشاء على الترتيب ، والأورد وفر المخلوط بالكنسرو أوليفييه ، وحساء الكمأة والدجاج المشوى ، نوع من طبيخ السمان ، الأرز الأبيض المطبوخ به خضار ، مع خمر البوردو البيضاء (châteaud' yquem) . وبعده التحلية والفاكهة . ولا يتحدث الدكتور آزاده على المائدة كثيرا ، بسبب أنه ولابد لا يستطيع الاستفادة من الملعقة والشوكة كما يستفيد من جهاز توليد الصوت . فى البداية يتناول طعامه بسرعة ليست كبيرة . ثم يبقى عشاءه باقى الوقت فوق المائدة ويشرب الشاتو دايكم ، ويأكل قليلا بأطراف أصابعة ويتحدث ويتلطف ، أى يدخل مباشرة ثانية بحث هجرة الأدباء والمثقفين الإيرانيين على طول التاريخ القديم والأمر المثير للعجب أن هذا الدبلوماسى الذى عمل ما يقرب من خمسة وعشرين عاما فى وزارة الخارجية والسفارات وكليات العلوم السياسية لا يتحدث أدنى حديث الليلة عن مشكلة الرهائن فى طهران وهى أشد الموضوعات السياسية في هذا الوقت فى كل العالم غليانا ويسير فى عالمة وفى عالم أدباء إيران النازحين ويفتتح حديثه بما يلى :

(.. وفى تاريخ القرن الأخير بإيران أيضا مع أن أحوالها تحسنت قليلا وتمتع المجتمع بالحرية والرقى الأكبر نسبيا ، كانت هجرة رجال السياسة المثقفين والمفكرين والكتاب والشعراء كالماضى أمرا طبيعيا ، حتى بين رجال الدين أيضا الذين كانوا من أقرب العناصر إلى طبقات الشعب الإيرانى كانت الهجرة والنفى نفسه أمرا عاديا هاجر الشيخ سيد جمال الدين الأسد آبادى إلى استانبول وباريس ونشر مع الشيخ محمد عبده جريدة العروة الوثقى . ووسط المهاجرين المقيمين ببرلين كانت تصدر جريدة (كاوه) وكان المرحوم تقى زاده وجمال زاده يطبعون بها بعض أعمالهما . حسين كاظم زاده إيرانشهر أصدر بدوره جريدة (ايرانشهر) ، كما كانت هناك بعض

الصحف الأخرى واليوم تعرف أن أمعنت النظر ، أن الصحف الفارسية تصدر بكثرة في باريس ولندن ونيويورك ولوس أنجلوس) .

ويحرك الدكتور الذى حميت رأسه تدريجا بكؤوس الشاتودايكم الكثيرة فكيه الاثنين – ولا نعرف هل فيهما أسنان صناعية – بين فمه ويطهر من بينهما دقائق لحم السمان والدجاج والأرز يخرجها بأصابعه ويقذف بها جانبا .

(.. حتى فى عهدنا المعاصر لدينا شواهد ونماذج كثيرة ، إذ أن تقريبا جميع كتبنا ومفكرينا وشعرائنا نزحوا بأنفسهم ، بما أن المستوى الفكرى للمجتمع لم يعد يناسب طباعهم أو أصبح يخالفها ، أو لأن فى خارج إيران كان مجال التنفس وإبداع الآثار أفضل لهم . وأشهرهم فى الحقيقة المرحوم صادق هدايت ومحمد جمال زادة فى سويسرا ، وبرزك علوى فى ألمانيا ، وصادق چوبك فى لندن ، وعباس حكمت فى أكسفورد والسيدة مهشيد أمير شاهى فى باريس وكثرة أخرى رحلوا مع انتهاء الأسرة البهلوية ونفس ابنتنا العظيمة هنا أيضا ..)

وتقاطع ليلى أباها (لاتجعلنى يابابا معهم)

– (لم لا ؟ هذه حقيقة يابنتى)

– (ثم أظن أننا أزعجنا السيد آريان الليلة بالقدر الكافى)

فأرد (إطلاقا .. الليلة كانت ليلة هانئة)

ويقول الأستاذ آزاده (حاضر ، لكن هذه حقائق)

فتقول ليلى (هذا أيضا غير معروف . فهؤلاء لكل منهم أسبابه ،

بالتعبير المعروف التركيبة الشخصية التى جعلته يهاجر .. ولا يمكن إصدار حكم عام على جميعهم بتحليل وتفسير واحد . ولا يمكن القول إنهم جمعيا نزحوا عن إيران بسبب الجور والظلم ووقوعهم موضع غضب الهيئة الحاكمة والمجتمع الإيرانى .. وكثير بقوا بايران ويبقون بها . على أكبر دهخدا ظل بالوطن أينما كان بلا مال ومع الاستهانة به ، بل إنهم قطعوا الماء والنور عن بيته ..)

ويكتفي الأستاذ آزاده إذ ذاك بقوله (نعم ..) ويملأ كأس ليلى مبتسما (نعم ..) ثم يحرك رأسه مرارا كأنه يتحسر على أمور فى غاية العظمة ذهبت مع الريح ويقول (لبلوتارخ جملة فى سقوط أمبراطورية الروم :

Sic transit gloria mundi! وهكذا مضت عظمة الدنيا) ويعب كأسه كله كأنها آخر جرعات الشاتودايكم فى العالم . ثم يقول (أذكر أن عماد خراسانى يقول (جن قلبى .. جن ، جن جنونه كما غدوت عن نفسى غريبا ، غريبا و غريبا) .

ثم يغمز إلى بعينه ولا أستطيع فهم قصده فى نهاية الليلة من هذا البيت أو هذه الغمزة . ولكن الأمر لا يهم . لابد أن الأستاذ نفسه ليس الآن مطمئنا أو لابد أنه يتصور أو أن ليلى أو صلته إلى هذا التصور وهو أنى وليلى التقينا بعد هذه السنين فى باريس .. وانفتح علينا باب الرحمة ذات النوافذ الأربعة.. ونأكل الآن حلوى البلح والجوز مع نوع من آيس كريم الأناناس ، ويطلب الأستاذ من جينيفى أن نوعا من الكونياك (nightcap) وتأتى به جنيفيو فى قعر أحد الكؤوس فوق صينية ذهبية بطريقة تجعلنى أخمن أنه

لابد أخرجه مباشرة من إحدى خزائن البنك المركزى الفرنسى . ويرفع الدكتور كأسه مشيرا إلى ابنته قائلا (يجب احتساء كأس الحياة ملا وفى يا أبنائى :

ما أسعد الحال وأهنأ الوقت لمفتونين ولمحبين

الدنيا خلاف حبهما ليست الاخرافة وأسطورة

وتقول ليلى (بابا .. من فضلك لا تسرف فى العاطفية)

– (حاضر ..)

– (ولاتنس أن تتصل بماما قبل النوم . أنها تنتظر والمقرر أن نتحرك فى الصباح الباكر)

– (حاضر ، على عينى)

ثم يشير الأستاذ إلى موسيقى الفيديو ويقول (أحب هذا اللحن .. أغنية لطيفة) والمطربة المهاجرة تتغنى الآن بلحن رقيق عن إيران بحرقه وذوبان ، ولا أتذكر اسمها سوسيك أو سوسك – صبغت وجهها بكل ألوان التواليت وارتدت الديكولتيه . وكأن الملحن والمؤلف لهذه الأغنية هما من المهاجرين أيضا . يقول بيت الترجيع لهذه الأغنية :

السماء حيثما ذهبت ملونة

لكن سماء قلبى لاتنفتح

نبضى يدق من أجل إيران

ودموعى مرثية لقلبى

ها لا لالى لالالى ها لالاى

أما الدكتور آزاده الذى نام الكأس بين يديه وفزع نومه يدق بأصابع إحدى يديه برقة فوق المائدة ويقول (غنى ياست ، غنى ياست ياحلوة .. غنى حتى صباح أطول ليالى السنة) .

أنت روح لطيف والعالم جسم كثيف

مضيئة للشمع والدنيا أطول ليالى العام

وأستأذن للذهاب فى حدود الحادية عشرة والنصف ، لكنها ليلة طيبة بوجه عام ، بما أن ليلى كانت حاضرة بها ، خاصة آخر أوقات الليلة .

وتوصلنى ليلى بنفسها إلى الفندق منتصف الليل تقريبا لكنها لاتدخل . يريدون السفر بسرعة برفقة أخيها وخطيبته فى الصباح الباكر إلى مرسيليا وأنا شربت منها بالقدر الذى يكفينى إلى شهر يناير .

- ١٦ -

قابلت خلال الأسبوع السابق لعيـد الميـلاد نادر بارسى مرتين أو ثلاثا حين كـان يريد الهروب من زوجته وأختـهـا . مرة أتي معى لزيارة ثريا لكن الحمد لله أنه لم يدعنى إلى منزله . عالمه يفترق عن عالم الأستاذ الدكتور آزاده الأرستقراطى الباذخ . وكـما يقول أحمد صـــفوى فشـلة نادر بارسى هذه السنة في باريس شلة مقرفة .

على أى حال فشلة مقهى الريفييرا بأول شارع قوام السلطنة تختلف عن شلة التيمسار قائم مقامى والدكتور مجيدى والعقيد جواد علوى والدكتور قاسم خطيبى والدكتور كاظم مكارمى وفرهاد بيكلرى وكانوا هاربين سياسيين أو لصوصا أو ماسونيين . فهؤلاء كانوا يتعشقون ذواتهم ويسعدون بها ثم يغيبهم تماما هذا العشق أو العكس . أولئك لم يكونوا

يجلسون ويكتبون الشعر والقصص وينوحون وينثرون بواطنهم المهتاجة العاجزة . وهؤلاء كانوا متآمرين سياسيا ، كانوا عناصر يظهرون آخر الليل فى مقر تابع لرؤساء النظام السابق حول منقد المخدرات . مثل نادر بارسى والدكتور أردكان ويسى وهما علائى كان يمكنهم الظهور من حين لآخر حول المنقد للهو وليس لأهداف جادة . ليلة أن ذهبت أنا وليلى إلى المنزل المبنى فى القرن الثامن عشر ملك التيمسار الدكتور قائم مقامى وكان التيمسار يتحبب إلى ليلى كانت تأتى من الدور الأعلى لهذا المنزل العظيم أصوات ربما كانت لمجموعات تجسس وعملاء كانوا منهمكين فى عملياتهم . ولابد أن بضعة منهم كانوا من شلة السير جيمس مانسون واحتمالا كان جيمس مانسون نفسه واحدا منهم .

حل الأسبوع الأخير لشهر ديسمبر ولم أحل حتى الآن مشكلة الفلوس للمستشفى لأنى أعتقد أنى أولا لا أريد أن أخرج بأى طريقة الآن فلوس فرنجيس من إيران وأرميها فى قبضة هؤلاء المرابين ، وثانيا قمت بخطوات إدارية عن طريق مكتب الكلية ومكتب المستشفى إذا نجحت فسوف يتكفل التأمين الحكومى بنفقات المستشفى .

الجو هذه الأيام بارد جدا يصحبه الرياح والوخز والليل كله تسقط فيه الثلوج . وحين أخرج من المستشفى أتمشى طويلا وأحيانا أصل حتى مكتبة البلدية فى حى سان سولبيس وذات ليلة أتى إلى الفندق أحمد صفوى ووجدنى . كنت قد رأيت أحمد صفوى مرة أو اثنتين فى سمنارات شركة النفط وكان يأتى للمحاضرة فى دورات الإدارة . وهو فوق أعماله الأخرى من المترجمين الناجحين كثيرا فى السنوات الأخيرة ، وهو كذلك من الأصفهانيين الأذكياء وعلى النقيض من شلة بارسى أو شلة السياسيين

فله جنسية أوربية إيرانية مستقلة وإقامة بألمانيا ولايزال يتردد على إيران ويتقاضى معاشه من الحكومة الإيرانية وحق تأليف الطبعات الجديدة لمؤلفاته من ناشريها .

وبعد الظهر بقليل لليوم الذى أتى فيه صفوى يتصل بى تليفونيا ويقول إنه أتى منذ يومين أو ثلاثة من أشتوتجارت إلى باريس وسمع من نادر بارسى أننى فى باريس . ويقول إنه يريد أن يأتى ويزورنى ويعرض خدماته . وحين يأتى أراه يبدو سعيدا وضاحكا جدا ويقول إن مدينة أشتوتجارت مدينة عظيمة وسكانها فى غاية الانضباط والإنسان يسعد بهم . وسكان همبورج راقون أيضا وجوها عظيم على وجه الخصوص ويسعد الإنسان بجو همبورج . وإذا ألقى أحد عقب سيجارة فى الطريق فى أشتوتجارت أخذ مخالفة من الشرطة . وفى همبورج وأشتوتجارت سوق رائجة جدا لسجاد إيران وفى الواقع فى هذه البلاد يقدر سكانها قيمة هذا الفن الأصيل الإيرانى . وله ولزوجته فيللا فى أشتوتجارت . ويقول إنه رجع من إيران منذ أسبوعين فى إحدى رحلاته المتعددة إليها . وفى إيران مع كل مصاعبها وقلاقلها الأوضاع ممتازة . أوضاعها أفضل كثيرا جدا عن السابق فلا يوجد حانات الخمر ولا سفور ولا نهب بلا داع ، الخلاصة أوضاعها ممتازة .

وفى الغروب نخرج معا سائرين ونجلس على مقهى فى سان ميشيل مكان تجمع يومى لزمرة من المهاجرين الإيرانيين ويعرفهم صفوى . وأشرب قهوة إسبرسو وأحمد صفوى يشرب شايا بليمون ويذكر إنه لا يحتسى الخمر أبدا . يقول إنه عاهد ربه أن يسلم عزرائيل كبدا صحيحة وسليمة .

فأسأله (كيف هل يلزم عزرائيل أن يقوم بعملية تبديل الكبد ؟) .

فيضحك (لا ياسيد آريان . أنت كأن كل عقلك وحواسك وتفكيرك

وتذكرك فى المرض والمستشفى والعمليات وعزرائيل وغيرهم . تفضل وقل أى أخبار جديدة عندك ؟)

- (سلامتك) .

- (شكرا) .

- (... إذن أتيت حديثا من إيران ؟) .

- (والأحوال أيضا بخير هناك ؟) .

- (يبدو أنها تمضى بخير !) .

- (الأحوال ممتازة ، لكن الجميع يتعللون بغفلة) .

- (والحرب كيف تبررها ؟) .

- (الحرب إن شاء الله سوف تنتهى بسرعة كبيرة . الحرب لها جوانب إيجابية كثيرة أيضا تثمر التحرك والانسجام . تثير الإحساس الوطنى) .

- (هل زرت كل إيران ؟) .

- فيقول (نعم ، مسقط رأسى ، أصفهان . قيل من زمان أصفهان نصف الدنيا فكيف لا يمكن زيارتها ؟ ما أحلى ماءها ! لا يزال ماء أصفهان أفضل ماء فى العالم . والله العظيم . أنا فى كل وقت أزور أصفهان أحمل معى بعيد عنك كل الأمراض والعلل . سيادتك هى ثلاثة أيام يطهر ماء أصفهان كل بدنى وجسمى وروحى .. وحياتك) .

- (هل جئت بالأتوبيس ؟) .

- (نعم ، ولم يكن سيئا) .

- (سياحى) .

– (لكنى وصلت أرضروم وركبت من هناك الطائرة) .

– (هل أنت مضطر للعودة إلى إيران أم ماذا ؟) .

– (أخى – إذا لم أذهب قطع المعاش . وتطلع عينينا ! كما أن لدينا بإيران مشاكل عديدة فلا يزال كافة أثاث والدتى التى توفيت من ثلاث سنوات وأمتعتها وأملاكها فى أصفهان فى أيدى الورثة . ولابد من التفتيش لاتزال جذورنا فى إيران . وكيف أحوالك ياسيد آريان ؟) .

وأذكر له مجملا بسبب مجيئى .

– (سمعت أنك محتاج للفلوس) .

فأضحك (نعم ، للأسف) .

– (نعم ، للأسف) .

– (أنا مستعد للخدمة ، بل هذا واجب على طبعا).

– (شكرا ياسيد صفوى) .

– (اذكر لى أى مبلغ تريده ياسيد آريان . بكل صدق وإخلاص إذا لم نساعد بعضنا فى عالم يارب نفسى فمن يساعدنا . إن الإنسانية وواجب مساعدة الإنسان الشريف وابن الوطن مثلك يفرض على ذلك . خاصة وأنت مرهون فى هذا الوضع الحساس والتعب غير المتوقع) .

– (شكرا ياسيد صفوى ، أنا فى غاية الحرج) .

– (أى استحياء وحرج ؟ أنت بحاجة للمال وأنا لدى هنا شئ من المال ، فخذ ماتريده ورده فى أى وقت إلى أخ زوجتى فى طهران . وإذا لم يكن معك فهو فداك) .

- (ليس بهذه البساطة) .

- (بل أبسط من البساطة) .

- (لم نكن زملاء دراسة) .

- (اسأل عني . فوقت أن ذكر لي بارسي أنك هنا وبحاجة إلى الفلوس جئت على عيني) .

- (شكرا) .

- (هذا واجب علي . أتيت ورأيتك وعرضت الخدمة) .

- (أتيت ورأيت وفتحت . من قال هذه الجملة ؟) .

- (يوليوس قيصر ، لكن اللعنة على يوليوس قيصر . أنا لك مخلص وأقوم بالواجب . بهمن قراكوزلو كانت سيارته البى ام دبليو وعفش شقته على وشك الضياع ، العبد لله حللت المشكلة باع حاجاته لابن أختى فى طهران وسلمته هناك كل فلوسه عدا ونقدا) .

- (هل دفع فلوسها لك فى طهران ؟) .

- (أعطيته رقم حسابى فأودعه فى حسابى وانتهى الأمر . بنفس البساطة لك أيضا . فى الواقع إنك تصنع فينا معروفا . لأننا دائما نحتاج بشدة إلى النقد الإيرانى فى طهران ، لكى نبعث نقودا للأولاد) .

- (أولاد حضرتك يدرسون هنا ؟) .

- (نعم فى أشتوتجارت) .

- (ماذا يدرسون ؟) .

- (واحد من ولدين لى يدرس الطب والآخر الآثار وبنتى تدرس الاقتصاد . لابد أن نعد جيل الشباب لمستقبل إيران الحبيبة) .

– (كم يدفعون شهريا ؟) .

– (يدفعون كما هو مقرر ألف دولار شهريا – لكنهم ينصبون) .
وأحسب المبلغ يدفع لكل منهم شهريا ألف دولار ، فيصير المبلغ رقما كبيرا على عرض العام . ٣٦ ألف دولار فى السنة من ميزانية الدولة وهى فى حالة حرب .. مبلغ يمكنه أن يودعه فى بنوك المانيا أو الدنمارك أو أمريكا بربح ١٦٫٥٪ .. أتمنى ألا يكون صفوى وهو رجل شديد الذكاء قرأ أفكارى . لكنه أعلى من أى شئ أتصوره فيه . يقول (لما قلت إنى راض عن أوضاع إيران فقصدى بلا شك ليس هذا الجيل الحاضر ، الجيل الموجود بإيران ، خاصة الشباب سوف يصادف نكبات كثيرة . لكن كما يقول الباندیت جواهر لال نهرو يجب (النظر إلى إمكانات المستقبل وتصوراته) . نحن أيضا مثل ثورة الهند ضد الاستعمار الإنجليزى قمنا بأعمال ضد الاستعمار العالمى والنفوذ الغربى . يجب أن نظهر للعالم ونثبت له أنه لا يوجد فقط فى الدنيا نظريتان أو معسكران الشرقى والغربى يواجه أحدهما الآخر ، الرأسمالية أو الديمقراطية الرأسمالية فى ناحية والشيوعية أو الدكتاتورية الشيوعية فى ناحية أخرى . يوجد طريق ثالث أيضا . نعم . سوف يعمل هذا النظام من أجل إيران فهى حكومة تقتبس أفضل التقنية من كلا المعسكرين القائمين لكنها فى صدد ألا تكون تابعا لأحدهما وتظهر فكرا يتناسب وتاريخها وفلسفتها . حسنا وأنتم كيف أو ماهو رأيكم الخاص ؟) .

– (إذا سألتنى ما الأفضل أكلة التشلو كباب أم حساء الضفادع قلت لك التشلوكباب) .

– (أنا واثق أنك تمزح) .

ويضحك كلنا (كنت واثقا) .

– (لا تثق كثيرا ياسيد صفوى) .

فيسألنى (لم تأت معك بسجادة أو بساط أو شئ من هذا ؟) .

– (لا ، هل يسمحون لك بها ؟) .

– (ولم لا ؟ يدعون تخرج بسجادة صغيرة للصلاة . كلما سافرت حملت معى سجادة صغيرة – للصلاة) .

– (أنت تصلى ؟) .

– (لا ، بل أنا ذكى !) .

ثم يضحك كلانا . حتى فى عبدان كل من بقى بها أو كان لهم تردد على البلد لم يخلُ من الساقطين . كان هناك أناس أيضا عملهم السطو على المنازل الواقعة فى المناطق المتأزمة من الحرب . أى إخلاء أو سرقة المنازل والمحلات التى هرب منها أصحابها بسبب الخوف وهم كانوا يشكلون أكثرية سكان المدينة . وكانت فئران النخيل تخرج من ثقوب المجارى . كانت قنابل كلاب صدام تأتينا من الجو ويأتينا من الأبواب اللصوص الذين كنا نسميهم بضباع أو آكلات جيف الحرب . حتى أثناء الحصار الكامل على الجزيرة وإطلاق النيران المتصل ظهر أكلة جيف الحرب أحيانا كانوا يأتون بحقائب يدوية . ويسرقون المجوهرات والأدوات الكهربية الصغيرة والكاميرات وغيرها . وأحيانا كانوا يأتون بسيارات الجيب ويسرقون السجاجيد والبسط وأجهزة التليفزيون . وأحيانا كانوا يأتون بشاحنات كبيرة ويمسحون المنازل . وهؤلاء الأخيرون كانوا يحفرون على أجهزة التكييف ويأخذونها . كان عندنا واحد اسمه محمد رضا نيك فرجام فى (بريم)

الغربية ارتحل مرتين وثلاثا من عبدان وعاد إليها وكان يأتي معه بالحقائب وعلب الكارتون الفارغة لنقل عفشه بالتدريج إلى شيراز وهاجم أكلة جيف الحرب منزله مرارا حتى أنة علق على باب منزلة ورقة كتب فيها (من فضلكم .سرق هذا المنزل مرتين حتي الآن . لم يبق فية غير الأدوات الثقيلة مثل السفرة و الكراسي و السرير !) بل في داخل المستشفي دارت شائعةأن شخصا ينشل في قسم الإسعاف و الطوارئ الساعات اليدوية والدبلات والخواتم الذهبية و جيوب القتلي أو الجرحى .

وأسألة (من أين تعرف بارسى وأنت لم تكن قبل الثورة في ميادين القصة والمسرح والسنما والتليفزيون و ما شابه)

- (لا ، أنا لا أختلط بهذه الميادين . زوجة نادر بارسى الموجودة معه هى بنت خالى عباس برزكر إذا كنت تسمع به صاحب شركة استيراد باسم (برزكر) هو الآن فى أمريكا أما بارسى نفسه فهوَ فى رأيى إنسان مبدول) .

- (أنا لم أر من نادر شرا) .

- (بالرغم من أنه مخلص وعنده استعداد لكنه زائغ العين والمخ . كانت معه زوجة فرنسية فاضلة فطلقها من سنتين . تعرف أنها تريد الآن أن تستولى على الشقة التى له هنا) .

- (لا أعلم . سمعت بشئ مثل هذا) .

- (ألست جائعا ، أنا فى العادة أتناول عشائى فى السابعة) .

ليس ورائى الليلة عمل هام وليس مقررا أيضا أن أعود إلى المستشفى .

فأقول له (أنا تحت أمرك) .

- (إذن تفضل) .

على تقاطع سان ميشيل وسان جرمان مطعم (خدمة ذاتية) كبير وممتاز نذهب إليه . وأطلب أنا سلاطة بحساء الكمأة مع صنف من الإسباجتي ولحم الدجاج بالجبن . ويطلب أحمد صفوى صنفين من السلاطة ودجاجة محمرة وطبقا من الخضار وماء معدنيا . والطعام هنا على الدوام طيب المطعم والموائد القريبة من النافذة لاتخلو من الجمال خاصة أن ليس فيه ضجيج الجرسونات ورواحهم ومجيئهم . فقط عند الشاى أو القهوة الساخنة . تشترى بوناتهما وتعطيها بعد تناول الطعام لأحد الجرسونات فيأتي به لك . وأتناول قبل الأكل كبسولاتى وأحمد صفوى بطور عام رفيق ودود . فهو رجل مجرب معرفته واسعة بجوانب التاريخ العالمي العام خاصة القوميات والشعوب . يعد نفسه ليس قوميا وحسب بل قوميا عالميا أيضا . من مترجماته المشهورة وقت شبابه الكتاب الكبير (القومية - مائدة التاريخ العظيمة) والذى قدمه إلى الدكتور محمد مصدق (فى منفى سنواته الأخيرة فى أحمد آباد) . وكتب المرحوم الدكتور محمد مصدق بخطه رسالة لأحمد صفوى أثبتها صفوى على ظهر كتابه في طبعاته التالية بعد قيام الثورة الإسلامية وزوال قوة أصحاب الجبهة الوطنية وطبع الكتاب مرارا . لكن صفوى أقام في أشتوتجارت من قبل وصول الجبهة الوطنية إلى السلطة بإيران ، وترجم أغلب كتبه بالمهجر . ومع أنه ، كما يقول ، أبقى على (الاتصال بالوطن) و (الإحساس بالوطنية والإيرانية) لديه ، لكنه يبحث القومية فى الأغلب من الناحية النظرية وليست كجزء من الأمة فى الواقع أو كدم وعرق ودموع مهراقة . لكنه يخضع كل شئ للتحليل والتشريح ويختلط فيه كل المعارف من

مدرسة القومية الوطنية للباندیت جواهر لال نهرو حتى خواص فاكهة الكاكا في حديقة والدته بأصفهان . أنه دائرة المعارف البريطانية سيّارة سياحة . وبينما نتناول القهـــوة يجتذب الحديث ثانية إلى الكتاب والآداب في إيران لكنه يعتبر أنه لايستحق شاعر في إيران أن تكون رأسه فوق جسده بعد الفردوســـى وحافظ والخيـــام . بـــل لا يجب أن يوجد بها أصلا لكنـــه في انسجام خاصة مع من هم بطـــراز نادر بارسى مثـــل الناقدين والباحثين وكتاب القصة الحديثة والشعر الحديث والمسرح الحديث و (المقتبسين) .

بخارج المقهى أسدل ليل باريس البارد أستاره ونجلس وراء مائدة صغيرة للمقهى الدافئ بجوار نافذة تطل على الشارع ونحتسى القهوة . ويأخذ صفوى إحدى سجائرى . يقول إنه يشرب سيجارة واحدة بآخر الليل كل ليلة .

ويسألنى (هل قرأت أعمال نادر بارسى ؟) .

– (بعضها ، حاولت !) .

ويضحك صفوى (أنا والله لم أفهم شيئا في كل ماقرأته . أعماله لها إطار وشكل ، لكن محتواها أبيض كالثلج . يقتبس الشكل الظاهرى من الأدباء الأجانب مثل جان جنيه ومثل برتولت برشت ومثل صامويل بيكيت لكن مضمون أعماله شئ كالثلج ، لأنه هو نفسه لا يفهم أو يستطيع التأثير في القارئ الإيرانى ، لأن هذا القارئ الإيرانى ليس لديـــه استعداده ومجاله الفكرى . ألا توافقنى ؟) .

– (تلك المجموعة التى تجتمع هنا يبدو أنهم سعداء) .

- (لا ، هم فى الباطن محزونون ومحزنون على السواء .. رأيتهم وأعرف أشكالهم نـادر بارسى وبهمن قراكوزلو والدكتور كوهسار وجيلا وارسته وبيجين كريمبور وسودابه برزكر وهجير هرمن والدكتور داريوش أردكان وأردشير ويس وغيرهم وغيرهم الذين تراهم يشكلون فى فرنسا النواة المركزية لجماعة من الشعراء والكتاب والفنانين بعد الفرار من الثورة الإسلامية . وتوجد مجموعة أخرى أيضا . الله يعلم كم عددهم فى لندن ، وفى أمريكا .

محيط الثورة الإسلامية أعمى قرائحهم ! لايمكنهم البقاء بإيران ونظم الشعر الجديد والمسرحيات الجديدة لأن الخمر والمعشوقات محظوران ، وهم يقدمون لك هنا البرامج الفنية فى التليفزيون وفى الصالونات الثقافية والفنية فلو عادوا فلن يعبأ بهم أحد . لكنهم بقوا هنا لأن بساط شرب الخمر ممدود بحرية أمامهم . يجلسون ويقولون نحن مطاردون ولو خطت أقدامنا إيران لأودعونا سجن (أوين) وارتاحوا منا . نعم إنهم إن فعلوا أفعالهم هذه لقوبلوا بالعقاب ولظلوا واقفين ضمن سقط المتاع وصفوف المهملين حتى يخضر تحت أقدامهم اليابس . بعضهم من يعـرف الفرنسية مثل داريوش أردكان ، ألفوا كتبا ومقالات وأعمالا أدبية بالفرنسية حول الثورة نشرتها مؤسسة (أموبجارد) بباريس لكن بقيتهم الباقية ظلت عاطلة . نادر بارسى نفسه كان يقول إنه ألف رواية كبيرة فى أصول الثورة أو لا يزال يؤلفها لكنه توقف فى وسطها لأنه لايوجد من ينشرها . قال هذا الكلام ليلة لعبت خمر الكورزوازيه بعد أن أفرط فى شربها برأسه وكشف عن آلامه المكبوتة . كان يقول لايجب إخماد خفقات الإبداع لأنها (أنفاس تتردد تحت دم الخلود) . كان يقول إن أمثال نادر بارسى سيئو الحظ اليوم فى إيران كما

كان أمثال الفردوسى ومنصور الحلاج وفرخي اليزدى . عفوا فهذه التشبيهات والمقارنات هو الذى كان يقولها . كان يقول أيضا إننى مثبت معاصر للوقائع بإيران وواقعى مسجل للحقائق لثورة بلادى . لايمكن أن أظل صامتا . أرى نفسي مضطرا لكي أكتب . كان يقول إذا لم أكتب فقد خنت وجدانى وأيدلوجيتى وأمتى وبلادى .

كان يقول كان الفردوسى ملتزما وناصر خسرو القباديانى ملتزما وميرزا عشقى ملتزما وتروتسكى ملتزما ، وخوزيه مارتى ملتزما ، وفرخي اليزدى ملتزما ومشفق كاظمى ملتزما والدكتور داريوش أردكان ملتزما ، وأنا ملتزم مع أننا فعلا سيئو الحظ .. لكن بارسى طلب بعد هذا الكلام مباشرة من الجرسون أن يأتى له بكوروازيه دوبل آخر وأدخل فى فمه بالشوكة قطعة كبيرة من لحم (استيك فيليه مينيون) ومعها (الديجون) الخردل . وأتى الجرسون بالكروازيه له فى كأس مدورة منبعجة البطن وأفرغها نادر بارسى فى حلقة فى صحتنا والأيـــام الأحلى . ثم قلت لا تنس يابارسى بلك ذكر قصة المولوى ضمن كلامك ولا ثقب الدعاء (الورد) مناسب فى باريس لكنك نسيت (ثقب الدعاء) . فضحك بارسى واعتقد أننى أتيت بهذا المثل لمزا فى أعمال الدكتور أردكان وتركته يعتقد هذا الاعتقاد . بلا شك أن الساخطين واليائسين من الأنظمة المختلفة على مدار تاريخ العالم ومن كافة البلاد قـــد هاجروا إلى باريس وســوف يهاجرون إليها فى المستقبل أيضا ويلجأون إلى بلاد أخرى لكن باريس هى الملجأ التقليدى والتاريخى للساخطين فى تاريخ البشرية . وعندنا أيضا ساخطون وسوف يظهرون أيضا فى إيران فى المستقبل . إلا أن المؤلف وصاحـــب القلم الإيرانى الذى لم يحمل قط رسالة عالمية ليس مكانه غير إيران ، وليس مقهى دولاسانكسيون .. هل توافقنى ؟) .

الإجابة عليـــه ببســاطة يمكــن أن تكــون (وليس فى أشتوتجارت) لكنى أقول (اتفق معك) لأن إجابتى يفهـم منها نفس ما أريد أولا ، ثم أنه كما ذكرت رفيق ودود . ثم أشعر أنه يريد أن يعيـد الكلام فى الفلوس ، لكنه يسألنى (هل تحب أن نذهب عصر الغد إلى (متحف فرساي ؟) .

– (عظيم) .

– (ألست مشغولا ؟) .

– (أذهب إلى المستشفى صباح كل يوم) .

– (إذن يمكن أن نذهب العصر وسوف أكون بصحبتك . الطريق إليه يستغرق ساعة بالقطار . مضــى على أنا شخصيا وقت طويل لم أزر فيه متحف فرساى . هل أنت موافق ؟) .

– (موافق) .

وحين ننتهى من القهـوة والكيك ننهـــض ، ويلف أحمـــد صفوى الشال على عنقه بدقة ويلبس قبعته ويضبطها على رأسه أمام المرآة . ثم يلبس معطفه ، ونخرج من المقهى .

الجو بارد جاف لكن أنوار ليالى عيد الميلاد وضجيجها تظهر الحياة فى باريس ونسير على الأقدام من بداية شارع سان ميشيل حتى محطة المترو .

– (طيب ، إلى اللقاء حتى الغد ياسيد آريان) .

– (أجل ، مع السلامة) .

– (آتى إلى فندقك الساعة الثانية ، تناسبك ؟) .

– (ماشى) .

– (أتمنى أن تكون بنت أختك تحسنت) .

- (أتمنى) .

- (هل نذرت لها شيئا) .

- (نذرنا) .

(الأمل في الله . هل تعلم ياسيد آريان أن كل شيء يتم بإرادة الله . إنني أعتقد في هذا اعتقادا راسخا) وفي النهاية يجر الفلوس بطريقة ما إلى الكلام فيها (مثلا أوائل ٥٧ عام الثورة كان لنا شقة كاملة في شارع ميرداماد في طهران . وفي أحد الأيام كأن وحيا من الله شع في رأسي وقال (بع ياصفوى هذه الشقة) . وفي نفس اليوم بعت كل شيء بثمانية مليون مع أنها كانت تساوى أكثر من ذلك . وحولت فلوسها إلى مليون دولار هنا .. وإلا كان كل شيء راح . وعلى هذا كل شيء يمشي على حسب إرادة الله) .

- (ليلتك سعيدة ياسيد صفوى) .

- (في أمان الله ياسيد آريان) .

ويدخل محطة المترو وأرجع وحيدا إلى شاطئ النهر وأمشي مدة طويلة ، وأعبر شارع بونابرت حتى سان سولبيس وأطوف حول مستشفى دوجلاس كالمرضى المصابين بجنون البارانويا . وأرجع إلى سان ميشيل من ناحية شارع سان جاك، وأعود إلى الفندق حوالى التاسعة والنصف وموعد الأخبار .

وحين أخلع ملابسي لآخذ دشا أرى ثقبين جديدين ظهرا في جوربي وكأن أحدا يضرب قفاى (إريان أقذف بعيدا هذين الجوربين) لكنني أقذف بهما داخل كيس النايلون الذى أعطاه سومونجو للغسيل . أنا اعتقد في سومونجو لأنه في هذا الشتاء العجيب أظهر كثيرا من الكرامات .

- ١٧ -

أطراف منطقة النخيل فى « بريم » ، داخل طريق خرم شهر أمر من أمام قسم الشرطة (٣) صوب (ميدان ألفى) لكى أشترى كتابا من (المطبوعات العالمية) لصاحبها حسن العربى . لكن الجنود أقفلوا الطريق وقالوا لى (ارجع ياأخى هنا منطقة حربية) فأعود وأعبر طريق البتروكيميا وألف حول مصفاة البترول فى أحمد آباد وأصل المدينة . وبغتة يرتفع من خلف دار حضانة بروانة صوت نحو السماء صوت كانتزاع شريط ملصق ضخم وتمزيقه . ثم يزلزل الأرض صوت قصف انفجار . وترتفع أصوات قذائف مدافع الهاون التى ترتطم بكل ناحية . ثم يتلوها انفجار آخر ويشع نور أبيض ثم ينقلب إلى الحمرة والسواد . وألقى بنفسى داخل جدول وأكتم أنفاسى . وارفع رأسى وأجدنى فيما يبدو بقيت سليما لكنى أرى

إدريس ولد مطرود قادما يغنى ويبيع سجائر الونستون . وينقلب لون السماء بسبب الدخان الأسود المتكاثف المرتفع من ناحية المصفاة إلى لون القهوة والزرقة وأشم رائحة يمتزج فيها كبريتور الكربون بالبارود . ثم أصرخ لابن مطرود لكى يرجع إلى مكان مرتفع يختبئ فيه لأنهم يقصفون المنطقة . ثم يهبط صوت الطائرة العمودية القاذفة بالصواريخ ثم ترتد سريعا وتزلزل أمعاء الشارع وأحشاءه وتتعاقب أصوات قصف انفجارات متوالية . وتتعاقب طلقات الرشاشات من الطائرة العمودية وأرى ابن مطرود ساقطا تحت أشجار البقس على جانب الشارع . وتشب النيران فى البقس وابن مطرود على السواء وحين أصل الشارع لا أستطيع تمييز جسده فقد صار فحما .. وتعود الطائرة العمودية القاذفة الصواريخ ثانية وهى تزأر وأقذف بنفسى ثانية بداخل جدول الماء ويقصفون هذه المرة منبع النهر فوق دار الحضانة بقليل وأرى المبنى العظيم المعدنى الذى انفصل عن قاعدته الضخمة ويسقط فوق رأسى ..

حين أصحو أجد فمى ساخنا ومرا . غرفتى هذه بأسفل سقف الفندق الهرمى باردة . ظل المذياع والمصباح كلاهما مفتوحين . وإحدى الفراشات التى دخلت الغرفة تدور حول مصباح الأباجورة الخمرية الملونة التى تضئ أثناء النوم وتدفئ نفسها بنورها . وأتركها تطير بإرادتها . وأخطو لأفتح صنبور الماء البارد وبعد أن يتدفق الماء فترة أملأ كأسا وأشرب مابه . وتؤلم برودة الماء فكى وتذكرنى بحلمى المفزع . ويذيع الراديو الموسيقى الرقيقة المنعشة لأناشيد عيد الميلاد . وخارج النافذة ، فى جو السحر البارد ، شارع مسيو لوبرنس ساكن هادئ بأنوار أعياد الميلاد . ولايسمع إلا صوت خفيض لموتور عربة النقل البيضاء والفخمة التى تحمل القمامة وهى واقفة أمام

الفندق وعلى مرمى البصر عم مدينة النور حالة من السعادة والملكوتية فى رحاب الأناشيد الدينية فى سلام ليلة عيد الميلاد وصفائه .

ولا أستطيع النوم ثانية أو حتى استلقى أو أطالع الكتاب . داخلى فارغ ومرتعش وبجوفى اضطراب ممض على ثريا . وأعود وأغسل رأسى ووجهى بالماء الساخن والصابون وأحلق ذقنى ثم أرتدى ملابسى وأخرج . لايزال الوقت مبكرا على إفطار الفندق ، وعلى كل حال فليس عندى مقدرة على جدال العجوز البواب ولا حتى سوموبجو .

ولا يزال الجو بين النور والظلمة حين أتجاوز شارع مسيو لوبرنس ثم أدخل من سان جرمان شارع سان ميشيل . وتبرق صفوف العمارات الفخمة للبنوك والمكتبات والحانات ومحلات الملابس والألعاب فى أنوار المصابيح الكهربية وقد أبيض وصفا ظاهرها . بعض المقاهى والمطاعم والبارات مفتوحة . الناس يأكلون ويشربون فيها ومقهى دومينكو أكثرها ازدحاما وعجيجا وضجيجا . رجل رمادى الشعر يلعب مع إمرأة كثيرة النحول لها شعر ذهبى (البنج بول) يبدوان فى غاية السعادة والبشاشة والمرأة تميل بجسدها عليه وهى ميتة من الضحك أفكر فيم فعلاه طوال هذه الليلة .

بنهاية الشارع أرى الكنيسة الضخمة على الشاطئ الآخر للنهر فأتجه إليها . وأعبر الجسر وأمر من الميدان الخالى وبجانب تمثال الفارس الراكب حصانه للسيد شارلمان فى أحد جوانب الميدان أيضا وأصل إلى الكاتدرائية . تذكرت حين رأيت هذا المبنى لأول مرة فيكتور هوجو وأحدب كازيمودو وليس غيرهما . والليلة أو فى وقت السحر المجنون هذا أشعر بالسعادة لرؤيته .

وأدخل من الباب الصغير المفتوح . داخل المعبد العظيم مضئ . فرقة من القسس ينشدون فى نهاية المحراب الأصلى وهم يرتدون مسوحهم التى تفيض لمعانا وبريقا . وقسيس يعزف على الأورج . وفى الممرات الجانبية يخفت النور ويسكن الصوت قليلا . وأمضى للأمام بطول أحد الممرات وأجلس فى ناحية أبعد من مكان لإشعال الشموع وأستند على أحد عواميد أحد الأروقة ويتوقف إذ ذاك صوت الأورج والإنشاد . ويبدأ قسيس فى الموعظة صوته صاف وقوى يعلو أكثر عن طريق عدد من مكبرات الصوت . لا أفهم كل كلامه ، يبدو أنه يتحدث عن العلاقة المباشرة مع الله لله . حول الوصول إلي السلام الفكرى والراحة الفكريةوالسعادة الفكرية وهذا ما يخرج عن دائرة شعورى . يتحدث عن نوع من الصلة والاتحاد : بين مخ الإنسان وجميع الكائنات ، مع إله العالم . حول شيئين اسمهما الميكروبونيفرس والماكروبونيفرس اللذين يتكرران معا دائما .. الميكروبونيفرس . وأغمض عينى وأحاول أن أفكر فى الماكروبونيفرس على ترانزيستور صوت قسيس نوتردام . لم أر خيرا قبل من الميكروبونيفرس .

حين كان (جدى) يقيم الروضة أول كل شهر ، كان لدينا قارئ روضة عظيم كان اسمه (أغا غليونى) أو السيد ذو النارجيلة . لم يكن اسمه مهما ، لكن بما أنه السيد الوحيد الذى كان يجلس قبل الروضة على كرسى ثم يبدأ بشرب النارجيلة كنا نحن الأطفال نسميه (أغا غليونى) وكنا نحبه كثيرا . وكان أغا غليونى يعرفنا واحدا واحدا ويعرف كافة أهالينا وأصولنا ويستفسر عن أحوال كل منا . وكان أغا غليونى يلقى بموعظته قبل الدخول فى ذكر مصيبة كربلاء . وسائر معلوماتنا نحن الأطفال حول الله والبشر والأرض والعالم والموت وانتهاء أمر البشر كان

محدودا بما كان يقوله لنا أغا غليونى . كان يقول عن الأرض أن الأرض لو كانت طاهرة وجافة وليس فيها آثار النجاسة أى الدم والبول والبراز فهى طاهرة ويصح الصلاة عليها . وحول العالم كان أغا غليونى يقول أيضا إن الله تبارك وتعالى خلق السموات والقمر والشمس والنجوم من أجل خمسة أشخاص لذلك يجب محبتهم ، وكان أغا غليونى يقول عن الموت ..

ويعيدنى صوت موسيقى الأورج الالكترونى وصوت القسيس الفرنسى فى المكبر إلى نوتردام دو بارى والماكروبونيفرس . فضلا عن الخيرات والمبرات والنذور التى قدمتها فرنجيس فى طهران لأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء أحاول أنا أيضا أن أفكر فى المكان الذى يقول السيد القسيس الفرنسى أنه فى مركز العالم كله فى المجرات والسموات والكائنات فى النقطة التى يجب التفكر فيها والتى يجب أن أمد يدى إليها . أحاول مغمض العينين أن أنسق مخى ، الذى يزن كيلو جراما ونصف من المادة الرقيقة المتداخلة ، بكل راداراته على طول أمواج الماكروبونيفرس .

أدعو . لم أدع كل عمرى الله شيئا إلا ربما مرة واحدة . حين كانت زوجتى فى فراش الموت . الليلة أيضا لم أطلب من الله شيئا لنفسى . يارب دع هذه الطفلة تبقى حية . دعها تصحو من هذا النوم الطويل .

تشير إلىّ راهبة مشغولة بإضاءة الشموع بأن أتقدم . تريد أن أشعل شمعة . وجهها ممتلئ ومنير كالقمر وتشبه الأمهات اللاتى يردن أن يرضعن أولادهن . لكن رداءها الطويل والأسود البراق وغطاء رأسها الأبيض المنشى يضفى عليها الوجود المعدنى . وأتقدم وأتناول الشمعتين اللتين مدتهما إلى وأشعلهما . وتقول لى أننى لست مضطرا لأن أضع ثمن الشمعتين فى الصندوق لأن هذه الشموع عطية الكنيسة . وأشكرها ثم أخرج من

الكاتدرائية . كان الجو حين عدت إلى الفندق أنار لتوه . أشعر بشعور أفضل وقبل الذهاب إلى المستشفى أتناول إفطارا دسما وحين أصل إليه كان النهار قد أشرق تماما . الصباح مشرق كثيرا والهواء بعد الأمطار الكثيرة بأول ليلة الأمس صاف ومتجدد بل حاد مع الإحساس الطيب الذى أشعر به بسبب الخبز والجبن الفرنسى واللبن والقهوة ، كذلك ارتفعت روحى المعنوية قليلا كأن ذلك نتج عن اتصالى بالماكروبونيفرس والفيض الخاص لكنيسة نوتردام باريس . لكن فى الساحة الخارجية بواجهة القسم الداخلى وقفت مجموعة صغيرة من الرجال والنساء السود بجوار سيارتين ، وانتظرت سيارة إسعاف لنقل الموتى وقد انفتح بابها الخلفى . وأقول لنفسى من يمكنه الموت فى صباح وجو كهذين ؟

وأرى جورجيت لوبلان تخرج من المبنى بمعطفها الأرجوانى فوق زيها الأبيض متجهة نحو باب الخروج . حتى هى تبدو لى فى الجو المنير لهذا المصباح أكثر شبابا وحيوية وترانى وتتجه نوحى .

– « صباح الخير مسيو آريان . عيد ميلاد مبارك » .

– « صباح الخير مداموازيل لابلان ، شكرا . عيد ميلاد سعيد » .

– « الجو بديع ، أليس كذلك ؟ » .

– (بلى – جميل ، كيف حال بنت أختى ؟ أتمنى أن تكون أفضل) .

– (ليتنى أستطيع أن أزف إليك خبرا طيبا.. لكنها على نفس الحال) .

– « لم يحدث لها أى جديد ؟ » .

– « اليوم انخفضت درجة حرارتها قليلا » .

- (هل هذه علامة طيبة ؟) .

- (نعم ، علامة طيبة . إنها ارتاحت أكثر بعد إجراء الدياليز عليها) .

أشعر رغم وجهها الشاب النضر الضاحك وكلامها السعيد أنها تكذب. وبدون استئذان منى تتوجه ناحية الأشخاص الواقفين بجوار عربة الإسعاف وتتحدث إليهم ولا يزال الوقت مبكرا عن صعودى المستشفى ، ربما لا يزالون يقومون بأعمال النظافة فيه أو يفتشون على المرضى . وأتقدم إلى الناحية الأخرى بنهاية الفناء وأجلس على أريكة تحت أشعة الشمس وأفتح الجريدة . وفى التاسعة والنصف يحملون أحد الموتى الذى تنتظره عربة الإسعاف الناقلة للموتى ويضعون فيها تابوتا فخما ويركب لابسو السواد أيضا ويخرجون فى عقبها .

ذهبت إلى الليلة السنوية للمهندس كامران نقى بور فى طهران .

ففى صباح أحد أيام الخميس فى أواسط شهر مرداد ذهبت أنا وفرنجيس إلى مقبرة (بهشت زهرا) كانت الشمس تصب أشعتها من فوق أشجار الرمان والسرو المتبعجة التى علتها القذارة والأتربة على مقبرتنا ومن خلف منارتين عاليتين . وبعد نهاية المقبرة بقليل بدت للأنظار أراض بائرة بترابها الجاف الأبيض ساخنة حتى فى اعتدال جو الصباح . ووقفت بضع أشجار من الصنوبر المعوج القصير والصنار المهترئ اليابس فى نهاية الأرض البوار تداخل بعضها فى بعض فى ذبول وانكسار . وأخذت العصافير تطير فى الهواء بين الأشجار وهى تشقشق مذعورة مفزوعة . وكانت نصال أشعة الشمس تهز خيوط العنكبوت بين الأشجار المغمى عليها . وكان وجه الأرض وماحول جدول الماء الجاف وفوقه تغطيه القمامة والفاكهة المتعفنة والمناديل الورقية الموطوءة بالأقدام وأكياس النايلون الممزقة وإعلانات مجالس

« الترحيم » التى أطارتها الرياح فتعلقت بداخل الأشجار الصغيرة وأشجار الشوك والحسك . اختلط صمت المقابر الرهيب بالصرخات فوق القبور . كانت مجموعتنا أكثر هدوءا من غيرها . النساء تضج بالبكاء ، والرجال يضربون جباههم بأيديهم والقارئ يتلو القرآن . وعلى الطرف الأبعد تجمعت أسرة مكونة من سبعة أفراد حول قبر . اتشح الجميع بالسواد حتى الأطفال . الليلة كانت ليلة الجمعة . أتوا ليقرأوا الفاتحة . وظل الرجل الذى كان يظهر عليه أنه كبير الأسرة يقول بلا انقطاع (الحمد لله ، الحمد لله) ويهز رأسه . ولفت الأم بعباءتها السوداء كل جسمها ولاتئن بغير (يارب ، يارب) . نصبت صورة ابنهم الشاب المغلفة ببرواز كبير بأعلى شاهد القبر . شعره مجعد وشاربه كث أسود ، وجهه شاب غض ويلبس معطفا رياضيا .

وأبعد منهم ، انبعثت ضجة عظيمة وحزينة فى الليلة السابعة لزوجين شابين قتلا فى شهر العسل فى حادث سيارة حتى أنها غطت على أصوات الضرب على الصدور أمام قبر بضعة شهداء كانوا أبعد قليلا عنا .

امتلأت الدنيا بالضجة وأصوات الألم والعويل والولولة والصراخ والبكاء والصياح والنواح والأنين والتضرع والنحيب .

وأمسكت بيدى فرنجيس وحاولت أن أوقف ارتعاشها .

حوالى العاشرة أرى الدكتور مارتن خارجا من المبنى ويريد التوجه إلى سيارته فأنهض وأتقدم وألقى عليه التحية .

(Ah, bien ! مســـيو آريان — هل تمتعت بعيد الميـــلاد فى باريس أم غير ذلك ؟) .

ولا أدرى ماذا أجيبه . ويسرنى أنهم مجبولون على التلذذ والمتعة .

فأقول (مرسى يادكتر أنت فى غاية اللطف) .

فيقول (هذا يعنى غير ذلك !) .

وأسأله (كيف حال ابنتنا ثريا المغمى عليها اليوم يادكتر ؟) .

ويبتسم الدكتور مقفلا فمه ابتسامة فرح وفرج . ويرفع رأسه وينظر إلى نظرة عميقة متفلسفة يقول (آه Sorraya comatose ثريا فى الغيبوبة كنت تعلم أن لهذه العبارة نغمة تثير الخيال) .

وأنظر إليه .

ويسألنى (ما معنى كلمة ثريا فى الفارسية مسيو آريان ؟) .

– (لا أعلم يا دكتور ، لست واثقا) .

– (ألا تشير إلى وضع إيران القائم أو إلى الدنيا ؟) .

– (لا أدرى ، لا تشير إلى إيران إشارة مخصوصة) .

– (كيف تشير إلى العالم ؟) .

كنت سمعت أن الأطباء إذا لم يكن لديهم كلمة يقولونها عن مرضاهم يتحدثون عن السماء والخلاء .

فأقول (نعم تشير إلى العالم والسموات) .

(إلى أى شئ تشير فى العالم والسموات ؟) .

(أعتقد إلى جزء من القمر ونجم الثريا) .

(ها .. إن هذا يزيد الخيال إثارة ، تقريبا يصير رمزيا) .

– (أنا لا أفهم) .

"Sorraya comatose"

فأسأله (كيف حالها يادكتور ؟) أحاول أن أبطحه على الأرض على أسفلت مكان انتظار السيارات أمام المستشفى .

(حسنا ، ليست سيئة) ثم يقول (ها ، كنت ذاهبا لأتناول فنجان قهوة . هل تحب أن تصحبنى ؟) .

- (بكل سرور) .

- (نخرج ، قريبا جدا ، أنا عارف المكان) .

ويحمل شيئا من داخل سيارته كان يريده ثم يقفل بابها مرتين ونخرج سويا من باب المستشفى .

(هل أنت متزوج يامسيو آريان - أم أعزب ؟) .

- (كنت متزوجا ، أما الآن فلا) .

- (ها .. إذن يجب أن تستفيد أقصى استفادة بحريتك . أقصى استفادة ، هل تفهمنى ؟) .

فأقول خبط عشواء (طبعا) .

وندخل واحدة من مئات المقاهي على ناصية شارع ترتفع عن مستوى مبانى باريس . ونجلس على المقاعد أمام البار . الوقت وسط الصباح لكن البار صاخب . يقول الدكتور مارتن (Chercher la femme فتش عن المرأة .. هذا هو شعارنا) فابتسم أيضا وأقول : (Chercher la femme)

ويسألنى (هل أنت ؟ فى الوقت الحاضر ..) .

- (نعم ولا) .

- (هل هى حلوة معك ؟) .

– (إنها مريضة عملت عملية جراحية) .

– (ياللسوء .. سوف تتحسن بلا شك ، أليس كذلك ؟) .

– (بلى ، بلا شكَ) .

ويأتى عامل البار ويلقى على الدكتور التحية والسؤال عن الصحة ويصافحه . ولابد أن يحيينى أنا الآخر ويصافحنى لأننى مع الدكتور وجسمى أضخم منه . ويوصى الدكتور مارتن على قهوة اسبرسو ومشروب لا أفهم ماهو . ويأتى عامل البار بسرعة بكأس له بعد خلط مابه من زجاجات عدة . وأنا لى القهوة وحسب . ويسألنى الدكتور (وأين هى الآن؟) .

– (من ؟) .

وأعتقد أنه قال (الكنارى الجريحة صاحبتك) .

فأقول (أوه ، إنها ذهبت مع أبيها وأمها إلى مرسيليا) .

– (وحين تعود .. سوف تطير إلى أحضانك .. أليس كذلك ؟) .

فأقول (يحتمل أن تطير إلى أحضان أحد الكتاب ذى شارب كث يعيش فى لندن) .

– (أوه! C'est beau l'amour هذا حب جميل تشجع ياصديقى) .

ويرفع كأسه (يمكن أن يكون هذا مسرحية .. تقول حارب من أجلى ، أنت تعلم مثلث الحب الأبدى .. فى صحتك) ويشرب خمره حتى النهاية .

فأقول (دكتور .. بنت أختى .. كيف حالها ؟) .

ويترك الدكتور بل فرانسوا مارتن كأسه جانبا ، ويسحب أمامه فنجان القهوة.

- (بخير .. لايجب أن تقلق .. بخير مائة في المائة) .

- (أليس من تغيير محسوس ، أريد أن أقول كلمة قاطعة لأمها. الأم المسكينة تنتظر بفارغ الصبر) .

ويتأوه الدكتور آهة طويلة وهي عند الفرنسيين من الرجال مد الصدر للأمام والميل بالخيشوم والفم إلى ناحية . يقول (الغيبوبة في هذه المرحلة ، يعني بعد خمسة أسابيع ، تدخل مرحلة حساسة) .

وأرجوه أن يشرح لي بالانجليزية إذا لم يكن ثمة مشكلة لأني أفهم أكثر بهذه اللغة فيوافق هو بسرور ، لكنه يخفض صوته . ولغته الانجليزية قوية إلا أنها باللهجة الفرنسية . أمضى ستة أشهر في بوستون في دورة تخصصية . (في هذه المرحلة من الغيبوبة وظيفتنا هي أن نبقي على حالة مريض الغيبوبة ثابتة ونمنع اصطلاحا تدهوره) .

- (وهل تتدهور حالة ثريا ؟) .

ولا يرد على مباشرة (في المراحل الأولى ، الأمر الهام والحيوى - لمنع حدوث ضرر في المخ لايمكن علاجه - الحاجة الفورية للمريض هي أن نمنع حين تجرى الفحوص المعملية أي نوع من الاختلال في وظائف الجهاز التنفسي والدورة الدموية ولحسن الحظ تمت هذه المهمة بنجاح . والمريض وهو في حالة الإغماء الثابت لا يحس من ناحية القاعدة بالمثيرات ، أي المثيرات التي تنفض النوم العميق مثلا كالصياح الشديد أو يشعر بشك إبرة الحقنة ، مع أنه يمكن أن يصدر في الرد على المثيرات الشديدة رد فعل

عضلى وغير إرادى . فمثلا يمكنه أن يحرك يده قليلا مقابل ألم إبرة الحقنة) .

وأسأله (ألا تبدى ثريا رد فعل على المثيرات المؤلمة ؟) .

ورفع الدكتور مارتن فنجان قهوته ويشربه حتى منتصفه . ويقول (كانت تبدى رد فعل فى الأسبوع الأول ، وكان هذا الأمر الوحيد الذى يجعلنى أشعر بالراحة لكن الـ EEG الأخيرة لثريا ليست مرضية . فهى فى إغماء عميق من نوع الـ Hypoxia التى نواجهها ، حالة من الـ (ايزوالكتريك) أو بتعبير بسيط عدم رد فعل على فولت ٢ إلى ٣ موجة فى الثانية ، وهذا دليل زيادة عمق الإغماء . لكن حدث أن خف إغماء الهيبوكسيا من نفسه) .

– (ألم تختلف حالة ثريا مع فولتات أكثر ؟) .

– (لا .. لا ، قلت أشعتها غير مرضية) ويتأوه طويلا (للأسف إن نفس حالة الإغماء لاتعطينا أدنى إشارة إلى درجة سوئها ، وتشبه النوم العميق .

ولا نستطيع أن نقف على مبلغ سوء هذا (النوم العميق) إلا عن طريق دراسة الفحوص وحسب . أليست هذه الحالة فلسفية ؟) .

وأفهم أنه يواسينى بهذا السؤال .

– (ألا تبدى رد فعل على المثيرات العلاجية والنفسية أيضا ؟) .

– (أوه ، لا .. لا تبدى رد فعل على المثيرات النفسية . يوم أن أتيت وأمسكت يدها وتحدثت معها وتحدثت عن أمها – ونحن نعلم أنها تحبك وتحب أمها كثيرا – كان يمكننا أن نجد مثيرا نفسيا شديدا ، لكن رد فعل ثريا كان صفرا) .

– (هل يثبت هذا شيئا واحدا يادكتور وهو أنه ليس ثمة أمل أخير؟).

– (لا .. ليس الأمر كما ذكرت ، إطلاقا ، نحن نعتقد أن هذا يثبت فقط أن الصدمة التى أصابت قشرة المخ السربرال – كورتكس سرت أيضا إلى القشرة الوسطى للمخ . كانت مراحل إصابتها بالصدمة أنها سقطت على الأسفلت على صدغها الأيمن ثم اندفعت إلى الأمام بكل ثقلها فاصطدم الجزء الأعلى بجمجمتها بالرصيف . حددنا آثار هذه الحوادث بكثير من الفحوص والأشعة والرسوم . لكنه لا يزال من المبكر أن نحدد بحسم أن هذه الصدمات لايمكن علاجها . من ناحية بناء المخ ووظيفته وبيوكيمائيته عرفنا أشياء كثيرة . ونحن واثقون من أننا نعرف كثيرا من المعلومات الأصلية من ناحية عمل موتور مثل المخ . لكن طبيعة (الوعى) لاتزال إحدى أكثر جوانب نظام وظائف المـــخ تعقيدا . عجز حتى الآن أطباء الأعصاب وأخصائيو كيمياء أعصاب المخ عن أن يوضحوا هذه المشكلة . وتشير كل الشواهد إلى أن مركز الوعى أو الإفاقة فى المـــخ الأوسط ، ولازلنا نجهل علاقته بوظائف حركة السربرال كورتكس التى تتحكم أتوماتيكيا فى سائر الحواس . وبناء على هذا .. يجب أن أقول فى هذه الحالة مثل أجدادى فى المهنة (كله على الله ..) فنحن لانتحكم فى كل شئ فى هذا العالم . تحدث أشياء وكانت تحدث باستمرار وسوف تحدث فى المستقبل ، هذه هى الحياة . لكن حدث فى حالات كان فيها مريض الإغماء أكثر تدهـــورا مـن حالة ثريا ثم تحسن) .

– (المريض الذى كان إغماؤه نتيجة مرض بالمخ ؟) .

– (آه .. نعم – بلا شك . أفهم ماذا تعنى بهذا السؤال . يفترق قليلا المريض الذى أغمى عليه بسبب صدمة فيزيقية بالمخ عن المغمى عليه

بسبب أمراض داخلية أدت به إلي الإغماء . تعرف أنه توجد علل أخرى بالإضافة إلي أسباب مثل جرح أو تهتك أو نزيف بالمخ تؤدى إلى الإغماء فمثلا ينشأ الإغماء بسبب أى نوع يحدث الجلطة فى الدم داخل عروق الوريد أو الشريان أو تمزق العروق أو الهبوط الحاد والفجائى لضغط الدم . وأسباب أخرى أيضا تؤدى إلى الاختلال الشديد فى التحول الغذائى فى الجسم مثل الهبوط الحاد لنسبة السكر فى الجسم ، أو فشل الكبد والكلوتين أو التسمم ، أو شرب المخدرات القوية مثل الكحول الكثير ، كل هذا يسبب الإغماء . لكن فى أبعاد حالة مريض الإغماء الذى أصيب بالإغماء نتيجة صدمة مخية أى تمزق ونزيف بالمخ يمكن أن يستغرق شفاؤه فترة أطول حتى تشفى خلايا الأنسجة المصابة . ومازال لدينا الأمل وينظر فى ساعته : (يا إلهى ، يجب أن أعود ، هل تسمح لى ؟) . وأتناول كشف حساب المشروبات لأدفعها ، لكن عامل البار لا يأخذ منى الفلوس بسبب أن الدكتور مارتن أشار إليه . ويدفع الدكتور ثمن كافة المشاريب وأشكره . ونخرج وأعود معه إلى المستشفى وأرى ثريا فى غرفتها ساكنة بنفس حالتها صامتة ممددة فوق السرير . هذه هى الحياة .

وأعود إلى الفندق على قدمى . فارقنى شعورى بحالة إشراق النهار ونضارة الصباح لا أشعر بشهية لتناول الغذاء ، ولا رغبة الذهاب إلى المكتبة ، ولا حتى الذهاب إلى السينما ولا قدرة على الذهاب إلى كنيسة نوتردام دى باريس والاتصال مجددا بالماكروبونيفرس . وبناء على هذا أتوجه على أية حال إلى الأريكة القريبة إلى الفندق ، وبعد ابتلاع الكبسولات أملأ بطنى بطبق كبير من الأرز الصينى ، ثم أدخل غرفتى بالفندق وأستلقى على السرير . وأشرب سيجارتين من سجائر نادر بارسى تلك ، وأجر ما بقى من

مخى إلى وسط الفصلين الثامن والتاسع من كتاب (كلاب الحرب) وأنتظر أحمد صفوى .

لكن أحمد صفوى يختفى ذلك اليوم ، فأقول لابد أنه قطع أمله فى وفى بيع العملة لى ، لكن صفوى يتصل بى فى الثالثة بالتليفون ويعتذر عن عدم قدرته على المجئ إلى لاتفاقه على موعد للقاء المؤرخ المعاصر جان فورجيه ونيته أن يقدم إليه نسخة من كتابه الذى ترجمه إلى الفارسية . ثم يقول (سأتصل بك غدا) .

– (شكرا) .

– (لابد أن تعذرنى جدا ياسيد آريان . اعتذر لك من صميم قلبى عن برنامجى اليوم بعد الظهر) .

– (لا تنزعج ياعزيزى ، فأنا لدى مواعيد أيضا !) .

– (إذن أستودعك الله) .

– (مع السلامة ياسيد صفوى) .

لكن فى نفس ذلك اليوم فى النهاية يظهر أمر غير متوقع وكان قد ضاع تماما . فقبيل الغروب وصلتنى رسالة طويلة موصى عليها من جنوب فرنسا من ليلى آزاده ، أسعدتنى حتى جزء من الليل :–

« جلال »

صورتك الآن أمام عينى ، جالسا هناك بقدك الفارع النحيف مرتديا البلوفر الأسود الذى شغلته أختك ، فوق قميصك الأبيض ، المفتوح الياقة . أعرف أنك قلق ، لكن لست حزينا . لم تكن حزينا فى أى وقت ، بل قلق. وحين ينتابك القلق تفيض عيناك وإذ ذاك أفهم أنك أكثر إحساسا

وإخلاصا مما سبق . حسن جدا لا تغضب . أنا سأتحدث عن نفسي . أشعر بالحاجة إليك ولهذا أخط إليك هذه الرسالة أعرف أنك لابد بحاجة إلى أحد .

نفس هذه الليلة ، آخر ليلة ، لو بقيت واعية ، سوف أسلم الرسالة لترسل إليك موصى عليها . والمفروض أن تصلك غروب الغد . أراك عدت من المستشفى ، واستلقيت على سريرك ، والسيجارة بين أصابعك ، وتقرأ ذلك العبث . ما أسعد هذه الرسالة الملعونة . كنت أتمنى أن تقرأني مرتين أو ثلاثا في غرفتك . لكن كيف يمكن قراءة قطعة من الورق ؟ وأنا أموت بسبب جروح أخرى . الجرح الذى ينزف لا يقتل .

الليلة عيد نويل . الجميع سكران . كل أفراد عائلتى الأشقياء تحت سكارى Joyeux Nöel وأنا جالسة فوق فى حجرة البودوار بجانب النافذة لا يفصلنى عن البحر غير بضعة أقدام . وضعت شريطا بطيئا لـ (جوجوش) يغنى (قلبى حزين) قلبى حزين من أجل البكاء . أين أمى ؟ أين مهدى ؟ أعرف أين مهدى . لايزال مهدى هو شيراز . ممزق يسف التراب بداخل دولاب خالتى . فقط أين قبرى ، لا أعرف . أو أين شخصيتى ، لا أدرى .

الليلة البحر مائج . لكنا أكثر سكرا من البحر . سكارى طول الحياة . أخى فرى شرب من الشمبانيا حتى الفواق . خطيبته جيلا تتفوق أيضا . أمى لاتخرج فواقا . أبى يتجشأ .أريد أن أصرخ مستغيثة . حياة فرنسا البسيطة الهنية . مهد العلم والأدب وقبرهما . منحت أبى الشمبانيا . وأعطت أمى الكافيار . سنذهب غدا الجمعة إلى بوردو . نعيش على هذه الحالة حتى أموت . فى مدينتكم عبدان الأطفال يموتون حتى يعيشوا . أواه، طيب جدا ، ليس لى الحق لأن أتحدث عن هذا . هذا الحديث يحق

للمرأة المعصومة العفيفة المحجوبة . أنا من أكون ؟ أنا من السوء حتى أقول حينا أن يأخذنى واحد لأشرب ويضربنى . وهـذا الضرب هـــو ما فعله بى نصرت زمانى . كان هذا حقى .

رأيت فى منامى اليوم بعد الظهر أننا عدنا إلى شيراز وعادت أختى إلى الحياة كان العيد وقتذاك . كنت تعرف أن جدى كان واحدا من أولئك المتوكلين على الله الأنقياء الطيبين . كنت أحبه كثيرا . له لحية وشارب أبيضان ويلبس طاقية لامتصاص العرق بيضاء . وعليه عباءة جميلة من وبر الجمال . حين كنت أتدحرج إلى جواره ويقبلنى كم كانت سعادتى كأنى بلغت ســحر الجنــة وخلودها . لازلت أذكر رائحة الترياق الخفيفة والعرق اللطيف التى كانت تفوح من داخل لحيتـه وشاربه . لاتزال تلك الروائح الطفولية فى مشام روحى . لكن فى تلك السنة فى عيـــد النيروز حين كنا جـالسين على مـائدة السينات الســبع أصيبت جدتى (خـانم جـان) بالسكتة . سـكتة النهاية . بكينا جميعا أختى الصغيرة (برى) لم تكن تكف عن البكاء . وفى الصــيف التـالى أصــيب جـدى بدوره بســرطان البـروستـاتا ، ومـات . ولم يتم الخريف حتى أصيبت مربيتى أغا طاووس بسرطان الرحم وماتت . كم شربت من ثدييها لبنا عذبا ..

لو كنت أنظم الشعر لكتبت قصيدة فى سرطان البـروستـاتا وسـرطان الرحم . أترك هـؤلاء يشربون قائلين (جوييه نويـل) حتى يتمـزقوا . لا أستطيع التفكير فى سرطان البروستاتا وورم الثـــــدى والرحم الوخيم . وفى الأمعاء المتمزقة . وفى الأمخخ المغمى عليها . وكل حياتى الشقية الشريرة المريضة .

نحن فى بوردو لثلاثة أيام . سنعود إلى باريس لليلة رأس السنة . الشعار الوطنى هو : لا كنت حيا إذا لم تبق باريس . عباس حكمت فى تلك الليلة يلقى محاضرة فى المسرح المدرج لكلية الفنون الجميلة فى السوربون . أعرف أنك لا تخطو قط إلى مثل هذه المواضع لكن تعال - لمجرد الضحك . ألم يخطر ببالك قط أننا فى الواقع نحضر هذه الألعاب بسبب شدة سوء حظنا . ألا تعرف كم يؤلمنى قلبى لكى أشارك مجلس عزاء السيدات . أو مائدة أم البنين وليلة عشاء الغرباء وإضاءة الشمع وتقديم النذور للتكية . ليلة قتل الإمام الحسين وطبخ حلوى اللوز والزعفران وماء الورد . ليلة أن سمع بهمن قراكوزلو أنهم أعدموا أخاه شرب حتى أصابته نوبة قلبية ! يقال إن المرأة الإيرانية إذا عملت بالفن اليوم فهى سيئة الحظ . من هى المرأة الإيرانية البسيطة ؟ من هو الرجل الإيرانى ؟ إذا لم يحمل روحه على كفه ليضحى بها فى سبيل من يحبه ؟ إذا لم يكن الرجل الإيرانى بسيطا فماذا يفعل فى الواقع إذ ذاك ؟ لكن هؤلاء جميعا كلام فارغ . نحن دود لاتستطيع العيش إلا فى ظروف خاصة من الماء والطين . وإلا صرنا يابسين . وعلى طيف أوسع ، غزل الشقاء والمصيبة فترة فى مصائرنا لا تقدم أيضا ردا على العلة والمعلول . أى ذنب أذنبته ثريا بنت أختك حتى يحدث لها ما حدث ؟ هل أذنبت حتى تجرى حياتك لا محالة على هذا الشكل ؟

حين أراك ثانية سوف أقول لك كم أنا سعيدة لأنك هنا . كنت أشعر بالخوف فى آخر مرة كنت أنا هناك . جلال ، كنت أشعر بالخوف كإنسان وقف وسط مقابر أشباح أجداده وأرواحهم . كنت أشعر بالخوف من الصراخ المكبوت فى الصدر ومن الظلام . لكننى الآن أشعر بالخوف من أشياء أخرى هنا وبشكل مختلف ، وأعيش يائسة فى فسادى وتمزقى ..) .

- ١٨ -

رسالتها طويلة جدا وكلامها كثير جدا . أقرأها عن آخـرها تلك الليلة مرتين ، وفى أواخر المرة الثانية لا أستطيع القراءة . أترك كل شئ بجوارى . أطفئ المصباح . أحاول النوم . بعد قراءة رسالتها أشعر بالحرارة والأمان . فى هـــذا العالم ، فى لحظة ما أشعر أنه ربما ، ربما يحدث أن كل شئ يستقيم . تشفى ثريا .. وربما يستقر أيضـــا الشـــعور وجـــذور الإخلاص بين كناريىّ الجريح وبينى حتى يبقى .

أحس أنى أترقب ليلة رأس الســنــة كـالأطفـال ينتظرون بتـعلق ليلة العيد ... من الجنوب من مركز المناطق المنتجة للنفط أتيت إلى طهران وفى يوم الخميس بعد الظهر سنة ألف وثلاثمائة وبضع وأربعين هجرية شمسية .. لكن يوم الخميس هذا بعد الظهر يختلف عن كل أيام الخميس بعد الظهر،

يوم حافل وإن لم يكن بجلال الخريف منذ خمس سنوات سبقته .. وفى يوم الخميس هذا بعد الظهر أصل بالسيارة من مقر سمينار تعليم الإدارة فى المبنى المركزى لشركة النفط القومية الإيرانية فى شارع تخت جمشيد إلى شارع قـــوام السلطنة بجوار (مكان انتظار السيارات العام بشارع قوام السلطنة) حيث مطعم الريفييرا . وفى مطعم الريفييرا اتفقت مع ليلى آزاده على أن نتناول الغذاء معا .. وأدخل فى الواحدة والربع ، وترانى ، وتنهض واقفة من بين جمع أصحابها ورفاقها وكلهم جميعا من أهل الأدب وأهل النظر ، وتتقدم نحوى آتية ، وحين كانت تسير بمعطفها الجرسيه المشكل الألوان وشعرها الأسود الطويل والمصفف يتماوج على كتفيها وتحيينى وتطلب أن نذهب الى الموضع الذى أنا به ... ولا أذكر الآن هل كانت فى الفترة الفاصلة بين زوجها الأول وزوجها الثانى أم زوجها الثانى وزوجها الثالث .

وأصرف سيارة الشركة وسائقها ونتقدم بسيارة ليلى آزاده الفورد تانوس الكريزية اللون نحو حديقة (ساعى) ، بين تساقط أوراق شجر الصنار الجميلة المنظر على جانبى الطريق ، وخلال الهواء والشمس الزاهية ، وفى مرمى البصر من الجبال التى غطتها الثلوج سطوع النور ، وهبوب الهواء ، وسير المتنزهين بأطراف الحديقة ، صوت (حميرا) العذب الدافئ من المذياع بمقدمة السيارة ، الحديث عن الرحلات الجديدة ، والأفلام الجديدة لـــون السماء الفيروزى الذى لا نهاية له ، الشارع الخالى الذى يتلفف بأشجاره الخريفية ويتلوى أمامنا ، وتنوع الحياة المنطلقة ، وتحت سيطرة الحب وانفعالاته . كل هذه المشاهد جزء من تاريخ عصرية ذاك اليوم البديعة.

تسألنى (كيف حال مسجد سليمان ؟) .

– (ممتازة) .

– (ألا تزال نائمة وسط الجبال والتلال ؟) .

– (لا تزال) .

– (وكيف حالك مع إزعاجنا لك !) .

– (سـعيد) .

وتنظر إلى (كنت أظن أنك لن تأتى) .

– (لماذا .. كنت أفكر فيك كثيرا) . وهذا محض افتراء لأنى فى هذه الفترة لم أكن أفكر فى شئ غيرها . ويعلم الله كم أحببتها .

– (انتهت مشاهد فيلمك ؟) .

– (نعم) .

– (متى تخرجين ؟) .

– (يشتغلون فى دوبلاجه بسرعة أو بالقول المعروف بسرعة !)

كانت كتبت سيناريو الفيلم الذى قاموا بتصوير بعض مشاهده فى لالى قرب مسجد سليمان . وتعرف أحدنا على الآخر فى نادى النفط فى مسجد سليمان عن طريق صديق مشترك آخر لكلينا واتفقت معى على اللقاء فى طهران فى مطعم الريفييرا فى مسجد سليمان .

(لا تزال شقتك الصغيرة بداخل تلك المنطقة السـكنية المتعرجة وسط التلال ؟) .

– (نعم) .

– (١١٩ كامب كرسنت) .

– (لا تزالين فاكرة !) .

– (لم أنس .. لأن كل شئ جميل وبه
وبسيط . ربما أكتب شيئا فى أحد الأوقات
سليمان) .

– (ليس كل شئ عندك ؟) .

– (لا !) .

– (إذن موافق) .

وتضحك (ألا تشعر بالملل هناك ؟) .

– (أنا سعيد هناك رغم ضيق الوقت) .

– (لكنك لم تبد سعيدا كثيرا) .

– (أنا الآن سعيد) .

– (وأنا سعيدة بمجيئك) .

– (اشتريت كتابك الجديد . « القفص »

– (أعتقد أنه أفضل عمل قمت بتأليفه
أفضل إنسان أحبه فى الدنيا كلها . أمى) .

– (هناك تضارب بين المرأة وزوجها فى
أحدهما مع الآخر ؟) وقصدى لم يكن أباها و

– (لماذا تتحمله أمى . لكن أبى يتمتع
والسياسة والتاريخ والأدب والفن ومعرفة أحوال الـ

– (أين هما الآن ؟) .

– (فى فرنسا . أبى يقوم بشراء قصر فى الريفييرا أو مارسيليا . لكن أمى تنهض وتأتى إيران فى السنة اثنى عشر شهرا وتعود ..) .

– (أصحابك لم يفرحوا بتركك لهم) .

– (من هم ؟) .

– (فى مقهى الريفييرا) .

– (لا أظن . هناك مكان تجمعهم الأبدى . كلامهم وأعمالهم هناك دائما . يجلسون جميعا ويأكلون الاسكالوب أو بيرة (مجيدية) . ويتحدثون فى المدارس . هل تعرف عما كنا نتحدث اليوم ؟) .

– (عن ماذا ؟) .

– (هل تعرف أول مصرع لأول غزليات ديوان حافظ وهو (ألا أيها الساقى أدر كأسا وناولها) من قائله ؟) .

– (قاله حافظ ؟) .

– (لا) وتضحك .

– (من قال إذن ؟) .

– (قاله يزيد بن معاوية ..) .

– (من قاله ؟ !) .

– (يزيد بن معاوية) .

– (لا !) .

ثم تضحك ثانية (قلت لا هكذا ! كأنى شخطت فيك وكان الشعر شعرك !) .

– (لا ياستى ، لا والله) .

ويضحك كلانا .

– (ألم تكن تعرف حقا ؟) .

– (أنا حتى لم أكن أعرف أن يزيد كان هذا الحيوان المتألق) .

– (كان حيوانا) .

وأسألها (وماذا كان يفعل معاوية ؟) .

– (لابد أنه كان يؤلف القصص القصيرة وسيناريوهات الأفلام)

وتضحك .

– (أو كان رئيس جلسة فى السمنار والإدارة الصناعية) .

ويدخل كلانا فى ضحك خفيض ، وتلف هى حول ميدان (ونك)

وتتركه قدما .

تقول (ألا يا أيها الساقى أدر كأسا وناولها) .

– (ما معناها ؟) .

– (يعنى هلم أيها الساقى وصب كأساً واشربها) .

– (يزيد ؟) .

– (نعم هو) .

– (إذن أنا يزيد ، أليس كذلك ؟) .

– (بلى ، تماما) .

– (استغفر الله) .

– (وما الحكمة والنتيجة الخلقية الطبية من هذا البيت لنا نحن الطلاب ؟) .

- (أن يصيروا هم يزيديين) .

- (لا .. إن العشق بدا سهلا أولا ثم وقعت المشاكل) .

والآن أى شئ أجمل من شمس الدين حافظ الشيرازى ومن غزليات حافظ الشيرازى ؟

معروف أن ليلى آزاده حين تقرأ بنفسها لك فى نهار الخريف مشاهد روايتها (القفص) رقم ١٠٣٣ فصوتها دافئ وإحساسها يثير الانفعالات لأنها تحب الشخصيات التى تكتب عنها بافتتان واجتذاب . وحين تقرأ هى بنفسها قصتهم تضفى القصة عليها مزيداً من الحماس والانفعال فتحيي تجاربهم مرة ثانية فى المشاهد التى صنعها الخيال ، وتصبح أصواتها وأحاسيسها ملموسة . ومن خلال حجب النافذة المذهبة ، تتضح جبال الألبرز ، وترى بينها الشمس وقد ألقت بأشعتها فوق الثلوج فى أجمل مناظرها . وعلى الجدار المجاور لسفوحها ترى تابلوها (للطبيعة الصامتة) بلون وصبغة شفافين ، واختلاط ألوان غامقة لكنها واضحة . حبات عناقيد العنب باللون الزيتونى ، طبق الجبن بلون الكرم ، الكأس البلورى البراق ، الزجاجة المغلفة بالغلاف الذهبى ، فوق صينية بجانب النافذة . ويقلب الهواء مشاهد الرواية . كما يقلب المشاهد رقم ١٠٣٣ ، وتقرأ ليلى آزاده . وتمضى بداية مشاهد الرواية حسنة . ويستمد أبطال القصة الحياة تدريجا حول الببغاء . يتضح شكل القصة ، ويتضح زمانها ومكانها ويتضح بناء القصة وتشابك أحداثها وحبكتها الفنية . قصة تدور حول ابنة بسيطة فى شيراز تذهب الى منزل عريسها . وتحمل معها أيضا ببغاءها الأليف . ويشترى فى المنزل الجديد للببغاء قفص أوسع وأفخم من صنع إيطاليا به

مرائي وحنيات وله تعليقات وأغلفة وملحقات لكن الببغاء يزداد حزنها يوما بعد يوم . لم تعد تتكلم تمرض ، تقترب إلى الموت مثل صاحبتها في منزل زوجها الجميل الفخم ..

وتكف ليلى عن القراءة .

– (تعبت شفتاى) .

– (خذى راحتك) .

غربت الشمس فوق الجبال . يقلب الهواء مشاهد الرواية الى الوراء . الجو بارد وليلى تنطوى على نفسها حيثما هى .

– (حين يأتى الخريف ، وقد غطت الجبال الثلوج الجديدة ، وأوراق الخريف ، يكون المنظر هنا جميلاً جدا) .

– (ممتاز) .

– (أجمل فصول السنة) .

– (لو كنا الآن بوسط المدينة ألم تكن جهنم ؟) .

– (مدينة جميلة . أنا أحب الناس) .

– (تمام) .

– (ألا تحب أنت الناس ؟) .

وأنظر إليها (ولم ؟ أحبهم) .

– وتقول (كنت فى هذا التفكير وهو من سيفوز بالجائزة الأولى غدا مساء) .

– (أى جائزة ؟) .

- (د .. غدا ليلة آخر المهرجان ، أفضل أفلام سينما الأطفال فى العالم الثالث أين حضرتك ؟) .

- (آه ، ذلك) .

- (فرح نفسها سوف تسلم الجوائز) .

- (فيلمك ليس داخلا فى المهرجان ؟) .

- (بلى .. لكن فيه فيلم أحد أصدقائى . عظيم) .

- (يفوز بهذه الجوائز اليوم المجر أو اليابان) .

- (إيران يمكن أن تكون الأولى هذه السنة) .

- (أنت مدعوة ؟) .

- (نعم) .

وأخاف هذا ، فعادة حين يدور الكلام حول الأفلام والأعمال وغيرها فيعنى هذا أنها لن يمكنها رؤيتى .

- (فعلا منظر الجبال وأشجار الخريف الآن جميل) .

- (أنا لا أضيق من التسكع داخل محلات بيع الكتب والمقاهى) .

- (وأنا كذلك) .

- (هل قرأت كتبا جديدة ؟) .

- (كتابك فقط ، هذا) .

- (أى قصة منه تحبها أكثر ؟) .

- (نفس القصة التى تقرأينها) .

- (أنت فى الحقيقة بسيط) .

- (نعم أنا كذلك) .

- (هذه قصة نسائية فما الذى يعجبك فيها ؟) .

- (أنت) .

وتضحك (كتبت سيمون دوبوار مرة : كل العشاق مجانين .. غيرى وغيرك) .

(لكنى أحيانا أشك فيما يخصك ..) .

- (إقرئى) .

- (ألا نستريح ؟) .

ويشعل كلانا سجائر مرة أخرى . وتواصل ليلى القراءة . أشعر الآن بإحساس ناعم وبنوم لذيذ ، وتستمر فى القراءة ، وتجرى القصة قدما ، وتنبض شخصيات القصة بحياة أكبر ، ويتضح بصورة أتم الشكل والصراع لصورة البطل الأساسى للقصة ، ويتحدد بشكل أوضح إيقاعه بالزوجة الشابة فى قفصه الجديد ، ويتبدى بنحو أظهر معالم الهدف والمعنى ، لكنى فيما بين الجمل كأنى أسمع صوت هدير بعيد لنفاثة مقاتلة ، وكأن انفجارا زلزل الأرض شيئا فشيئا فى المنطقة البعيدة ، ويظهر صوت ليلى أيضا تموجا ناعما : (الرياح تهب خارج النافذة . وتقفل الزوجة النافذة لكنها تجلس مكانها وتنظر إلى شاطئ البحر . كأن زوجها لا يزال قابعا على كرسيه الدائرى الأبيض ، ويقرأ مجلة نيوزويك كأنه ابتعد أكثر عن الوجود . وكان موج البحر يزداد هديرا وتنفست المرأة نفسا عريضا وأدارت رأسها . كان الصمت يطبق على المنزل ، وتخيلت الزوجة أن الببغاء أصدرت صوتا فنظرت إلى القفص لكن منقارها الغليظ والبرتقالى كان لا يزال مقفلا

بإحكام وكأن رقبتها غاصت أكثر داخل جسدها) . وأشعر إذ ذاك ببرودة الجو وصوت سيارة الإسعاف آتيا من بعيد وأنا فى خضم جملات الكتاب وحلقات وأمواج دخان السجائر وطياته التى تشبه السيل . ثم يهز انفجار أكثر قربا من الغرفة ثم يتضح أشد خلف النافذة صوت (ج ٣) والرد المتتابع لطلقات الرشاشات عليها وتصل أصوات الصرخات والصياح من أناس يجرون خلف النهر وأسمع أصوات طلقات مدافع الهاون وهى تضرب جذوع النخل .

- ١٩ -

استيقظ فى همهمات السحر وفمى مر وجسدى خاو . أقرأ ثانية رسالة ليلى واضبط بعد أخبار الساعة السابعة صباحاً بتوقيت إيران . ويأتى الصوت غير واضح والأخبار المذاعة عن حـرب العراق لإيران أصبحت أكثر إفزاعا (الصداميون البعثيون الكفرة) حاصروا مدن الأهواز ودزفول بالمدافع والصواريخ ، (تعبئة المستضعفين) نقلت ما يقرب من مليون مشرد حرب إلى صحراء لرستان وفارس وسكنتهم وسط الصحراء فى مخيمات . أبطال الطيران الخاطف فى القوات الجوية يدكون بهجماتهم كالبرق المؤسسات العسكرية ومحطات النفط والمصافى النفطية والبتروكيمياوية العراقية . ويبدو عدد القتلى مبالغا فيه حتى لو اعتبر مبالغا فيه أو أنه بدا لى هكذا فى هذا الوقت من السحر .

ولايزال الوقت مبكرا للنهوض والنزول . مازلت يداخلنى الشرود والنوم ، فأبقى على السرير وأقرأ بين النوم واليقظة كلاب الحرب . أقرأ نفس الصفحتين أمر لقائد عملاء عمليات الزنزبار كوت شانون فى موضع من فرنسا بمكالمة تليفونية من مكتب السير جيمس مانسون فى لندن. الأسلحة أمريكية لكنها تشترى عن طريق أحد البلاد الشيوعية ويدفع ثمنها فى هولندا بالجنيه الاسترلينى لكن بقيمة العملة الهولندية يجب أن تسلم الأسلحة فى ساعة محددة إلى بضعة عملاء على جزيرة بالقرب من الزنزبار فى أفريقيا حتى يقلبوا رئيس الجمهورية جان كيمبا بضربة انقلاب واحدة . لا أتذكر بدقة ربما هى أسلحة روسية اشتريت من بلد أوربى ودفع ثمنها بالعملة الهولندية لكن بقيمة الاسترلينى.

ولا أميل إلى قفل الكتاب وإطفاء النور لأنى أعلم أننى بمجرد إغماض عينى وسط الظلام فسوف تنصب على رأسى ذكرى ثريا أو ليلى آزاده أو العفاريت الملتهمة الأبعد منهما وتتسرب داخل رأسى خيالات الموتى والقتلى ، وما دام المصباح منيرا وعيناى على صفحات الكتاب فلن تجد إلى رأسى الخيالات سبيلا .

وفى النهاية يغلبنى النوم وأستيقظ فى الساعة السابعة والنصف صباحا ولا يزال المصباح موقدا والكتاب مفتوحا بجانبى لكن رسالة ليلى سقطت تحت السرير ، فأقوم وأضع الرسالة وسط الكتاب والكتاب بجانبى ، وآخذ كالإنسان الآلى حماما وأغسل رأسى ووجهى وأنزل للإفطار .

الوقت لايزال بين النور والظلمة حين أخرج ، وأمشى سائرا من جنب حديقة لوكسمبرج وأتجه نحو المستشفى . وينادى على بجوار الميدان إنسان

من بعيد ولا أعرفه في البداية ، لكنني حين أتمعن في النظر إليه يظهر أنه أحمد صفوى يؤدى ، تمرينات الصباح بمعطفه الحافظ للحرارة ، وسرواله الأحمر والأبيض وهو يتمرن على المصارعة الإيرانية (شلنك وتختة) ويتقدم نحوى . يبدو أنه تمرن جيدا لأنه يردد أنفاسه بانتظام ويأتي ويصافحني ، ويفتح في تلك اللحظة معطفة الأكثر ضخامة وقد تعلق كماه خارجين من رقبته ، ويلبسه .

مرتين أو ثلاثا لأني لا أستطع أن أركز أفكارى ، وأستمر في القراءة . يصدر(السلام عليكم يا جناب آريان ، صباح الخير)

(السلام عليكم)

(ياله من جو !)

(لم أكن أعرف أنك من الرياضيين ؟)

(ولماذا ؟ كل يوم .. في أى مكان في العالم أكون ، سلامة الجسم يعنى سلامة الفكر يا سيد آريان . خاصة الليلة الماضية كنت ضيفا وأكلت أكثر من اللازم) .

- (إذن فلن أزعجك)

- (لا ، أنهيت ساعتى ، تفضل نفطر معا ، ونتحدث أيضا)

- (أنا أفطرت)

- (إذن قهوة)

- (قهوة ممكن)

– « يقول أرسطو إلى طلابه حاولوا أن تحافظوا على الوحدة الجسدية بفن الاهتمام بأجسامكم ، لأنه حين يحافظ على الوحدة الجسمية تتحقق أيضا الوحدة النفسية والعرفانية الروحية » .

– « بارك الله فى أرسطو »

وندخل مطعم « دانتون » ويطلب أحمد صفوى ، صنفين من العصير ونصف حبة جريب فروت وبيضتين نصف سلق ، سلقتا لمدة ثلاثة دقائق وخبز محمصا بدون قشدة لكن بجبن الروكفور . وأنا نفس القهوة الإسبرسو .

يقول « أهدى إلى أخيرا كتاب مفيد جدا وقيم من أحد الأصدقاء العلماء والمحبين للبشرية حول المحافظة على الجسم بتمرينات المشى أو بالاصطلاح الأمريكى « جكنج Joging أى المشى بمهل » أترجمه إلى الفارسية ، أشعر أن الميدان لمثل هذا الكتاب بين « مجتمع إيران القارىء » خال » .

– « صحيح »

ويصله إفطاره المتنوع ، وأجلس أنا طالما أن ليس ورائى أعمال حتى العاشرة صباحا ويسألنى « حسنا يا سيد آريان أى جديد من الأخبار ؟ هل تسمع أخبار إيران ؟ »

– « سمعتها صباح اليوم »

– « هل أطلقوا الرهائن ؟ »

- (لا ، إلى الآن ، ما تزال الضجة مثارة)

فيقول (بما أن الحكومة يلزمها الفلوس فتطلق كل الرهائن . وإن كان أغلب الأموال تحتجزها أمريكا بنت الكلب . فلن يعاد إليهم من بضعة وعشرين مليار أكثر من ستة أو سبعة مليارات)

- (عندك خبر الموضوع ؟)

- (لا ، لكنى فاهم حكومة كارتر الديمقراطية وأقرا أيضا الجرائد . هم الآن فى مأزق يريدون أن يفصلوا القضية بأى شكل حتى العشرين من يناير حين يسلم الحكم إلى الحزب الجمهورى حتى لا يراق ماء وجه الحزب الديمقراطى أكثر من هذا والإيرانيون أيضا يلعبون بمهارة يا عزيزى . أنا أظن أنهم سوف يماطلونه حتى آخر لحظة ويريقون ماء وجه كارتر حتى آخر ثانية ويعذبونه) وبمهارة يضرب عنق البيضتين المسلوقتين العسليتين بسكينه ويخلط بالملعقة الصغيرة والذهبية اللون فى السرفيس الصفار بالبياض داخل القشر بلطف ثم يرش عليهما قليلا من الملح .

ويذكرنى شاربه ويداه النحيفتان بالطالب الثورى بكلية النفط فى عبدان الذى أصبح بعد تخرجه وعمله عامين فى مصفاة عبدان ، بعد الثورة ، أحد القادة الإداريين والسياسيين فى عبدان .. وبعد بداية الحرب ظل يتضور جوعا لمدة أسابيع داخل التحصينات بالخط الأول للجبهة حتى أخرجوه من داخل المتاريس فى نهاية الأمر مصابا بقرحة المعدة والاثنى عشر والنزيف المعوى ومغمى عليه .

ويدهن صفوى أعلى التوست بجبن الروكفور ، يغطى بمهارة فائقة كل سطح التوست بكثافة متساوية . يقول (ينقضى نصف قرن ويلزم وقوع أحداث فيتنام وإيران ونيكاراجوا لكى يفيق فى النهاية العم سام . الممارسات التى كانت الإمبريالية الإنجليزية تقوم بها أوائل هذا القرن وقت سيطرتها وإمبراطوريتها تقوم بها الإمبريالية الأمريكية من أواسط هذا القرن . والاستعمار عادة يفرض نفسه على البلاد عن طريق سيطرته على الأجهزة الحاكمة لهذه البلاد . قامت انجلترا بهذه الممارسات سنوات طوالا ثم أفاقت وتخلت عن هذا الأسلوب ثم فعلت أمريكا نفس الأسلوب بعد ذلك بفترات ربع قرن أو أكثر بقليل . أى أن أمريكا تبحث عن جماعة صغيرة من الهيئات الحاكمة وعن طريقهم - مثل كابوكي ومثل الشاه ومثل سوموزا - تنفذ مخططاتها وتتعب الشعوب تعبا تاما - بعد هذا ما الذى نفعله ؟ الثورة والحرب والموت لأمريكا .. سواء فى الشرق الأقصى أو الأوسط أو فى أمريكا اللاتينية)

- (يعني أمريكا استيقظت الآن وتفرك عينيها وتريد أن تعمل وفقط لأجل صالح شعوب الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية ؟) .

- (لا ، نعوذ بالله ، لكنها تفرك عينيها .. لأن كل هؤلاء رفسوها فى وجهها وفى النهاية تشعر بأثرها .. أنا مسرور الآن لأن إيران وجهت ركلة قوية فجعلت أمريكا تركع ساقطة حتى أن صوت سقطتها سوف يظل سنوات .. يجب المقاومة ويجب إنقاذ حياة الأمة ووجودها) .

وهو الآن يقطع نصف حبة الجريب فروت قطعا هندسية الشكل ويرش عليها رذاذ السكر ، تظهر أعماله تماما مثل كلامه منطقية وبسيطة ولا يمكن رفضها .

وأقول (أبقاك الله يا سيد صفوى ، مازلت شابا وغضا)

فيقول (أمشي في الثانية والستين من عمرى حين يأتى الرابع والعشرون من فبراير القادم)

- (أطال الله عمرك . فأنت رشيق القوام ، متين البنية ، سالم الجسد) ويضحك بغرور ، ويقول (والله لابد أن أتغذى بالخارج أو لا آكل من أصله لأن الله أعطانى زوجة حمارة ، فهى فى الواقع لا تتعلم وليس لها شعور . عشرين أو ثلاثين سنة وهى فى الخارج ولا تزال تستخدم السمن الطبيعى ! فى القلى والأرز والعجة وتحمير العشاء والبطاطس .. وتصب السمن الطبيعى الذى حمرت به على كل شيء . عندها تجلط الدم والكلسترول وتصلب الشرايين كلام فارغ . لكن إذا وضع على الطعام بقدر عقلة الأصبع ثوم من فوق مقلى وزيت فهذا عيب . كلما كنت أعود من إيران أو تذهب هى وتعود لابد من إحضار علبتين من السمن الطبيعى الكرمانشاهى . وإذا ما قلت لها ذلك لا يأتى على مزاجها أولا ثم تغضب وتتشاجر وبعد هذا تعود ريمة إلى عادتها القديمة) .

وأهز رأسى وأنظر إلى خارج المطعم .

ويسألنى (طيب وكيف أحوال بنت أختك ؟)

- (نفس الحالة وأظن على أسوا)
- (هل عملت شيئا من أجل الفلوس ؟)
- (لا ، حتى الآن)
- (ألا تحتاج فلوسا ؟)
- (كان معى خاتم ، بعته ، كنت اشتريته فى أمريكا ، حصلت منه على خمسة عشر ألف فرنك ، وماشى أنا بهم) .
- (ولا تريد المائة والخمسين ألف فرنك التى سوف ترسل من طهران ريالات مقابلها ؟)
- (ولم لا ، لكنى لم أصل إلى قرار حتى الآن ، قدمت أوراقا إلى التأمين الطبى بالجامعة والمسؤولين الحكوميين ببلدية المنطقة وإداراتها)
- (على كل حال أنا جاهز للخدمة)

(أشكرك)

(أعرفك أنى راجع إلى أشتوتجارت فى الحادى والعشرين من يناير لأن عندى ميعادا مع مقوم أسنانى)

- (كما تريد)
- (وأكرر أيضا إذا ظهر خدمة أقوم بها فيما يخص الفلوس حتى تاريخ ذلك السفر وأنا على وعدى رهن إشارتك)
- (ممنون)

والآن يأكل مع القهوة باللبن آخر مثلثات التوست المدهون بالجبن ويسألنى (ألم تر صاحبنا نادر بارسى ؟)

– (لا) وانهض قبل أن أكمل كلامى .

– (يبدو أنه مشغول بألعاب عيد نويل)

– (وألعاب أخرى)

– (هل ستذهب إلى متحف اللوفر عصرا ؟ أنا عارف أنك ذاهب للمستشفى فى الصباح)

– (حسن جدا ، وأنا ماشى إذا سمحت لى)

– (إذن إلى اللقاء بعد الظهر – ها هذا هو السيد مجيدنيا ..) ويأتى الدكتور مجيدنيا هو الآخر بزى الرياضة المدفىء ويلحق بنا . وأبقى دقائق أخرى . وصفوى يبدو دمث الأخلاق ومعدته مملوءة (أستاذ تأخرت ، أنا فداك) .

يصافحنا . ومجيدنيا كان أستاذ الاجتماع بالجامعة الوطنية ، تخصص المجتمع الإيرانى والعالم الثالث . يقول (مشيت نصف ساعة أكثر) ويضع يده على بطنه (أدخلت فيها البارحة أكثر من اللازم ، وحسبت فرأيت أنى أن أردت وضع شىء آخر فيها يجب علي أولا أن أرفع عنها شيئا ! ها ه ها!)

فيقول صفوى (أعرف من أجلك كتاباً عظيماً يا أستاذ ، إذا لم يكن لديك أرسله لك من أشتوتجارت)

– (أى كتاب ؟)

- (كتاب جديد اسمه جلنج - مفتاح سلامة الحياة . وبداخله ملحق صنف فيه أطعمة العالم الأساسية حسب عدد سعراتها الحرارية ووضح التركيبات الجيدة جداً من أفضلها فإن تناولت فى اليوم ثلاث وجبات متنوعة ففيها ما يقل عن ألفى سعر ، يعنى هذا أن تخفف من وزنك .. لكن بساعة سير متمهل فى اليوم !)

- (لا .. لم أقراه)

- (إذن أرسل لك نسخة منه)

- (شكرا هل أفطرت ؟)

- (نعم يا أستاذ ، تفضل أنت)

فى تكية درخونكاه ، فى ليالى الجمعة كان المعزون يطفئون المصابيح ويقفون حول دائرة ويدقون صدورهم . الأطفال وسط الدائرة ، والكبار حولها مادارت . حينا يشتد ضربهم لصدورهم قائلين (كرب وبلاء وبلاه على الحسين) ويلطمون وجوههم بقوة حبا فى الحسين حتى يسقط بعضهم ، ويغمى عليهم .

ويطلب الدكتور مجيدنيا عصيرا خليطا من التفاح والجزر ونصف حبة جريب فروت وعجة خضروات والكمأة omelettes aux fines herbes avec champignons والكرواسون والقشدة والمربى وطبق بيكن زيادة de bacon وجبن فونتان بلو .

ويقول صفوى ألا تحب يا سيد مجيدنيا جبن الروبلاشون(Roblachon?)

- (نعم ، ممتازة ، هى نوع من جبن المناطق الجبلية الناعمة تأتى من فرساى ، لكن يجب أكلها طازجة ، أفضل منها جبن الروكفور)

فيقول صفوى باختصار (أكلتها الآن وافتقدتك)

- (هنيئا ! فيها عروق مائية وتصنع من لبن النعاج ومعه خضروات خاصة وطازجة ويصنعونها فى المناطق الجبلية ، ويجب أن تؤكل مع البوردو الأبيض !)

- (لا أشربها .. وعليه فأنا آكل الجبن فى الإفطار !)

- (بالهناء والشفاء !) ثم يسأل مجيدنيا كأن وحيا عظيما ومحدثا صدر من مركز عالم الكائنات (هل سمعت التنفيذ الجديد ليوجين أورماندى للسيمفونية التاسعة من سيمفونيات بيتهوفن ؟ يصاحبه أوركسترا فيلهارمونيك فيلاديليفيا ؟ عظيم جدا !) فيرد صفوى (سمعت فقط الخامسة منها الليلة الماضية فى منزل صديقنا جناب رهنما)

- (إنها ضجة ! فى الواقع هذا العمل العظيم هو لأستاذ استطاع فى النهاية بعد أربعين سنة أن يعطى لبيتهوفن ولادة حقيقية فى القرن العشرين) .

فيقول صفوى (أعتقد أن أفضل تنفيذات سيمفونيات بيتهوفن هو تنفيذ آرتور توسكانينى الذى أسس فى أوائل العقد الخامس لهذا القرن شركة (آر سى أى فيكتور) الأمريكية . بقيت هذه السامقة فى صورتها الكلاسيكية حتى الآن فى سائر العالم) .

- (بالصدفة لدى كل السيمفونية التاسعة منها . تلك التى نفذها توسكانينى بأوركسترا فيلهارمونيك أن بى سى كانت ضمن الأفضل فى

ذلك الوقت . لكن عمل يوجين أورماندى هذا هو سامقة السامقات . كذلك الخامسة منها فى ديوان سى تصنيف ٠٦٧ : يبدأها موفمان أولا بإيقاع سريع ونشيط ، ثم يتجاوز التكنيك البشرى للفنان وأستاذيته ، يرتفع فى سحاب نبوغ بيتهوفن نفسه)

– (هل سمعت بتنفيذ إيجور إسترافينسكى لـ (طقوس الربيع) ؟)

– (نعم)

– (هذه الأوركسترا عظيمة)

– (هذه أفضل من تلك أيضا)

(La Sacre de Printemp كانت خروجاً على التقليد الكلاسيكى !)

– (إسترافينسكى يساوى الخروج على تقاليد الموسيقى الكلاسيكية)

ثم يقول الدكتور مجيدنيا (.. هل سمعت آخر خبر من أمريكا أيضا ؟)

– (أى جديد ؟) ويشرب صفوى آخر جرعات عصيره .

– (أى خبر ؟) أعتقد أنه خبر عن الرهائن .

فيقول مجيد نيا (كارتر مصاب بالبواسير !)

– (لا !) ويضحك صفوى

– (أذاع هذا النبأ التقرير الطبى للبيت الأبيض)

– (لكل شىء سبب ، فقراراته خراب ! هه هه ، لكن هل تتحدث بجد؟)

- (كانت ضمن أخبار النيوزويك ..)

ويضحك صفوى مرة أخرى (طيب ، هل هو إنسان مختلف . الإنسان فان قابل للمرض - حتى زعيم أكبر قوى العالم !)

وأنهض وافقا !

وينهض صفوى ومجيدنيا كلاهما ويصافحاننى بأدب جم ولطف وظرف

ويقول صفوى (إذن أصل إليك بعد الظهر يا سيد آريان ، الساعة الثانية)

- (لابد أنى سأكون بالفندق)

- (تحت أمر سعادتك)

- (أستودعكم الله)

- (مع السلامة يا سيد آريان)

ويقول مجيدنيا بدوره (مع السلامة يا صديقى)

وأترك أحمد صفوى والأستاذ مجيدنيا فى مقهى (دانتون) منهمكين فى الحديث المتفرق حول عالم الجكنج والمأكولات الممتازة وعلم السعرات الحرارية وعالم الموسيقى السيمفونية وأعود ماشيا إلى المستشفى .

لا خبر فى القسم الذى تعالج فيه ثريا ، جورجيت لوبلان بزيها المنشّى مشغولة فى رتق المهام وفتقها . وعلى مكتب الاستعلامات توجد امرأة مشغولة بالتسجيل فى دفترها ، العمال يلمعون الأرضية . تخرج ممرضة بصينية دواء من غرفة وتدخل غرفة أخرى . تفتح الأبواب وتقفل دونما صوت . يتحرك عقرب ساعة الحائط البيضاء بلا صوت ، ثريا نائمة بلا

حراك فى نومها الكابوسى المجهول .. ولا يعلم هل اختفى الأمل فى الحياة فى هذا الصمت والشدة أو أن جفاف الموت يهبط بقول إريك برن ؟ هل مات كل شىء لنا وبدأت حالة البرزخ أم أن هذا نوم مؤقت ؟

- ٢٠ -

وتمضى الحـال تقريبـا بنفس الأوضاع فى اليومين أو الثلاثة التاليـة . وفى عصر العشرين من ديسمبر فى يوم مطير ، وفى ممر صالة ٣ (salle 3) بمستـشـفى ڤـال دوجـراس يلمع قـاسم يزدانى على أفق هذه الرحلة . خرجت من مكتب القسم عند مارتن وأحببت أن ألقى نظرة أخرى على ثريا قبل عودتي إلى الفندق فإذا بقاسم يزدانى هناك واقف فى عقب الباب ينظر إلى سرير ثريا . رأيته طوال هذه الأسابيع الثلاثة التى قضيها فى فرنسا بضع مرات مع سائر الطلاب أو منفردا ، وسلمت عليه وسألته وأجبته مرارا مثل بقيتهم ، ولكن ليس باهتمـام أبلـغ . شـاب صامت ومؤدب ، تقاطيع وجهه جميلة أو حتى يمكن أن توصف بأنها جميلة ومنسقة . بشرته غضة نضرة وبيضاء . حاجباه دقيقان ولحيته وشاربه أحمرا اللون خفيفا الشعر

ناعماه ، خاصة عيناه العسليتان هادئتان تبعثان على الثقة والاطمئنان يسألني (ما آخر الأخبار يا أخي ؟ السلام عليكم)

– (عن السياسة والأحوال ؟ أم عن ثريا ؟)

– (عن ثريا هانم)

– (نفس الحال La même condition ، نفس الأوضاع كما يقولون)

– (أليس من تغييرات محسوسة ؟)

– (لا للأسف)

– (أنا قاسم يزدانى تحت أمرك)

وأعرفه اسمى بدورى ، هو الذى يضع زهور النرجس بأغصانها وأوراقها بجوار ثريا لأنى حين أتيت لم تكن موجودة .

– (أنت خال ثريا هانم ، مضبوط ؟)

– (أجل ، هو أنا)

– (سعيد بمعرفتك ، هل أنت بخير إن شاء الله ، وصحتك على ما يرام ؟)

– (نعم ، مرسى)

– (كيف حال السيدة والدتها ؟)

– (إنها تعانى من عرق النساء ... موجودة) ثم اشرح له باختصار شيئا عن المرحوم الدكتور والد ثريا وأنهما لم ينجبا غير هذه الابنة .

– (إن شاء الله سوف تتحسن الأحوال)

– (أتيت بهذه الزهور الجميلة ، وتحضر أغلبها ، شكرا)

– (أنا والأولاد الآخرون مشتركون فيها)

– (لكن ثريا بنتنا مغمى عليها وللأسف لا تنتبه لهذه الزهور وللطفكم)

– (الله موجود .. هو رب العالمين)

– (على كل حال متشكر جدا)

– (ألا تسمح بأن نتعرف أكثر ، تفضل كوب شاى ، عصير .. إذا استطعت أن أقوم بأى خدمة ، تفضل على الرحب والسعة)

– (بكل حب) ليس ورائى عمل ، كما أنه حرك فى إحساس الفضول وعليه أقول (أكون سعيد ا)

– (هل تفضلت بالخروج ؟)

– (نعم ، ليس ورائى فى الحقيقة عمل هنا)

– (إذن تفضل)

ونعبر الممر حيث أول السلم ونهبط وأسأله (هل لديك معرفة كبيرة بثريا ؟؟)

– (لا ، ليست كبيرة . فهى بنت فى غاية التقوى والاعتزال . لم تكن تختلط كثيرا ، رأيتها مرة أو اثنتين مع طالبين متزوجين كنا نعرفهما جميعاً)

– (هل كانت ثريا تشترك فى المظاهرات هنا ؟)

– (لا ، بنت أختك كانت تخشى الله)

- (هل تعلم أن زوجها خسرو إيمان كان استشهد فى مظاهرات أواخر شهر يور سنة ١٣٥٧ ش ؟)

- (نعم ، سمعت هذا)

ونخرج إذ ذاك من المستشفى ونمشى سائرين ونلف متجهين إلى محطة المترو ويقول قاسم يزدانى (تحب تتفضل إلى (المدينة) وترى كيف نعيش نحن الطلبة ؟)

- (موافق)

- (تشرفنا)

- (نأخذها مشيا أو نأخذ المترو ؟)

- (المسافة لا تزيد عن خمس أو ست محطات ، لكن يجوز أن تتعب من المشى)

- (لا ، لا شيء ، نمشى)

ويعرف شارعا ضيقا باسم شارع دولا جلاسيه يتجه من الشمال إلى الجنوب ويوصل بسرعة إلى قبالة حديقة دوسونتسورى التى تفضى إلى أول حى (المدينة الجامعية) لباريس وينزل المطر بتفاوت بين القطر والهطول ، وليس معنا مظلة واقية من المطر .

فقط يقول لى أنه يدرس للحصول على درجة دكتوراه الدولة فى الكيمياء ولعله ، كما يبدو ، حصل على البكالوريوس فى طهران من كلية العلوم جامعة طهران ، ولما كان أول دفعته بعثه أبوه لإكمال دراسته .

(بما أن الاسلام لا يخالف العلم ، وأنما لا يخالف غير الفساد والفحشاء)ولا يتحدث كثيرا هنا عن نفسه ، ولكن لا أظن بحالته هذه من نحافة الوجه وعدم بروز الصدر والبطن أن فصلا من الغذاء الدسم سوف يؤثر في سلامته الصحية . أحب أن أدعوه لكي نأكل شيئا معا ، لكن بما أنه هو الذى دعانى فأرى من شروط اللياقة أن أكون تبعا له .

وأقول له (دعنى أخمن . ألست من أهل مشهد وما حولها ؟)

فيضحك (حسنا اقتربت . أنا من تربت حيدريه ، كيف خمنت ؟)

– (أنا نفسى لا أعرف . إلا أن فيك شيئا روحانيا وخراسانيا مقبولا)

– (وهل أنت من عبدان ؟ سمعت من السيدة شارنو أنك شرفت إلى هنا من عبدان)

– (لا ، أنا من طهران)

– (من طهران نفسها أم من محافظة طهران ؟)

– (ابن حارة سويقة درخونكاه وشارع شابور)

– (لكن فيك حرارة أهل الجنوب وصفاءهم وبساطتهم)

الهواء به حدة البرودة وأشعر أن الصداع سوف يتلاعب برأسى وأقول فى نفسى كان من الأفضل أن أخذنا المترو الملعون .

. ويسألنى (ماذا كان هدفك من بقائك فى عبدان بعد أن بدأت فيها الحرب ؟)

– (أنا ، لم يكن لى هدف)

- (لم يكن لك هدف وقصد خاص ؟)

- (لا ، كنت بالمستشفى)

ويستفسر منى عن سكتتى المخية المشهورة ، وأصدق له على الواقعة

- (ألم تتزوج ؟)

فأنظر إليه وأضحك ، وأعتقد أننا نقترب الآن إلى موضوعه المحبب ، فأقول (مر ة ، منذ سنوات ...)

ويهز رأسه ، لكن لا أظن أن تحريكه رأسه كان بسبب فقدانى لزوجتى . لا يسألنى عن كيفية ما حدث ، فليس لهذا أهمية ، الأغلب أن هزه لرأسه كأنه بسبب امتناعى عن تكرار الزواج .

- (كيف لم تتزوج ثانية ؟ يجب على المرء أن يتزوج !) وكان نغمة صوته تحمل المزاح وأضحك أنا أيضا وأدع هذا السؤال يمر ، لكنه يعيد السؤال (لم تجبنى ..) ويظهر من نغمة صوته وأسلوب تعبيره أنه لا يؤمن أصلا كثيرا بنوعيتى وطبقتى ، لكنه على كل حال يتلطف بى ويترفق .

فأقول (والله ذلك الشخص الذى كنت أود الزواج به يفكر فى أشياء أخرى . ربما لا أزال ضمن قائمته ، وهؤلاء الناس الذين كانوا يودون الزواج بى كيف أعرض عليهم ؟)

- (سيادتك نفسك ليست عندك قائمة ؟)

- (لا - هه ، وأنت ما حالتك يا سيد يزدانى ؟ ألست متزوجا ؟)

- (لا ، لكن ما إن يتم عملـــى هنا وأعـــود إلى إيران فلابد من الشروع فى الزواج)

- (عارف ، المرء لابد أن يتزوج !)

ويرد على بضحكة ساذجة

- (لم تفكر في واحدة معينة) ولا أشير إشارة خاصة إلى ثريا ، لكنه يفهمنى

- (لا ، إذا كانت إشارتك الضمنية تتعلق بثريا هانم ، لابد أن أفصح بأنى كنت مهتما بها وحدها بعد الحادثة)

- (طيب ، لكن معرفتك بثريا كانت سطحية ؟)

- (فقط من بعيد لبعيد ، كانت ثريا لا تختلط إلا بالسيدة شارنو وهى من صديقات دراستها السابقة والتى أظن أنك قابلتها)

(نعم) تعبت جدا من المطر الشديد والبرودة وأقول فى نفسى حين نصل شقة الأخ قاسم يزدانى فلسوف أتناول شاياً ساخنا .

ونمر من أمام حديقة دومنتسورى ، ثم نتجه نحو واجهة حديقة عارية الأشجار مبللة ، وندخل حارة ضيقة وقذرة تنتهى بنهاية مسدودة أكثر ضيقا وقذارة . والمبنى الذى ندخله شيء خرب قديم مفروض أن ينهار ببابه وهيكله الآن أو بعد ساعة واحدة . وفى الطابق الهرمى الأخير غرفة صغيرة يفتح قاسم يزدانى بأصبعه نهاية بابها الأمامى المهشم وندخل بعد خلع أحذيتنا . ويشير إلى بالجلوس على الكرسى الوحيد . وحين ينصرف إلى

معاناة إشعال موقد الغاز ، ألقى النظر على ما حولى . باستثناء السرير الوحيد وموقد الغاز الصغير ذى الشعلتين ، وصنبور الغسيل وقليل من الأطباق والأوانى ومنضدة ونفس الكرسى الوحيد وكليم نظيف وتل مختلط من الكتب العلمية والفنية والتكنولوچية والكتب الصغيرة والكراسات فإن باقى الأثاث بالغرفة من الوضاعة بحيث (تصبها فى قطارة وتقول للأعمى بالشفاء) صورة مبروزة مرسومة بقلم أسود لجسر قديم والمبانى العتيقة فى باريس معلقة على جدار مائلة معوجة أو كانت على حالها منذ سنوات . وعلى الجدار القائم بالناحية اليمنى للباب معلق صورة اشتغلها قاسم يزدانى بنفسه بورق أحمر بلون الدم بقَصَّة قبة ومئذنة بحيث يظهر أعلى المئذنة على شكل صورة ملتقطة فى الواجهة وكتب بالفارسية على بطن القبة كلمة (القبلة) وعلى طول المنارة كلمات (حى على الصلاة) وعلى الصورة الملتقطة بتمامها كلمة (الله) . والغرفة باردة وأحد زجاج النافذه مكسور ولصق بالورق .

وأخلع معطف المطر مقتديا به . إلا فليرحم الله غرفتى فى فندق بالما أرتعد بردا وأسأله (هل كل هذه الغرفة بتمامها ملك لك ؟)

وكان انتهى لتوه من إشعال الموقد ووضع سخان الشاى . يضحك ويقول (جميل أن سألتنى بالمصادفة ! نعم كلها ملكى قانونا . لكن أحدهم وهو مرتضى حمامى الذى لم يدفع إيجارها أكثر من شهرين يأتى هنا بالليل وينام بأحد أطرافها ، حشرنا بطانيته وملاءته تحت السرير حتى لا يراها البواب Concierge)

- (عفارم عليك !)

- (طيب ما رأيك ؟) وينظر حواليه ثم يجلس على طرف سريره

- (مثل القمر) .

- (مثل القمر ؟ أو يجب أن نبعث هذا العفش إلى القمر)

- (أرسله إلى عبدان)

- (لا ، إيران لم تعد تريد مثل هذه الكراكيب والعفش البالى)

- (في حجرتك هذه تعيش في سلام وهدوء . يضربون عبدان من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح ويدكونها ويقتلون من فيها ويرسلونهم شهداء)

- (سوف نظل نقاتل حتى يتوارى الكفرمن العالم)

ولست واثقا من ماذا يقصد بدقة ، لكنى أقول (أنا على ثقة من أنك حين تعود إلى إيران يمكن أن تكون قيمة علمية لأى كلية)

- (ولكن ليس لمثال هذه الجامعات ومراكز الفساد)

وأحاول أن أغير موضوع الحديث

(لنترك يا سيد يزدانى موضوع الجامعات جانبا ، قل لى لأرى رأيك في ثريا هل تعتقد أنها سوف تشفى ؟)

- (إن شاء الله . على الله)

- (أليس ترى رأيا أكثر دقة)

- (ماذا تعنى ؟)

– (مكثت أنت هنا فترة أطول ، ورؤيتك العلمية أوضح ، ولغتك الفرنسية أفضل كثيرا) ويطأطىء برأسه .

فأسأله (هل عرفت من الأيام الأولى لحادثة ثريا ، هل كنت حولها من البداية ؟)

– (عرفت من ثالث أو رابع يوم)

– (كيف كانت ؟ هل كانت فى البداية أحسن أو أسوأ ؟)

– (كانت أحسن . طبعا أنا كنت لا أراها يوميا)

– (هل تعتقد حقا أنها كانت أفضل ؟)

– (بلا شك هذا رأيى الشخصى . أعتقد أنها كان لها رد فعل)

– (هذا ما قاله لى الدكتور مارتن)

ويرفع حاجبيه (يجب قطعا أن تدع كل شىء لله)

وأصعد زفرة وأستند على الكرسى .

– (فى الوضع الراهن أى عمل آخر يمكن القيام به ؟)

– (كن مع الله)

وغلى الماء فى سخان الشاى وينشغل الأخ قاسم يزدانى بأمر الشاى . وبجوار الموقد ، على أحد أطباق أكواب الشاى ، بقى كيس شاى جاف استخدم وحوفظ عليه من المرة السابقة بخيطه وورقته وكل شىء . لكن مضيفى لا يستخدمه ويضع فى السخان كيسا جديداً وينقل الأول إلى جوار النار ويعود ويجلس حتى يفور الشاى .

وأقول (ما رأيك أنت شخصيا ؟ أريد أن أعرف كل شيء عن البنت . أمها قلقة أيضا وتنتظر)

ويفرك قاسم يزدانى عينيه وحاجبيه بيده ثم يمسح بها على لحيته الناعمة ، ثم يتنفس نفسا عميقا .

(أنا لا أعرف كثيرا من الإغماء أو الكوما ، ولا أعتقد أن الأطباء وجراحي الأعصاب والأخصائيين فى هذا التخصص أيضا ، أو فى التخصصات البيولوچية والباثولوجية والبيوكيمية يعرفون عنها القدر الكافي أيضاً . الصدمات التي تصيب المخ لا تقبل التقويم . لأن نفس وظائف عامة أقسام المخ لم تكتشف حتى الآن .ولا ينتهى موضوع المعرفة التامة لمخ الإنسان حاليا وهناك أشياء أخرى أيضا)

– (وما هى هذه الأشياء الأخرى أيضا ؟)

– (أسرار الخلق وإعادة خلق الإنسان بإرادة الله)

– (صحيح)

(يجب أن نراعى أن الإنسان خلق من قسمين وفهمهما بلا شك ليس صعبا . القسم الأول الجسد والجسم المركب من عناصر هذا العالم . وهذا التركيب بنفسه يبلى ويتجزأ فى أخر الحياة وبلوغه نهاية الدائرة ، لكن مادته الأصلية لا تفنى . مثل هذا الماء الذى يغلى فى السخان وصعد بخاره إلى الهواء ، لكن الماء يبقى فى الهواء فى صورة البخار حتى يعود ثانية إلى الأرض وبناء عليه يبقى محفوظا . أما القسم الثانى للإنسان فهو الروح والنفس التى ليس لها خواص المادة ولهذا لا يحدث لها تغيير أو تجزؤ

وتبقى بنفسها . هذا القسم وهو رمز الحياة وروحها يقطع بعد موت الجسم علاقته بالجسد ويستمر هو نفسه فى الحياة ويوجد فى عالم الأرواح والأنفس . سمعت أن مثل هذه الأفكار ورد فى الأساطير الزردشتية . وتستمر حياة الروح حتى تجتمع يوما بإرادة الخالق العناصر الأصلية للجسم ويتخلق من جديد وتعود الروح إلى جسدها)

– (لكن هذا مفزع يا سيد يزدانى ؟)

– (ما المفزع ؟)

– (.. أنا لا أريد أن تموت ثريا فى هذا الحين ثم تعود إلى الحياة بعد مليار سنة أخرى على أثر فعل الانفجارات الذرية وانفعالاتها العكسية . أريد أن تشفى ثريا غدا أو بعد أسبوع أريد أن تعود ثريا إلى نفس حياتها هذه حتى اصطحبها إلى أمها . هذه المخلوقة المسكينة كل عمرها ثلاث وعشرون سنة ، لم تر إلى اليوم من الحياة خيرا ، ليس هذا عدلا ..)

– (لا .. ربما ليس هذا عدلا فى ظاهر الأمر)

– (إذن تعتقد أنت أيضا أنه ليس عدلا)

– (لكن إذا أراد الله هذا فماذا يمكن عمله ؟)

– (أنا أعتقد أن الله جل وعلا عن أن يريد ظلما)

– (برر الموضوع على هذا النحو وهو أن الله يختبر عباده)

فأزفر آهه وأهز رأسى (نعم)

(نعم وهنا يجب أن نهتم بجانب الروح فى الإنسان أو مسألة الإيمان) .

إذا تحركت بين ناس هذا المجتمع وخالطتهم على المقاهى والحانات بل وفى محلات بيع الكتب تراهم انغمسوا فى فساد عبادة الجسد وعبادة المادة ، يعيشون سكارى لأنهم لا يرون الحقيقة .. اسمح لى بأن آتى بالشاى . آسف لأنى ليس عندى غير الشاى) ويبتسم . لا أظنه يرمى إلى الخمر ، وأدعها تمر على كل حال .

ليس لديه غير فنجان واحد ، لهذا يصب الشاى لنفسه فى كأس ويخرج كيس الشاى من داخل السخان ويتركه جانبا . على الأقل شايه ساخن وحلو المذاق . عنده حلــوى المـن الاصفهانية بقعـر العلبة فيأتى بهـا ويدعـها أمـامى . ثم يأتى ويجلس متربعا على سريره ثم يستأنف (ورد فى القرآن الكريم قصة حول الإيمان يقول فيها تعالى إن إبراهيم فى منـاجاته يـوما مع الله قـال (رب أرنى كيف تحيى الموتى) فيجيبه الله (أو لم تؤمن) فيقول إبراهيم (بلـى ولكـن ليطمئن قلـبى) قـال الـله (فخذ أربعة من الطير)[1] واقتلها – وليس القتل فى القرآن ولكن فى التفسير – ثم قطّع لحمها واخلطه (واجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله على كل شى قدير) عالم برموز العالم .. هذه القصة وبلا شك أشارة موجزة جدا إلى أسرار عالم الخلق والبعث ، لكنها أصل الإيمان بالبعث وإعادة العدل الإلهى)

– (نعم ..)

---

١ – (وصـرهن إليـك) قيل لا يفهم منها معنى الذبح وإنما الإستئناس لأنها بعد قتلها – والمفهوم قتلها ضمنا – أتينه سعيا حين دعاها لاستئناسها به (المترجم) .

– (قلت ليس عدلا أن تموت ثريا وهى فى الثالثة والعشرين . طبعا ليس عدلا . لكن أصل هذه الحقيقة هو الإيمان أعظم وآخر حقيقة أيضا والذى لا يراه غير عين الحياة . ومن لا يرى هذه الحقيقة هم من يعيشون فى إغماء أبدى عن الحياة وكل شىء) .

وأسقط الآن في نوبة متتالية من العطس وأنظف بالمنديل أنفى وفمى وأقول فى نفسى جميل جدا ، الزكام ونزلة البرد فوق البيعة . لكنى أدعه يتكلم وأثناء حديثه أراه فى الرابعة من عمره فى تربت حيدرية طفلا جميلا ذكيا . ينصت فى ركن الحجرة وهو جالس فوق السجادة وأمامه المخدة . سمع هذه الأصول فى ذلك الوقت وسجلها وأضاف إليها بكمبيوتر عقله الممتاز الرشيد المتنامي وبلغ عظمة الكون وأبعاده ولم يغيروا أساس هذه الأصول لديه حتى الآن وهو فى بضع وعشرين من عمره يأخذ درجة الدكتوراه فى علم الكيمياء من واحدة من أكبر جامعات أوروبا .

– (كأنك أصبت بنزلة برد ..)

– (لا أعرف ، منذ أيام وقد ضرب خيشومى بأنفى ..)

– (لدى أسبرين) .

– (أنا نفسى صيدلية متحركة) وأمد يدى إلى داخل جيبى ويضحك كلانا .

وأشعر أن قاسم يزدانى هبة لى بالقياس إلى صفوى ومجيدنيا وبارسى وعبد العلى آزاده . الشىء الوحيد الذى لا أستطيع إدراكه هو الفلسفة الاقتصادية وراء كيس الشاى الجاف الذى استخدمه من قبل لنفسه وزهور النرجس لثريا والذى يعقد الأمور أكثر . ولا يمكن أن يكون الأمر تمثيلا لأنه لم يكن يعرف أنه سوف يدعونى إلى غرفته .

وبعد تناول الشاى والحلوى ، نتحاور لنصف ساعة أخرى حول الإيمان برب الكائنات واللاهوت وفلسفة المعاد والبعث والخلق ونهاية العالم والبشر من وجهة نظر الدين ، والموت والبرزخ بعد انفجار الأرض أثر زلزالها وإخراجها أثقالها ويقول الانسان مالها حائرا ، ومعبر الصراط الأحدّ من حد السيف والأدق من الشعرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرأيره .. وحين يتوقف المطر أقترح عليه أن نخرج لنتناول عشاء خفيفا فيشكرنى ويقول لابد أن يصلى ثم يكمل كتابة تقريره المعملى . يقول أنه يتناول فى حجرته عشاء خفيفا بالليل . ليس عنده ثلاجة ولا يوجد أيضا صندرة ملحقة بالخارج بغرفته ولاكومدينو . لا أستطيع أن أخمن ما هو قصده من العشاء الخفيف داخل غرفته اللهم إلا أنه يغلى مرة أخرى كيس الشاى الجاف ويشربه مع الحلوى الأصفهانية. فكرة أن يتصل بالتليفون لكى يحضروا له عشاء من ماكسيم ما هى إلا جنون .

فى اليوم التالى ، أوائل العصر أذهب مع صفوى إلى اللوفر ولم يكن صفوى مرشدا لى وحسب بل كان دائرة معارف متحركة . لديه معرفة بكل تابلوه وكل تمثال وكل مجموعة فنية فى كافة الأقسام أكبر من مسؤولى المتحف . وظهر اليوم التالى له أيضا يصل بارسى وزوجته وأخت زوجته سيمين برزكر بسيارة زوجة بارسى السيتروين الجديدة ويريدون أن نذهب إلى نافورة (فونتان بلو) فأقول هناك اتفاق على أن يأتى صفوى لى وأصبرهم حتى يأتى صفوى ونذهب جميعا ويحب بارسى أن يعرف ألم تعد ليلى آزاده بعد فأجيبه بأنها لم تعد بعد . فيقول سمعت أن عباس حكمت المفروض أنه سيلقى محاضرة ليلة رأس السنة فى مسرح كلية بوزار بالسربون فأرد عليه بأنى سمعت هذا أيضا .

اليوم الجو صحو ، جلست بجوار سيمين فى السيارة ويفوح منها رائحة جميلة .

ونافورة (فونتان بلو) الزرقاء ليست سيئة كذلك . ويقول صفوى إنه يعرف مقهى يقدم طعاما إسبانيا شهيا ، ويقول إن امرأة تأخذ الفأل عجوزا من جبال الألب تدير هذا المقهى .

ونذهب المطعم الأسبانى . كل معلومات صفوى صحيحة ، وبعد غذاء طويل حين تسخن أغلب الرؤوس تأتى العجوز آخذه الفأل لتأخذ فأل امرأة بارسى وأختها سيمين . على المائدة تأتى العجوز الداهية بكل ما خفى منا جميعا وتقول لسيمين أن رجلا عسلى العينين رمادى الشعر سوف يسقيها فى المستقبل جمّ السعادة والعذاب ، فيقول نادر بارسى الذى لا يكل نفسه من النظر إلى أخت زوجته مازحا : جلال لا تعذبها ، ونضحك جميعا ، وبعد أن نخرج من المقهى نمشى قليلا ويتجه صفوى وبارسى وامرأته إلى هذه الكنيسة القوطية الكثيرة القدم وتبقى سيمين فى السيارة أمامى .

عيناها الفاتحتا الخضار والحادتان تشبه عينى لاله أحمدى زوجة أخ زوج فرنجيس . يقبضون غروب أحد أيام الربيـــع فى طهران على لاله أحمدى أمام الجامعة وهى تتحدث مع بضع فتيات وفتيان آخرين . كان سن لاله إذ ذاك الحادية والعشرين فى الفرقة الثالثة بكلية الاجتماع بالجامعة الوطنية . لم يسبق وقتها على زفافها غير عام وكانت حاملا فى شهرها الرابع . ويرمون بلاله وصحبها فى عدد من سيارات البيكان يأخذونهم ويدعونهم فى السجن بتهمة توزيع صحف غير قانونية . وفى زنزانة السجن يغمى على لاله وحين تفيق فى سحر اليوم التالى تشعر بآلام شديدة فى صدرها وبطنها تحاول أن تمنع نزيفها بقطع من لباسها الممزقة ، لكن طفلها يسقط .

وتنقل في اليوم التالي إلى سجن القصر ويحبسونها بصحبة خمس عشرة امرأة أخرى في سجن النساء . وبعد سبعة أشهر يطلق سراحها بدون محاكمة أو حتى ملف لها . لكن زوج لاله كان قد انتحر في ذلك الوقت ودفن منذ أربعة شهور في (بهشت زهرا) . ملازم أول مهندس كامران نقي بور أدخل وهو داخل الحمام ماسورة مسدسه في فمه وأطلق رصاصة باتجاه الفك الأعلى وتناثر مخه على الحائط أعلى الدش .

وأتحدث مع سيمين عن ميشيجان ، كان تعيش في جامعة ميشيجان في إيست لنسنج في أحد دور المبيت حيث (يختلط ويمتزج) الأولاد والبنات ولاتكون لديهم مشكلة الجنس . إدريس ابن مطرود في عبدان بعد عجزه عن بيع السجائر الونستون كان له حب واحد هو أن يقبل بين المتطوعين ويلحق بصفوف محبي الحسين ويعجل إلى لقاء الله ، ويوم أن ذهبت إلى (هلال بريم) لأساعد فيض بور الموظف بتعليم شركة النفط لاخلاء منزله كان عشرون طالبة أتين من جمعية الإسعاف وشغلن المنزل وديا وتمركزت الأخوات المتنقبات المرتديات السراويل المتكسرة وأحذية التنس والمسلحات بالرشاشات في المنزل وكن يتحدين الأخوة الذين استقروا في عمارة لاتبعد كثيرا . تقول سيمين برزكر إن ايست لنسنج ليست سيئة لكن باريس في نظرها أحسن مع أنها تعشق سويسرا . وأقارنها بسومونجو صاحب الفندق وهو سويسرى الأصل وكأن قواميهما خرجا عن قالب واحد ، فقط جسم سومونجو مثل عروسة صنعت من الجبن السويسرى ووجهه من البساطة إلى حد أنه لا يبين سنه هل هو خمس وثلاثون سنة

أو خمس وستون ، بينما لا تتجاوز سيمين برزكر الخامسة والعشرين وصنعت من اللبن والعسل السيلانى وفوقهماجميع إنتاج مصانع كريستيان ديور . وحين تعود بقية المجموعة وأسألهم ماذا حدث حتى تأخروا بهذا الشكل يقول صفوى مازحا (ذهب السيد بارسى ليعترف لكن سيادة القسيس انفجرت مرارته وأغمى عليه) .

خارج ميدان بوابة بهبهان وأمام المسجد لكن وقت العصر يؤتى بجثث بضعة شهداء وقد وقف ما يقرب من عشرين ألف معزّ على أهبة التحرك . غطيت الجثث داخل توابيتها الصغيرة بالسجاجيد والحرير المشجر وزهور الشقائق الحمراء يدق الأطفال أمام صفوف المعزين صدورهم ويهتفون (الموت لصدام . الموت لأمريكا الموت لإسرائيل ، الموت لروسيا) . وخلفهم عدد من الأخوات التابعات لحزب الله بعباءاتهن السوداء والرشاشات (ج - ٣) وقفن مستعدات للعرض . ثم وقفت بعد هن النعوش ثم الرجال فى صفوف مختلفة ومن كل نوع مسلحين وغير مسلحين ويتبعون جميعا رجلا يمسك بمكبر صوت ويهتفون وراءه وخلف أولئك جميعا تبكى مجموعة فى سكون . ويدفعنى بكاؤهم إلى البكاء وخارج المدينة ، يقف بنا السائق آسيد رضا ، أمام حديقة ملك أحد أقاربه لكى نستريح عند تناول الشاى . الحديقة ساكنة صامتة وجافة . وفى أحد أركانها توجد غرفتان كأنهما بنيا منذ مائة عام ثم توقف الزمان عليها . لكن (ولى الله خان) رجل طيب أتى لنا بالشاى والبلح . وأرى فى طرف الحديقة قفصا يحجز وراءه بنتا فى الثالثة أو الرابعة عشر من عمرها وتحجز فيها يبدو لخطرها ، وحين نمر بجوار القفص تخمش البنت

بمخالبها نحوى وينفتح فمها على شكل مستطيل ويخرج من حنجرتها صرخة كصرخة الممسوخ .

يظل الجو صحوا فى الأيام الثلاثة التالية مع أن المطر يسقط بالليل لكن سماء باريس زرقاء نهارا يتفرق فى أعماقها البعيدة السحب البيضاء فيبدو منظر المدينة بديعا .

وأذهب إلى منزل كريم بور ذات ليلة مع بارسى وأهل بيته ومنزله ملاصق لمدرسة يدرس فيها وكريمبور اشتراكى متطرف وشاعر مجيد ودمث الخلق وحيى . . وشيوعيته الإيرانية جعلته طبعا قليل الكلام غامضا يلحق بمدرسته أولاد المشردين الإيرانيين مجانا أيضا .

وأعجب به . وإحدى الليالى الكثيرة الإملال أذهب الى منزل بارسى نفسه ونتفرج على أفلام بارسى التسجيلية وشرائحه الفنية عن السويقات والمبانى المخربة والأطلال ولايلين جفاف الليل غير وجود سيمين برزكر . وتظل حالة ثريا بلاتغير وأقضى الليلة السابقة لنهاية العام وحيدا فى الفندق أقرأ وأنتظر تليفونا من فرنجيس إذ تتصل بى كل ثلاث ليال .

ومع أنى تناولت كبسولاتى بانتظام أشعر الليلة من الغروب بصداع ثقيل ودوخة كبيرة لم يحدث مثيلهما لى خلال شهر وكسر قضيتهما هنا، بل إنه فاق صداع تلك الليلة وأنا سائر بشارع سان ميثيل على ناصيته شارع دزكول . ويتجمع شعورى بالهدوء مع إحساسى بتثاقل عجيب فى آن واحد تحت جبهتى وبقفاى . أقول أذهب إلى المستشفى ليكشف على الدكتور، لكنى لا أقوى على الكشف والفحص والتمريض أقول أتصل

ببارسي وأذهب إليهم ، لكن تحمل نادر بارسسي وزوجته يتطلب صبر أيوب . كنت أتمنى أن تكون ليلى بالمدينة ! وحين تدق فرنجيس جرس التليفون كنت تقريبا غائبا عن الوعي وأن كان حديثي معها أحيا معنويتي قليلا .

وفي تلك الليلة في لحظة ما خطر على بالي فكرة في الواقع ظريفة . قلت أجلس وأكتب وصيتي : وأمسكت ورقة وأخذت أكتب ، ماذا يفعلون إذا فارقتني الحياة ليلة وأنا في فندق بالما . لكني أترك هذا العبث . فإذا لم أكتب وصيتي مثلا فماذا يفعلون ؟ نفس الأمر الذي أفعله أنا - أروح في داهية . يسلمون جثتي إلى قسم الشرطة المختص ببلدية حي سان سولبيس وأتذكر كلام ليلى آزاده إذ قالت إن صادق هدايت من ثلاثين سنة مات في نفس هذه المناطق داخل غرفة . إذ يفتح الغاز في غرفة ضيقة ويتمدد وسط حمأة دم حياته فينتظر جفاف الموت . لكنه يا بابا كان رجلا يحسب له وأنا من أكون ؟ وماذا يفعلون بي ؟ إن البلدية لاتكاد تعرفني . سوف يرسلون من بلدية سان سوبيلس إلى المحكمة وإدارة الهجرة تقريرهم ثم يخبرون سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في باريس فيأتي الأخوة ويهتمون بالأمر ويخطرون طهران . لا ! إن فرنجيس لا تطيق هذه المصيبة .. وماذا يحدث لثريا ؟ لا ! أيها المجنون أترك هذه الأفكار ..

وأتخلى عن فكرة كتابة وصيتي والموت على عجل . لن أموت الليلة . أقول لنفسي لوساءت حالتي أذهب إلى المستشفى . جئت هنا لأقدم المساعدة ، ولم آت لكي أفقد حياتي بلا موت بلا قرف !

وأقوم وأتناول مجموعة إضافية من كل الكبسولات وليس هذا علاجا ناجعا ، أعلم . وأغمض عينى وأحاول أن أسافر إلى عالم أحلامى الشديدة الخصوصية . الأمر هين حين كنت صغيرا . أعود بسفينة الحياة فى نفس الزمان وأصطحب آنابل أيضا إلى داخل السفينة . نأتى ليلة رأينا فيها شخصينا فى ضيافة . ثم نتمشى على الشاطىء شاطىء قريب إلى فيشر منزوارف . الشاطئ منير ثم ليلة أخرى ، ومكان آخر . أريد أن تمارسى الحب معى . لا يبعد البحر عن النافذة . المنزل ساكن والدنيا هادئة .ثم تختفى سفينة الخيال فجأة ، وتختفى آنابل ولا يعود المنزل ساكنا ولا الدنيا هادئة . لا يظهر غير سفينة معارك المجانين فى نفق الموت . نهبط بقارب قديم له موتور من تشوبيده على شاطىء نهر بهمنشير . أنا وفشاركى هذا وبعض المخلوقات الأخرى من عبدان . تتمارج مياه بهمنشير السوداء ونصل إلى الأغوار بأسفل فارس من الناحية الغربية للجزيرة . ويترنح القارب الخشبى تحت وطاة عفش منزل فشاركى الذى حمله من بوارده . ويقترب منا قارب أصغر آخر يحمل أربع بقرات من تشوبيده . ويحجزونا فى المرسى وسط الأغوار علينا أن ننتظر . إنه الجزر . وننتظر وننتظر ثم ترتفع الشمس المنيرة من خليج فارسى من أقصى سواحل العراق . وترتفع الطائرات العمودية القاذفة الروسية لصدام حسين أيضا . تتجه هذه إلى الطرف الأعلى للجزيرة . وتزمجر فوق رؤوسنا أيضا طائرات الفانتوم الأمريكية لإيران . وترفع أبقار القارب الصغير رؤوسها من وسط العلف أمامها . وتنظر إلىّ إحداها . لا يزال العلف معلقا بجانب من فمها . وعلى أرض بعيدة ، تبرق الشمس الكبيرة الحمراء اللون لخليج فارس بأعلى قرنى البقرة . عيناها جميلتان

لكنهما حائرتان . وأتذكر جدى السندباد البحرى . كأن عينى البقرة تقوم لى لماذا لا تأكل . ليس لدينا ما نأكله . وضع البقر أفضل منا . أود العودة من قارب الكابوس إلى سفينة الخيال ، فى الظلمة ، على ساحل فيشرمنزوارف ليلة كريسماس ١٩٦٠ ، لا أستطيع ، الطريق مغلق . الخروج ممنوع . خلفى طريقان ضيقان يجذباننى إليهما . أحدهما إلى ذلك المستشفى الذى ماتت فيه فى تلك الليلة آنابل بعد وضع طفلها الميت والثانى إلى عبدان . هبوط اختيارى . القارب ذو الموتور وشاطىء نهر بهمنشير . ثم نهبط أعلى الجزيرة .

عبدان ، عبدان ! أذكر هذا اليوم بخير حين أتت ثريا وزوجها خسرو إيمان إلى عبدان عندى لقضاء شهر العسل . مطار عبدان الدولى . منزل منعزل فى بريم الغربية خلف نادى كلستان أتت ثريا وخسرو بعد يومين أو ثلاثة من زفافهما . أى زفاف وأى حدث ! على أية حال أتيا عبدان . كانت عبدان مدينة أخرى وفى زمان مختلف وفى دنيا مختلفة . أحبت ثريا شوارعها المشجرة والهادئة . وأعجب خسرو بشاطئها . كانا يسيران سيرا لا نهاية له . كنا نتناول عشاءنا فى نادى التجديف على الشاطىء الكبير . عصر الجمعة كانا يلفان حول جزيرة مينو بقارب الدكتور نوريسا ويعودان يلتقطان الصور . ثم يعودان سائرين حتى ميدان ألفى ويشتريان الكتب والمجلات من المطبوعات العالمية لحسن العربى . كانا ينامان بالليل فى إحدى غرف النوم المطلة على الحديقة . الشىء الذى أتذكره جيدا أنهما كانا سعيدين . كان المنزل ساكنا والدنيا هادئة .

كانت تلك سنة ١٣٥٦ هـ ش التى قتل بعدها فى الخريف خسرو أواخر شهر شهريور . وفى الربيع التالى أرسلت فرنجيس ثريا إلى باريس . المسكينة فرنجيس .

ويغدو دوار رأسى أخف وأهدا . أفكر فى فرنجيس وحدها وأنا مغمض العينين . المذياع مفتوح بجوار سريرى على الموجة القصيرة . تراكمت المحطات الأوروبية بعضها على الآخر . كأن المذياع له حياة منزلقة ومنفصلة على أرض بعيدة . فى محطة تغنى امرأة . كلماتها حول القيود قيود الروح فى هذه الدنيا . من أحصى قيود روح الأنسان ؟ متى تتخلص الروح من القيود ؟ فى البداية تغلّلنا بقيد رحم الأم لكى نتغذى من دمائها . ثم نأتى إلى الدنيا لنتغلل بقيد عجز الطفولة وضعفها . من الذى سوف يوقّفنى ؟ من الذى سوف يطعمنى ؟ والسنوات التى تتقيد فيها أقدامنا بقيود المدرسة سنوات قاسية . إذلال المدرس ، عقوبات التأديب ، قيود عذاب البلوغ .. ثم يلى دور قيود الحب وتجارب الفشل الأكثر مرارة ، بما أننا الآن كبرنا . قيود العمل أشد القيود إيلاء وإحزانا . ثم قيد الزواج وهى سلاسل جديدة على الروح والجسد . قيود الأولاد قيود أبدية ، لأن الأولاد ورثة الحياة والروح . قيد الشيخوخة والكهولة والمرض ، آلام العضلات والذبول شيئا فشيئا والتوارى فى رماد العمر . لكن كل هذا لا يزال أول الهموم . الدنيا غير آمنة ، المستقبل مظلم .. والحياة غير مضمونة . لا أحد يعلم إلام نذهب . لا أحد يمتلك زمام اختياره .. لكن الانسان ضئيل على نحو ما .. بين كل هذه القيود . المتغلبة ..

تلك الليلة على أية حال لا يجب أن أنام متأخرا جدا ، لأن هذا أيضا من كرامات كبسولات الآدالات والجافرين آراكس والنيتورو لينجوال والكومادين .

ولا أتذكر أني سمعت أخبار منتصف الليل .

- ٢٢ -

في صباح يوم ٣١ ديسمبر تنتقل ثريا إلى قسم الرعاية المركزة الخاصة. حدود العاشرة صباحا حين اتجه إلى المستشفى تقودني جورجيت لوبلان إلى الدكتور مارتن ويوضح لي الدكتور أن ثريا تعاني مشاكل في التنفس وتحتاج إلى (تنظيم التنفس) وركبوا لها أيضا جهازا لإجراء الدياليز التدريجي لقسم من (مجاريها) الحيوية . فوق ذلك فحالتها (بالشكل المنطقي) حسنة ، لكنهم بأدب جمّ لا يسمحون لي بأن أذهب لأراها .

وقرب الظهر حين أود الخروج من المستشفى ، تصل كريستيان شارنو أيضا وكانت عرفت بالأحوال لتوها . ولا أحب أن أطيل الوقوف والحديث معها اليوم لكني تجبرني بأن أنتظر حتى تذهب وتتحدث إلى مداموازيل

لوبلان (كلمة واحدة) وتأتى . الظاهر أن معرفتى بالفرنسية ليست محل رضاها . وحين تعود تقول (طيب ، كيف الأحوال) .

- (قولى أنت لى) .

- (كانت ثريا فى قسم الرعاية المركزة قبل الآن أيضا فى أوائل ..)

- (ولماذا نقلوها إليه الآن ؟)

- (لا أدرى . مشكلات . تعقيدات . لكن حالتها تتحسن)

- (أتمنى ذلك)

- (طيب ، وأنت كيف أحوالك ، وكيف أنت ؟)

- (لازلت حيا)

- (لا تتحدث هكذا . لم ينته العالم . قمت فى البضعة والأربعين يوما التى قضيتها هنا بأعمال كثيرة . لكن الإنسان لا يستطيع أن يتوقع أشياء كثيرة . لكن الأمور بلا شك يمكن أن تتحسن)

- (نعم ، ممكن)

- (حسنا ، بذلت أقصى ما فى وسعك ، وقمت بأفضل مساعيك)

وتعبر بالفعل الماضى بشكل يوحى بأن حالة ثريا أسوأ مما أظن . أظن أنها تعرف أمورا لا أفهمها .

فأقول (لكنك قلت إن حالتها تتحسن)

فرد كريستيان شارنو (أنا متفائلة دائما)

وأنظر فى عينيها الصغيرتين الزرقاوين اللتين تشبهان حبتى المسبحة ومع أن فيهما كل شيء شريف وودود دائما ، لكننى لا أعرف لماذا لا يجب الاطمئنان إليهما .

تتغير حالتها المرحة وثرثرتها الدائمة وتبدو أكثر جدية قليلا .

ونمشى حتى الكريدور ونهبط السلالم .

تقول (تعال الليلة إلى منزلنا ، لدينا حفلة صغيرة . أنت عارف أن الليلة بداية السنة الجديدة)

– (شاكرا جدا) وأقول كاذبا (عندى موعد)

– (.. أى موعد ؟)

– (ذاهب إلى محاضرة)

– (أوه .. أى محاضرة)

لا تكف عن السؤال

– (أحد الكتاب الإيرانيين أتى من لندن)

– (أوه .. كنت وثريا نذهب إلى كل هذه المحاضرات . وهذه المحاضرة أين تعقد ؟)

– (بمسرح بقاعة كلية بوزار فى السربون)

– (ومن هو الكاتب ؟)

– (عباس حكمت)

وتعيد كريستيان شارنو اسم عباس حكمت بصوت خفيض .

– (أليس هو الذى ألف رواية عن تمرد أحد الناس ؟)

– (أظنه هو)

– (ثريا كانت تقول إنها إحدى الروايات الجيدة التى ساعدت على قيام ثورة إيران)

– (بالضرورة) وأعجب بذكاء كريستيان شارنو وعلمها . المخ الفرنسى شغال .

– (وماذا يفعل الآن ؟)

– (من ؟)

– (مسيو حكمت ، لابد أنه الآن أحد قواد الثورة الثقافية ، أليس كذلك ؟)

– (ما أعرفه أن مسيو حكمت مقيم بلندن – يعنى من فترات وهو يعيش فى لندن)

– (لم يرجع بعد نجاح الثورة ؟)

– (رحل بعد نجاح الثورة ؟)

– (لماذا ؟)

– (لا أدرى ، لابد بسبب أن ليس عندنا بيرة)

وتضحك (هل يشرب البيرة)

– (سمعت)

- (حركوا الثورة ثم هربوا . يشعلون الفيوز ثم يصرخون من الاحتراق بعد اشتعال النار - أليس كذلك ؟)

- (لا .. لا يمكن التعميم)

- (طبعا لا .. لايمكن التعميم ، لكن رنين كلمة البيرة أضحكني)

لكنه لا يدعو إلى الضحك . لا شيء يدعو إلى الضحك من صباح اليوم . أحـــب أن أختلي إلى نفسي . فأقول (شيء شبيه بهذا)

- (طبعا لابد أنه لايملك شيئاً حول رسالة « الشهادة »)

- (رسالة الشهادة قضية هذا النظام - أليس كذلك ؟)

- (لا ، على حد علمي)

(Comme si , comme Ça كذلك)

ونخرج وقتذاك فوق سلم الحديقة . وتتثاقل ثانية رأسي ، لكن أصل معها حيث تنتظر سيارتها ، تقول :

- (هل تعرف أن ثريا نفسها تكتب الشعر ؟)

- (لا ، لا أعرف ، ثريا ترسم جيداً)

- (كانت ترسم رسماً ممتازاً .. لكنها كانت تكتب قليلاً جدا . لكن بروعة .. حيناً كانت تترجم بعضاً من شعرها إلى)

- (لا ..... لم أكن على علم بهذا)

- (حين تأتينا هذه المرة أريك دفتراً لها وأشعاراً وبعض مذكراتها فيه)

- (مرسى)

وتنظر إلى إذ ذاك بدقة أكبر

(أنت شاحب اللون فى نور الشمس وتبدو مريضاً قليلاً . حالتك طيبة ؟)

- (أكثر مرضاً بالليل)

تضحك وتقول (كن متفائلا . أنت عارف أن ثريا متفائلة دوماً . عانت جروحاً كثيرة لكنها إنسانة متفائلة دائماً . أحبت كثيراً شاعرة إيرانية لاأتذكر اسمها ، فروخ .. فرخه .. زاده ؟)

- (فروغ فر خزاد ؟)

- (نعم نعم ، نعم . ترجمت ثريا لى شعراً لها . تذكره بهذا النحو (وتقول كريستيان شارنو ترجمة هذا الشعر) أغرس يدى فى الروضة / سوف أخضر / والعصافير مكان فصوص خواتمى الذهبية / سوف تضع بيضها)

ووصلنا إذ ذاك إلى سيارتها وتسألنى (أليس هذا مما يدعو إلى الأمل؟)

- (لا أعلم)

-(إنه يبعث على الأمل تماماً)

وأنظر إلى عينيها

تقول (كانت ثريا حساسة جدا إزاء الرموز (الغرس) و(الاخضرار) و (وضع البيض) كل رموز فنية جادة)

وأهرش رأسي ، لايبدو كلامها سيئا .

أقول (طيب ، أستودعك الله)

– (هل أنت واثق أنك لن تستطيع أن تزورنا ؟)

– (نعم ، ومتأسف)

– (يمكن أن تأتي متأخراً . أريك دفتر أشعار ثريا)

– (سوف آتي خلال الأسبوع)

– (.. مثل هذه الضيافات تبدأ من الثانية عشرة منتصف الليل . ليتك تستطيع المجيء . أحب أن تقرأ لي أشعارها وتترجمها لي)

تخرج شفتيها بشكل قبلة خيالية . لعينيها الصغيرتين كحبتي المسبحة ربما علامات طريفة .

أقول (أيضا ولابد أن أكتب الليلة أيضا بضع خطابات)

– (تعال بقدر استطاعتك)

– (مع السلامة)

– (إلى اللقاء)

وأتناول طعام الغداء في مطعم صغير وأتصفح أثناء شرب القهوة الصحف التي اشتريتها ثم أترك المطعم وأخرج . وأعود إلى الفندق حوالي الثانية وأشعر أن الآلام الأولى لنقل ثريا إلى قسم العناية المركزة كأنها خفت في . ووصلتني بضع خطابات أحدها من فرنجيس . ورسالة أيضا من ليلي آزاده . كلها يسلمها إلى سوموبجو ويقول إن مداموازيل أتت شخصياً

وكتبت رسالة ويضيف (كانت حلوة جداً جداً) . وأقرأ رسالتها فى الأسانسير . وبعد السلام تقول ولاغير أن محاضرة عباس حكمت سوف تنعقد الثامنة مساء وتريد أن أذهب إليها بالضرورة لأعلم – لابد أنها أضافت أيضاً من باب الدعاية أن (رجال الحكومة) أدانوا الآن هذا التجمع الذى يتسم بجانب سياسى !

أعطى رقم تليفون فرنجيس إلى سوموبجو فى مكتب الفندق وأريد أن يوصلونى بها . وأنتظر مدة وأخط رسالتين إحداهما لفرنجيس وأخرى رداً على خطاب صديق أرسله لى من شؤون المستخدمين بشركة النفط . كنت طلبت منه قبل ذلك أن يمدوا إجازتى بدون مرتب فأجاب اليوم بأن طلبىقبلوه بارتياح بعد أن تم الاستغناء عما يقرب عن سبعة عشر ألفاً من الموظفين الرسميين فى صناعة النفط فى عبدان حالياً ، ثم يتمنى لى فى النهاية أمنيات السلامة لى ولبنت أختى ويبدو أنهم احتفظوا فى ملفى الشخصى بنسخة من خطابه على أنه نصف رسمى . فأرد عليه وأؤكد له وصول رسالته وأرسل له شكرى . ولايظهر من أى خطاب شىء غير متوقع لأنى أولاً فى حالة عصبية إلى حد ما ثم أننى أتوقع مكالمة لاتصلنى مع أنى أعلم أن أختى تنتظر مكالمتى فى هذا الوقت . أرفع السماعة وأطلب من سوموبجو فى مكتب الفندق أن يتحقق من أنهم يبحثون فيما حدث لمكالمة طهران . فيرد أن الليلة ليلة رأس السنة الجديدة والمكالمات الدولية متراكمة . وبناء على هذا أشعل سيجارة أخرى وأنتظر . وفى النهاية بعد عشر دقائق يتصل التليفون بمنزل فرنجيس وأفصل لها حالة ثريا فى ذاك اليوم . وتقلق فرنجيس كثيرا وأظنها أنها أخذت تبكى . وأشجعها بأن الحالة ليست بهذا

القدر من السوء ، وكانوا نقلوا قبل ذلك فى البداية ثريا إلى قسم الرعاية المركزة . وأعتقد أن اضطراب فرنجيس هبط إلى حد مابعد مدة ، خاصة حين أسألها عن أخبار إيران وأوضاعها . فتقول إن أعداد القتلى والشهداء وتشييع الجنازات يتم فى الشوارع يومياً عشرة عشرة وعشرين عشرين وثلاثين ثلاثين وتظهر أيضاً فى التليفزيون . تقول إن الألم ليس يخصنا وحدنا وليس يخص أسرة واحدة . الألم عام شامل . أعدها أن أتصل بها بانتظام كما هى العادة إلا إذا ظهرت أخبار جديدة فأتصل بها فوراً وتطلب فرنجيس منى أن أهتم بنفسى وتطمئن على أحوالى فأقول أنا عن نفسى بخير وأترك السماعة بعد وداعها .

وقت الغروب وأنا أحلق ذقنى لكي أخرج إلى العشاء حين يدق التليفون ثانية وحين أرفع السماعة فإذا به صوت سوموبجو يقول (مسيو آريان . كلم مستشفى ڤال دوجراس)

ويسقط قلبى فزعا

– (حسن جدا ، أوصلنى به من فضلك)

– (كلم دكتور مونيه)

ويأتى الصوت (مسيو آريان ؟)

– (نعم ، أنا مسيو آريان)

فيقول الصوت (أنا الدكتور مونيه من ڤال دوجراس ، فيما يخص مداموازيل ثريا)

- (نعم ؟ نعم ؟)

- (أنا مساعد الدكتور مارتن ، هل يمكن أن تأتى المستشفى لبضع دقائق للتوقيع على استمارة) فأقول فى قلبى ياحضرة الماكروبيونيفرس !

(نعم ، بكل تأكيد ، أى استمارة يا دكتور ؟)

(ظهرت حاجة ملحة لأن نجرى عملية الكتروترابى بسيطة لقلب ثريا . ولابد من موافقتك)

- (بالتأكيد أنا قادم الآن)

- (متشكر جدا)

- (هل حدث شيء يا دكتور)

- (لا يا سيدى ، فى الحقيقة لا ، إجراء بسيط طبى)

- (سوف أصل لكم خلال أقل من خمس دقائق)

- (مرسى ، مسيو)

وأرتدى بالطو المطر وأصل إلى المستشفى بالتاكسى . الدكتور مونيه مساعد الدكتور مارتن رجل فى مقتبل العمر شديد البياض نحيف القوام ، لكن وجهه ورأسه بارزان إلى حد ما وشعره مدهون وشعره بأطراف رأسه مصفف فخيم وظهر فرق أبيض عريض فى أحد جوانب رأسه . جلس فى مكتب الدكتور مارتن وحين أدخل أراه يتحدث مع لوبلان وممرضتين أخريين وطبيبة أخرى بحال هادئة ووادعة . لا أرى فيهم حالة قلق وينهض الدكتور مونيه ويصافحنى ويرحب بى ويضحك ويتفقدنى باقى الحضور بل إنهم يقدمون لى كأسا من البوردو فأعتذر لهم .

اتضــح أن الموضـوع بهـذا الشكل وهو أنه يلزمـهم عـملية الكتـروترابى للقلب تلك الليــلة . ويطلبـون الموافقة على العملية أو فى الحقيـقة على كشف treatment الالكتروترابى للضـرورة يشـرحون هذا لى . هذه العملية العــلاجــيــة الخــاصــة تجــرى لتــحــريك القلب المعــتــدل عن طريق الالكتروسيستوليك ويطلبون اسـتمارة الموافقـة للظروف التى ربمـا تحدث ضرورة لها فى أى وقت من الليل أو فى منتصفه ، لكى تكون بالملف .

وأسال (متى يعود الدكتور مارتن)

فتقول جورجيت لوبلان ضاحكة (أخذ الدكتور مارتن إجازة لبضعة أيام)

– (فهمت)

– (سنة جديدة سعيدة مسيو آريان ، لابد أن تشرب كأسا من البوردو)

– (اعفونى حقيقة ، شكرا لكم)

– (كما تحب)

– (سنة سـعـيـدة جـديدة) وأقـول فى نفـسى رحم الله أجـدادكم وأسلافكم .

حين أغادر المستشفى تكون الساعة اقتربت من السادسة والربع . وأرى فى الخارج قاسم يزدانى فى المسـتشفى الزائر الوفى لثريا وولدا وبنتا آخرين وهم فى قلق على ثريا ، وأتحدث معهم لبضع دقائق وأشرح لهم باختصار حـالتـهـا فى هذا اليـوم . فينتـاب الجـمـيع خـاصـة قـاسم يزدانى الحـزن . وأودعهم بعد عدة دقائق . عقرب حالتى العصبية الذى يعلو ويهبط منذ

الصباح مثل (اليويو) لايزال يثب ويقفز . لا أفكر بالذهاب إلى مسرح بوزار لحضــــور محاضرة عباس حكمت ولا حتى رؤية ليلى . يعرض الفيلم السينمائى لقصة كلاب الحرب . فأذهب وأقضى ساعتين . موضوعه الذى أحسن عرضه الكتاب ظهر على شاشة السينماعلى شكل أكروبات جاسوسية دولية وسياسية . الاستفادة الغربية وتهريب الأسلحة والضرب بالرشاشات والتفجيرات والقصف والقذف خارجا برؤساء الجمهوريات للبلاد الصغيرة مثل عقب السيجارة خارج النافذة . ويبدو السير جيمس مانسون نفسه فى الفيلم أكثر وضوحا عن شخصيته فى الكتاب . والجدير بالذكر أن كلاب حرب التاجر الإنجليزى نجحوا فى طرد رئيس حكومة الزنزيار عن بلاده وتثبيت رئيس للدولة عميل لهم .

أتنـــاول فى مطعم صينى على العشاء خليط الأرز المحمر والشاى الأخضر . وحين أضـــع رأسى وسط الطبق تكون حالتى أشبه بحالة جدى هوليوود ذلك فى تلك النكتة القديمة الذى يلتهم شريط فيلم ملقى به فى مقلب قمامة خلف أحد الاســتوديوهات وكان يقول لنفسه فى همس (كتابه كان أفضل) . وأعود إلى الفندق ولم ينقضِ وقت طويل من الليل .

- ٢٣ -

لكن تلك الليلة لاتمضى بنفس هذه البساطة . فأدخل الغرفة ثانية حين يدق جرس التليفون ثانية هذه المرة ليلى آزادة بنفسها . تتصل بى من مكان صاخب بالموسيقى كما أسمع من التليفون . يموج صوت موسيقى الجاز من خلال السماعة .

– (سلام يا جلال)

– (سلام . تتصلين بن لتفرحينى ؟)

– (نعم ، أتصل بك لأ فرحك)

– (إذن افعلى)

– (كان قلبى منزعجا عليك)

– (هل تعرف من أين أكلمك)

– (صوت الموسيقى الصاخبة يصل منه)

– (المشهد : مقهى دولاسانكسيون)

– (حب ومتعة ؟)

– (لم لا تأتى ؟)

– (لا)

– (كنت عارفة أنى سأجدك عندك . كنت أعلم أنك سوف تأتى إلى المستشفى بأول الليل من أى مكان كنت فيه من أجل مكالمة أختك)

– (أتيت)

– (يمكنني أن أحاسبك)

– (يمكنك أن تفعلى أشياء كثيرة)

– (نعم ، بإمكانى . تعال الآن لأنى أريد أن أراك ، وإلا أتيت أنا بنفسى)

– (ماشى)

– (هل تحب أن آتى إليك ؟)

– (تعرفين الرد)

– (تعال إلى متى أتحايل عليك ؟)

– (كيف كانت المحاضرة ؟)

– (ممتازة . حضر ألف مشاهد . كانت جادة جدا . مستنيرة ، كما يقال لكن غَيَّر الموضوع . تعال إلى هنا . الليلة ليلة رأس السنة كلهم حاضرون . الشمع والورد والفراشة والبلبل)

– (كذلك سماع صوتك أفضل)

– (لا ينقصك غير هُدْبة درخونكاه التي يتفاءلون بمسكها ليلة العيد)

– (هل ستأتي أم آتي أنا ؟)

– (ماشي) .

وحينما أصل يتضح أن ليلي آزاده كانت تريد وحسب أن تكتمل مجموعتها . صدقت كان الجميع حاضرين . يبدو أن بعد محاضرة عباس حكمت شدت النواة المركزية لهذه المجموعة من أصحاب القلوب رحالها من صالة المسرح المدرج لبوزار إلى دولاسانكسيون . الليلة أغلب الحلقة الموجودة في المقهى أدباء وأهل علم ، و بالإضافة إليهم بضعة من المتطفلين فعلاوة على شخصية عباس حكمت حضرت ليلي آزادة ، وأختها الشابة الحسناء بري ونادر بارسي الأستاذ المعزز وبيجن كريم بور وأحمد صفوي والدكتور أحمد رضاكوهسار وبهمن قراجوزلو والدكتور خطيبي والدكتور سياست والدكتور أردكان والدكتور مجيدي وأحمد قندي وبضعة آخرون . الليلة – وبينهم الشخصية التليفزيونية حسين آب باك ومنتج الأفلام المشهور دار يوش فرهاد – حضر أغلبهم بزوجاتهم أو رفيقاتهم . حضر أيضا أحد الفرنسيين وهو جان إدمون الذي يعرف الفارسية ، وتبين بعد أنه كان الملحق الثقافي في سفارة فرنسا في طهران ويعد الآن كتابا يحوي ترجمة للقصص القصيرة الإيرانية لكتاب نصف القرن الأخير . لكنه من ناحية الشكل والمنظر يشبه الفايكنج أكثر من الأدباء الفرنسيين . قامته طويلة وفي حمرة الدكتور قاسم خطيبي وبياضه وزرقة عينيه ، إلا أن قشرة

جمجمة خطيبى مفروشة بجلد مشكل اللون لامع أما شعر جان إدمون فأحمر ومجعد ويغطى جزء منه جبهته .

احتلوا ناحية منفصلة من المقهى الكبير . وفوق منضدة طويلة لابد أنها تختص بالضيوف ما تشتهى من صنوف الطعام والشراب ومعها زهور ليلة رأس السنة وزيناتها . عديد من زجاجات البوردو والبورجاندى وزجاجتا برنو وبضع زجاجات (جونى ووكر) وزجاجة كوروازيه وزجاجة رمى مارتن وزجاجات الشمبانيا والبيرة إلى حد الوفرة .

ومن أصناف اللحوم الباردة والساخنة – والطيور والسمك والمأكولات الساحلية وأنواع الجبن المختلفة . وليلى آزاده فى غاية السعادة . تتحدث حينا وتضحك وتلمع . لكن من المعروف أن نجم الليلة الساطع هو عباس حكمت . رأيته قبل هذا مرة أو اثنتين ، لكن وجهه ولحيته وشاربه الفرويدى لم يتغير شكلهم عن صورته التى كان تطبع فوق أغلفة سائر مؤلفاته قبل الثورة . وحينما أدخل أجد كل الرؤوس فى انشغال حار وأجلس فى مكان بآخر المنضدة البالغة الطول بين صفوى وأحمد قندى ومعه مذياعه المذكور وتقبل ليلى لتحيينى وتستقبلنى لثوان عديدة وتغمز إلى بطرفها قائلة (جسم الإنسان شريف) إشارة منها إلى الطرفة المنتشرة فى حفلهم عن أحمد قندى الجالس بجوارى ، والتى قالها عباس حكمت متأثرا ببيت لشاعر عذب البيان .

هل جسم الإنسان شريف بروح البشرية ؟

لا ! إن نفس هذا اللباس الجميل علامة البشرية

ويأخذ عباس حكمت والأستاذ كوهسار ويبدو أنهما صديقان قديمان ورفيقا الحمـام والروضة فى تلك اللحظة فى التحاور بلغة أهل الكار بصوت مرتفع . جان إدمون ونادر بارسى انشغلا على طرف المنضدة فى نقاش وبحث وأنا لاأفهم فى البداية موضوع الحديث . يرتدى عباس حكمت بذلة أسبورا منقوشة بمربعات صغيرة بيضاء وسوداء ومشكلة ، وقميصاً ليمونياً جميلاً ورباطة عنق ومنديلاً وجيبا اسكتلنديا يغوص داخل جيب الصدارى المخملى الأسود . أما ظاهر صداريه على بطنه البارز فمنتفخ أطار زرارا فخرج منه جزء من القميص الليمونى بل وجزء من عراقته . أسنانه بلون القهوة وتمتلىء بالثفالة ومعوجه مقووسة . أغلب رموشه طارت وبقى مكانها قراع . لاتزال بشرة وجهه بيضاء بلاغضون وتلمع بالكريم واللوسيون الغض الجديد يقول للدكتور كوهسار بلغة أهل الكار .

- (ازحمزد -به زه بازارسى زى به زه جوزو !)
- (زى به زه جزم ؟)
- (به زه جوزو يازاروزرنه زه ميزى دزه .)
- (خوزو دزت به زه جوزو !)
- (به زه جوزو بازا روزر خوزوش كه زه له زه از مازانه زه من زى ده زه)
- (خوزو دزت به زه جوزو !)

يضحك الجميع المتحلقون على المنضدة تقريباً مقهقهين الا جان إدمون الذى لايفهم بلا ريب لغة أهل الكار ونادر بارسى الذى لعله لايسمع بسبب غيظه أو أنه لايسمع أصلا لجلوسه بآخر المنضدة .

ويسألني صفوى (لم تحضر المحاضرة ؟)

- (لا)

- (كنت بالمستشفى ؟)

- (ذهبت مرة أخرى وقت الغروب)

- (كيف حالها ؟)

- (ليس طيبا ، نقلوها إلى قسم الرعاية المركزة)

- (آه ، آسف)

و أشعل سيجارة جديدة . جلست ليلى بجوار حكمت لكنها تسمع حوارنا وتسألنى من الجانب الآخر للمنضدة (كيف حدث ، نقلوها إلى قسم الرعاية المركزة ؟)

- (حالة قلبها وتنفسها سيئة)

- (آه !)

ويرتفع صوت بارسى الآن وهو يتحدث مع جان إدمون .

فأسأل صفوى (ماالموضوع؟)

فيضحك صفوى (مسيو جان إدمون يطبع مختارات من القصص القصيرة لإيران المعاصرة)

- (وليس فيها شيء عن بارسى)

- (لا - وهذه الضجة والزعيق من أجل هذا . يقول بارسى هذا وصمة عار فى ذيل تاريخ أدب نثر إيران المعاصر فى نظر العالمين ولايمكن أن يتغافله أحد قط) .

– مارأيك ؟ أنت تعرف نادر جيداً ؟)

فأقول ببساطة (ألا يمكن أن يعتقه ؟)

– (يعنى يترك ذيل النثر المعاصر موصوما بالعار ؟)

– (يمكنهم إضافة عمل لبارسى داخل مختارات المسيو)

فتقول زوجة بارسى التى تجلس بعيداً جداً عنه (يمكنهم بعد ذلك أن يرسلوا ذيل النثر للغسيل بالبخار) .

فيقول صفوى (معك الحق يا هانم ، إلا إذا كانت من البقع التى لاتزول بالغسيل الجاف !)

فيقول الدكتور أردكان الجالس بالقرب منا (من فضلكم إرفعوا أيديكم عن الأدب المعاصر لأن الموضع تطور إلى نبرة OVERTONE جنسية)

فيضحك فى هذه المرة الجالسون على هذا الجانب من المنضدة ضحكا شديدا ويمضى الوضع تقريبا على نفس المنوال طوال الساعة التى قضيتها هناك . وتظل ليلى آزاده بجانب حكمت وتنظر إلى حينا لكن أغلب نظراتها منصبة على جان إدمو ن . ويقف الدكتور أردكان ويراقص زوجته . ويذهب بهمن قرا جوزلو يضع كاسيتا . ويرقص دار يوش فرهاد مع برى آزاده أخت ليلى . أنهما متحابان أو متحابان هذه الليلة . ويرى الدكتور خطيبى رأس بارسى بعيدا فينهض ويراقص سيمين التى ترتفع برأس عن الدكتور خطيبى المبطط المستدير ، وقميصها المفتوح من الأمام الليلة أكثر كرما وسخاء عما مضى . ويعب حسين آب باك الجالس فى زاوية من المنضدة بجوار أحمد قندى كأس بيرته السبعين ويصف لى عباس حكمت .حسين آب باك فيما

يبدو مفتون بعباس حكمت بإخلاص قلب لامائة قلب . يصف قصص حكمت فى الكتاب الأول لقصصه القصيرة بأنها فى الواقع (أصيلة وأساسية)وفيها ميول إلى هدايت نفسه . تأثر فى هذه القصص بهدايت نفسه . المرحوم هدايت بنفسه قرأها فى البداية وقدم لها . وحكمت ألفها بـ (التزام) وكان هدايت هو الغول بالنسبة للجميع ثم آل أجمد ثم حكمت كتاباته دارت حول آلام الشعب وعن انسحاق الطبقات الدنيا . عن فقر الناس . عن قذارات المجتمع . عن انغلاق عيون الناس وأسماعهم . عن جهل الطبقات الشعبية وسوء حظها .

ونثر حكمت سلس بلون المرآة . بلا أوشاب وأكدار . ليس له مانع ورادع . لايبقى لدى من يقرأ (شمع شبستان) شبهة واحدة عن التزام حكمت فى تشريح آلام المحرومين والتنبيه إليهم وشقاء بلده . وحكمت ابن فارس . درس فى طهران عمل في أوائل شبابه في السفارة الإنجليزيه . ثم انتقل إلى شركة النفط . عمل فيها عشرين سنة . ثم أصبح حكمت رئيساً لمكتب أمير عباس هويدا لما كان وقتها أحد أعضاء مجلس إدارة شركة النفط . زار حكمت موسكو ولندن ونيويورك بصفتةكاتبا معاصرا ومكث فيها بضع سنوات . كان كاتبا مقيما .

كان قد درّس فى جامعة لندن لدورتين . كان عباس حكمت كافل أمر الأدب الفارسى فى العالم الحر . وماتت زوجته العام الماضى .

ولعل الحكومة البريطانية الآن عهدت إليه بمهام من قبل فأصبح يعمل ضمن قسم تابع لوزارة الخارجية أو ربما أيضا فى الـ (بى بى سى) .

عمل مستشارا أدبيا ولغويا فى جامعة لندن . حكمت مهم ومتصف بالأصالة . أموره ماشية فى أوربا أو على الأقل هكذا يعتقد حسين آب باك .

– (هل تعلم أنه يتمتع بطبع مرح وظريف ؟)

– (لا ، لا أعرف)

– (أوه ، مرح وظريف كان قد كتب نقدا منذ سنوات على المسرحية القصيرة (عصا التى ألفها بارسى التى تعد نموذج المسرح الحديث والمدرسة الرمزية عند بارسى تحت عنوان (معلومات السيد نادر بارسى !)

– (لا !)

– (صدقنى) ومنذ عامين أوكل له محاضرة (كأستاذ زائر) فى مكتبة « الدراسات الإفريقية والآسيوية » بجامعة لندن . إذا حكى هو بنفسه هذه النكتة بطن الإنسان تؤلمه من الضحك . ملأ مرة استمارة بيانات للجامعة فكتب أمام خانة (الدين) (هرهرى) أى دينه : ملحد بلا دين . وفى نهاية العام حين يصدر الكتاب السنوى للكلية وبه إحصاء عن الأساتذة الزائرين والأجانب ورد فيه : عدد كذا من المسيحيين وعدد كذا مسلمين ، ومثلهم بوذيين ، وكذا يهود ، وكذا .. وواحد (هرهرى) أو ملحد . حين يحكى هذا بنفسه يموت الإنسان من الضحك) .

وينقر عباس حكمت على المنضدة قائلا (يا أولاد ، انتبهوا)

وتقول ليلى (انتبهوا يا أولاد انتبهوا !)

ويعلن حكمت (شغلتكم من أول الليل ..)

- (لا .. تحت أمرك)

- (اسمعوا - أريد الآن أرقصكم قليلا)

- (جميل جدا !)

- (أرقصكم ! !)

- (ربنا يسعد ك)

ويقول حكمت (كان هناك درويش مجذوب والذى يروى الأستاذ بورداود شعرا عنه . هذا الشعر لسان حالنا جميعا الليلة . شعره راقص وإيقاعى . سوف أنشده وعليكم أن تنقروا بأصابعكم بإيقاع أو تدقوا بأقدامكم بتراقص) .

ويبدى الجميع فجأة انتباهه وسعادته .

وتقول ليلى (الجميع مستعد !)

فيقول حكمت (الجميع عليه أن يكرر معى هذا الترجيع : هو حق مدد ، نظرة يامولانا . ويكرر (مستعدون ؟)

- (نعم ، نحن مستعدون)

- (الجميع مستعد)

- (هو حق مدد ، نظرة يامولانا . هيا . هو حق مدد ، نظرة يا مولانا)

فيصيح الجميع مرة أخرى (هو حق مدد ، نظرة يامولانا)

ويبدأ برتم إيقاعي عباس حكمت الذي يشبه صوته ولهجته الفتوات والدراويش :

(مما نحن هكذا مساكين ؟

عاجزون مغمومون ؟

هل تشردنا من ديارنا ؟

لم ير أحد مثلنا في التشرد !

ويبسط يده ويصيح الجميع :

هو حق مدد ، نظرة يامولانا

هو حق مدد ، نظرة يامولانا

ويرفع حكمت يده :

انظر إلى إيران قد خربت

انظر حب الوطن صار خرافة

شعبها جن في كل مكان جنونه

يهلك هكذا الإنسان

هو حق مدد ، نظرة يامولانا

هو حق مدد ، نظرة يا مولانا

مـن الآن فصاعدا نطلب طريق الرجـال

ولآلام الوطـن نبحـث عـن العلاج

ونقول إيران إيران إيران

فى ورد الليل والنهار والسحر

هو حق مدد ، نظرة يا مولانا

هو حق مدد ، نظرة يا مولانا

ويرفع أحمد قندى بجوارى صوت مذياعه قليلا والذى بدأ يذيع أخبار إيران فى نشرة نصف الليل ويقربه إلى أذنه ولايبتعد كثيرا عن أذنى أيضا . يبدو أنه قلق حول أخبار إيران وموضوع الرهائن الأمريكيين . بما أن كارتر منع دخول الإيرانيين أمريكا .

وأحمد قندى ينتظر بكارته الأخضر وقلبه المشتاق الوصول إلى أمواله بأمريكا . وأثناء قراءة عباس حكمت الشعر يأتى صوت وقائع إيران على الموجة القصيرة التى طولها ٣١ مترا بذبذبة مقدارها (٩٠٠٢٢) كيلو هرتز من صوت الجمهورية الإسلامية من قلب إيران ويفترق عما يجرى بمقهى دولا سانكسيون فرق السماء من الأرض حتى أن اللحن المميز للأخبار الذى يسمع الآن من وسط شعر حكمت يصد موسيقى حكمت وإيقاعه وجلبة محبته لإيران .

وحد هو وحد هو وحد هو وحده

وحد هو وحد هو وحد هو وحده

لا شريك لاشريك لاشريك له

لا شريك لاشريك لاشريك له

أنجـــزه أنجـــزه أنجـــزه وعـده

أنجـــزه أنجـــزه أنجـــزه وعـده

نصـــر نصـــر نصـــر عبـده

نصـــر نصـــر نصـــر عبـده

أنجـزه وعده ونصر عبده ..

يعلن في البداية في موجز أهم الأخبار البيان الثالث بعد المائة لجيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية المذاع الليلة أن جنود الإسلام وهم يرفعون علم الجمهورية الإسلامية الإيرانية ذا اللون الدموى بهمة ، من وضعوا أرواحهم على كفوفهم وهم الحرس والمتطوعون والفدائيون بجيش جمهورية إيران الإسلامية وأبطال شرطة الجمهورية الإسلامية الإيرانية والطيارون الخاطفون في سلاح القوات الجوية لجمهورية إيران الإسلامية والفدائيون والعشائر الغيورة والعاديون من أمة الاسلام أنزلوا ضربات قاصمة على جيش الكفار البعثيين المعتدين .. أظهر العدو العاجز والنجس حين رأى نفسه عاجزاً عن صد الأمة المسلمة وهزيمتها دناءته وعجزه بقصف المناطق السكنية في دزفول والأهواز وكوت عبد الله والخويزة وبستان وعبدان وخونين شهر وقتل الآلاف من النساء والأطفال والأبرياء وتشريدهم .

ويقول حكمت :

آه آه لأننا بالخـــمـــر سكارى

أثر فـــينا الأفـــيـــون والنوم والوهن

غـفلنا عن أنفـسنا فـعـجـزنا لهـذا
ولم يعـد لدينا خـبـر عن أنفـسنا
هو حق مـــدد ، نظـرة يامـــولانا
هو حـق مـــدد نظرة يا مـــولانا
يـاقـــــــبلـتـنـا يـاإيـران يـاإيـران
نحن العـبـيـد وأنت الإله الواحـد
مـــلأ الآن حـــبك قلوبنا وأرواحنا
أنت روح القلب ونور البـــصـــر
هو حق مـــدد ، نظـرة يامـــولانا
هو حق مـــدد ، نظـرة يامـــولانا
من أجل الوطن نجـــاهد بأرواحنا
مـن يـد الأجـل نـلـبس خـلـعـنـا
ومن كـــأس الفناء نشـــرب السم
حـــتى يحلو فم الوطن بالسكر
هو حق مـــدد ، نظـرة يامـــولانا
هو حق مـــدد ، نظـرة يامـــولانا
انشـــــر روحـك هـو هـو هـو هـو
نـاد عـلى الـدرويـش هـو هـو هو هـو

اصـــرخ واســـحب فـــأســـا

هو حق مـــدد ، نظرة يا مـــولانا

هو حق مـــدد ، نظرة يامـــولانا

ويقبَل حكمت كـالدراويش يده ويضـعـهـا على جبـهـتـه ، ويهـديهـا للحاضـرين الموجـودين فـيـصـفـق الجـمـيع . ويرفع حكمت كـأسـه الطويلة المملوء بالبيرة ويشربهـا فى نخب صحتهم . على مقـهى الريفـييرا لقوام السلطنة لم يفعل الأصحاب مثل هذه الجلبة والرقص .

علـــى أيـــة حال لا يتحدث عباس حكمت عن نفسه مثل بارسى وليس فى جمله كلمـة فرنسيـة واحدة ولايعتبر الكتاب الايرانيين بلا قيـمة كـمـا يظن صفـوى . لايزال بشكل عام يعمل فى شخصيته الطين الكائن بقعر الجداول بالحوارى الخلفية لبلاد محافظة فارس التى أتى منها ، خاصة حين لعبت برأسـه بيـرة الــ (باينت) . لاتظنه أنه الكاتب المقـيم بلندن وموظف بريطانيا العظمى . لاتزال لغته الفارسية على وتيرة واحدة وخالصة . يتحدث مثل خبّازى رفنسجان .

وأنهض حـوالى الحـادية عـشـرة والنصف واستـأذن . ولا آبه بحكمـت المنشـغل بقص حـكاية منزل اشـتراه لنفســه فى (كنجـزرود) ويريد بناء (مستـراح) إيرانى فيـهـا ويحاول جاهدا مع موظفى بلدية تشلس وساوث كـزينجتـون للحصـول على إذن لبناء هذا المسـتـراح الإيرانى فى منزله . أنا مهتم بأمر ليلى آزاده ، لكنهـا منصـرفة أكـثر إلى جان إدمون أكـثر منى أو حتى عباس حكمت . تتحدث معه وتضحك هذا ما أنتظره منها . هذا أيضا

من توقعاتي الكبيرة لليلة رأس السنة . يبدو أن حكمت سوف يبيت الليلة في شقة ليلى آزاده . وسوف تذهب ليلى عند أختها برى لتنام عندها وهذا هو محضر الجلسة .

ولاتزال برى أخت ليلى بدورها تراقص داريوش فــرهاد . وبارسى هو الآخر لما رأى زوجته مبتعدة يلاعب أختها . زوجتا بارسي وصفوى الضخمتان تتحادثان في ناحية . لا أفهم فى أى شيء . لكنى لا أعتقد أنهما يتحادثان حول القومية فى العالم . بقية المهاجرين كل مشغول فى أمر يبدو أن خطبة حكمت الكبير وليلى واضحة الواضحات .

المفروض أن تسافر ليلى إلى لندن فى شهر فبراير . لا يزال الجميع جالسين مع الزجاجات والكؤوس وأطباق الطعام والأوردوفر والفاكهة والحلوى ، يتحدثون بلهفة ويسمعون بإقبال حين أقف ناهضا . وحين أخرج من الباب يأتى نادر بارسى من خلفى ويناديني ، فى الواقع يمسكنى وسط ضجيج جماعة ليلة رأس السنة من كاهلهى ويوقفنى .

– (إلى أين أنت ذاهب يا جلال بهذه السرعة ؟)

– (الفندق)

– (أنالم أتكلم معك ، لم تدع الضجة والضجيج أن أتحدث معك بكلمة) معربد فى سكره .

ـ (أنا ذاهب إلى الفندق)

– (لماذا بهــذه العجلة ؟ سوف يبدأ فى الثانية عشرة الجلبة والزعيق

والقبلات والأحضان)

– (نعم)

ويضحك (إذن تعال)

– (أتى ميعاد نومى ، وحياتك)

– (من ابن الحرام هذا ؟)

– (ابن حرام من ؟)

– (جان إدمون ابن الحرام .. الذى تعلقت به ليلى ؟)

فى الواقع ذهبت ليلى أثناء ذلك وجان إدمون بحجة شراء سجائر إلى جوار أحد البارات . لكن بارسى لا يراهما بسبب إدارته ظهره لهما .

– (ومن أين لى أن أعرف ؟)

– (ألا تعرف بجد ؟)

– (كنت تتكلم معهم من أول الليل حتى الآن)

– (يتفاصح متغافلا .. الآن هل تريد آداب إيران مثل باقى الأشياء الأخرى لإيران وكيلا وصيا ؟ هل تعرف أخبارا بين ذلك وليلى؟)

– (لا – والله)

– (وحياتى؟)

- (لم أر ليلى منذ أسبوعين من الآن . والمسيو أيضا وقعت عينى الليلة حالا على جماله الفتان)

- (ألم تر كيف كانت تنظر إلى ابن الحرام ؟)

- (من ينظر إلى من ؟)

- (ليلى إلى ابن الحرام ذلك)

- (ليلى تنظر بمثل هذه النظرة إلى نصف سكان الكرة الأرضية)

- (لا)

- (وإذ ذاك تصعد هى وحكمت تقريبا سلالم المأذون)

- (هل قالت لك ليلى إنهما سوف يتزوجان ؟)

- (أنا ماشى يابابا ، مع السلامة)

وأقف فى ذهول .

- (لم تفعل شيئا حتى اليوم لحل مشكلة الفلوس ؟)

- (لا)

- (كم تحتاج الآن ؟)

- (حوالى مائة وأربعين أو خمسين ألف فرنك)

- (أنظر يا جلال أنا كلمت خالى)

- (عظيم)

- (يمكنه أن يعطيك المبلغ . سعر تغيير التومان فى السوق الآن

الفرنك بأربعـــة تومانات واثنى عشر ريالا ، لكنه سوف يغير لك على أربعة تومانات)

- (ماشى)

- (تعال هذه الليلة نرجع الى منزلنا ياجلال)

- (هل تحب أن أكلمه ويأتى لك إلى الفندق صباح باكر ؟)

- (لا ، فعلا لم أصل إلى قرار حاسم)

- (إذن لا تأخذ فلوساً من واحد آخر)

- (ماشى)

- (تعال هذه الليلة نرجع إلى منزلنا يا جلال)

- (وحياتك أنا تعبان)

- (أقول لك تعال وكف عن دلالك)

- (لا وحياتك)

- (إذن كن على اتصال بى)

- (ماشى)

- (تحت أمرك)

- (مع السلامة)

- (فى أمان الله ياجلال)

ويعود ، وأدير رأسى بجانب الباب وأنظر اليه . ويفترق عن الجماعة

السكيرة والمجنونة فى البار ويجلس بمواجهة ليلى التى عادت إلى المنضدة - فى المكان الذى تركـتـه . ويضع جرسـونان عـدة زجـاجـات جـديدة فـوق المنضـدة وبضـعـة أطبـاق . ويقـول عبـاس حكت على رأس المنضـدة شيـئـا ويضحك الجميع . كلهم سعداء . ينتظرون الساعة الثانية عشرة وحلول لحظة السنة الجديدة والتقبيل والاحتضان والغناء .

وتهب فى شارع سان جاك رياح باردة قارسة لكن الجو صاف . مثل الليلة التى هاجم العراقيون فيها داخل حى ذو الفقارى ومقابر عبدان . نمنا هذه الليلة فى تحصين فى بوارده الشـمـاليـة أمـام كليـة النفط . لدغت عقرب رجل أحد الطلاب طهرت موضح لدغته بالسكين لكنا لم نستطع حتى الصباح الخروج من التحصين . ظل ينتظر حتى الصباح وصول لحظة موته .

على تقاطع شارع وجيرار وشارع سان ميشيل فى سكوت الليل وخلوه فى الشارع ، أسمع صوتا كأنه صوت عربة المصير المفصولة المكبح وهى آتية . تعزف ولولة شكمانها مع أسفلت الشارع الضيف مارشات العزاء . أنظر سيارة (آيودى) زيتـونية اللون موديل جديد عليها رقم لافتة ألمانية . أوقفها سائقها بجانب الشـارع . يصـمـت الصـوت ويناديني رجل كـث الشارب (مسيو ..)

تزعق الدنيا فى ظلمة الليل بأنه إيرانى . أراد (نعم)

- (آه ، أنا فداؤك ! هل سعادة البك إيرانى ؟)

- (أجل يا سيدى . تفضل . السلام عليكم)

- (أخى ، برج إيفل هذا أين مكانه ؟) . على المقـعـد الخلفى جلست امرأة . وثلاثة أطفـال صغـار . والرجل نحيف القـوام يرتدى بذلة رمادية وملامحة شمالية مقبولة وشعره مجمعد فأرد (برج إيڤل من هنا بعيد)

- (علينا أن نجد برج إيڤل ميفل هذا الليلة ، ولم يمكنّا)، كلامه إصرار.

- (ماذا تريدون فى هذا الوقت من الليل من برج إيڤل ؟)

فيقـول (المثل يقـول لو كان لدينا الفرصة يقولون لنا فرصتكم على الله . نريد أن نذهب إلى بيت بنت أختى التى قالت إنه على ناصية شارع يواجه برج إيڤل . لكننا ضللنا الطريق إليه الليلة)

- (إيڤل بعيد عن هنا نسبيا)

- (قالت لنا إن منزلها فى شارع يواجه ميدان برج إيڤل . أتينا اليوم من ألمانيا . لا خلا ولا عدم منك . لكن على ناصية هذا الشارع اصطدمت بنا سيارة بيچو بيضاء أرادت سرقتنا ، فدفعتنا نحو جانب الطريق فطلعتنا على الرصيف المقابل وانخلع شكمان السيارة . من بالله من هو أسوا منا . ألف رحمة على شارع (أسمال بزاز) بطهران . والله أفضل والله ألف رحمة على شارع أسمال بزاز)

- (بهذا الشكمان والضوضاء يمكن أن يعمل لكم البوليس مخالفة دعونى أحكم الشكمان بسلك لكم . عندكم سلك ؟) فيخرج ويصافحنى ويقول :

إن اسمه عباس مير محمدى .

– (أين يكون سلك معنا فى هذا الوقت من الليل .. ليلتنا سوداء . جاءت الحزينة تفرح مالقت لها مطرح– الحزينة هى عباس مير محمدى)

ويبكي واحد من أطفاله في السيارة وتصرخ فيه أمه . وأخلع حزامى وأبدأ فى ربط الشكمان المخلوع من مكانه تحت اكصدام السيارة .

– (معك تليفون بنت أختك ؟ يمكن أن تتصل بها فتأتى وتجدكم)

– (معنا تليفون بنت أختى ، لكن ليس معنا رقمها الكودى)

– (لو أنها فى باريس فلا يلزم الرقم الكودى)

– (والله حتى رقم التليفون ضاع منى . سلمنا جواز سفر المدام لتدبيس صورة إسلامية لها كانت ورقة رقم التليفون بداخله .. ضاعت يا سيدى . والله ما هذا العقاب والمتاعب التى حدثت لنا . فى هامبورج كل الفلوس التى كانت لدينا أنفقت شيئا فشيئا فى تجريش وراحت . قلنا بعد هذا نأتى ونبحث عن بنت أختى هذه)

– (بإمكانى أن أحجز لكم الليلة غرفة في الفندق الصغير الذى أنزل به ، ويمكن أن يستريح الأولاد حتى الغد حين تسنح الفرصة وتجد بنت أختك) .

– (لا ، فديتك بروحى ، لابد من الذهاب إلى بيت بنت أختى والعثور عليها بأى شكل زوجتى مريضة . فصيلة دمها صعبة الحصول .. لا أدرى هل هى O مخفى أو B سالب ... المهم أنها صعبة الحصول. بنت أختى طبيبة يمكنها مساعدتها) .

- (لو كانت دكتورة يمكننى أن أحصل على رقم تليفونها .. ما هو اسمها ؟)

- (عاجز عن شكرك . ولطفك . لن نزعجك . أخى كنا عايشين وكنا مرتاحين كان لنا فى بندر بهلوى شركة ومحل . وكان لنا فى طهران بضع قطع من الأرض . لا أدرى والله كيف حدث ما حدث . ماذا حدث لهؤلاء الناس . على رأى المثـل أول مـا تنشفـهم ينسـل غـزلـهـم . من بقى يا سيدى بإيران فى الحقيقة هم والله أسوأ حظا) .

وأنتهى من ربط ماسورة شكمانه وتبقى ثابتة وأنهض وأعطية العنوان كيف يصل من أى طريق إلى الميدان الذى يؤدى إلى ساحة برج إيفل . لكن كأنه أصلا لا يقرأ كما وضح من طريقة أخذه لقصاصة الورق ووضعها فى جيبه . على أى حال أقول يمكن أن يسأل عن العنوان هناك ، لو اقترب إلى المكان .

- (شكرا ، نفسى فداك)

- (طيب ، فى أمان الله)

يصافحنى ويحتضن كل منا الآخر نفس ماكنا نفعله فى عبدان بعد الحرب . ويجلس وراء عجلة القيادة ويتحرك بضوضاء أقل إلى الاتجاه الذى حددته له أو الاتجاه الذى أبقاه له مصيره ويختفى فى نهاية سان ميشيل الشمالية . أريد أن أنادى عليه من خلفه يا بابا لماذا هربت أنت أيضا لكنى أراه . لا يقل عن غالبية البقية .

ربما هذا السيء الحظ أتى هنا بسبب مرض زوجته التى فصيلة دمها «O مخفى» !!

صباح اليوم التالى ، فى باريس صباح عطلة ميتة ، حتى فندق بالما بدوره كأن ليلة رأس السنة أسكرته حتى لم يستطع أن يفيق من نومه إلا قبيل الظهر . لا يزال الجو باردا والسماء مقبوضة . خارج الفندق تقع عيناى على قاسم يزداني بقامته الطويلة وشعره القصير ولحيته الكثة واقفا يظهر عليه التردد هل يدخل أم لا . ألقى عليه التحية وأصافحه . يبدو أنه أكثر الأولاد الذين يعرفون ثريا وفاء ويقول أنه أتى للاستفسار عن حالة ثريا وهو شاعر بالقلق . أشكره ونخرج سائرين معا حتى ناصية سان ميشيل ، وأبتاع جريدة ، وأضع رسالة فى صندوق بريد بناحية . ثم نتوجه مترجلين إلى المستشفى . فى عينيه فوق القلق نوع من الرجاء والتمنى البرىء لكن ليستا مثل ماسورة شكمان سيارة مير محمدى . يحمل تحت إبطه كتابين ضخمين أولهما كما أتخيل لابد أنه يتصل بدروسه وشغله فى دكتوراه الكيمياء بالجامعة . زاد أكثر اهتمامه هذه الأيام بحالة ثريا ، مع أن هذا الاهتمام فى نظرى ليس بغير قصد . شخصيته بالمقارنة بنوعية الإيرانيين الملتفين حول ليلى آزاده بسيطة وجذابة . واحد من هؤلاء ، ربما يصدقه الإنسان حتى إذا قال أن الأولاد أدوا البارحة فى مسجد باريس دعاء (كميل) ثم وجد نفسه بعد هذا الدعاء حالة من التجرد والشفافية . وبوسط شارع جيلوساك مقهى مفتوح وأمامى حتى دخول المستشفى لا يزال وقت طويل فأقول (ما رأيك فى فنجان من القهوة باللبن يا سيد يزداني ؟)

- (بكل حب .. لكنك ضيفى)

– (الـــدور على وقد تكرمت على فى المرة السابقة . ثم إنى الذى طلبت أولا)

– (ميزانيتك الاقتصادية بسبب نفقات ثريا هانم ....)

– (مرتفعة)

– (فعـــلا ؟)

– (لاتقلق عليها)

– (مائة وخمسون أو ستون ألف فرنك مبلغ لا يستهان به)

– (لا ، لكنه سوف يدبر)

وندخل المقهى ونتنحى جانبا ويضع كتابيه على المنضدة وينفخ فى يديه ويفركهما حتى يدفأ . أطلب القهـوة باللبن الفورية ويسألنى يزدانى (سمعت أنك تريد أن تأتى بفلوس من إيران)

– (أطمنك على أن هذه الفكرة انتهت تماما)

– (إذن فكيف تحب دفع مصاريف المستشفى ؟)

– (بطريقة ما فى النهاية ندفعها فى نفس هذا المكان)

– (يمكننى أن أقوم بالخدمة)

وأنظر إليـه (شكرا يا أخى العـزيز . . هذه المشكلة تخصنى وتخص أختى ثــريا وأنا سوف أحلها بطريقة أو أخرى وأنا واثق أنك بدورك لديك مشاكلك .. كل واحد عنده مايكفيه . وأتمنى ألا تكون تعانى ، على أية حال أنا متشكر)

يصل فنجانا اللبن والقهوة ونبدأ فى ارتشافهما .

– (مدام شارنو كانت تقول إنك بعت خاتمك)

وأضحك (ضاق على أصبعى . بعد إذنك لاتتحدث فى هذا الموضوع)

فيضحك ويقول (ماشى . . ولكن لماذا ! ؟)

– (أنا معجب بك وأحبك . وأنا من أعجب به وأحبه لا أتحدث معه عن الفلوس . ثم أنى قدمت طلبا من طرف كلية ثريا لتسديد تكاليف العلاج عن طريق التأمين)

ويطأطىء برأسه الآن ويشرب فنجانه .

(مدام شارنو كانت تقول كانت هناك أيضا إشكالات وتعقيدات بخصوص تأشيرة إقامة ثريا هانم وكانت مدة تأمينها الجامعى قد انتهت)

– (معقدة شيئا .. لكنا سوف نحلها)

– (إن شاء الله ، بالأمل فى الله)

ولكى أخرج فكره عن موضوع الفلوس أسالة (ماذا تقرأ ؟كتب جامعية؟)

– (لا .. هذا الأول) ويرفع أحد كتابيه الضخمين (بالإنجليزية ، أرسل إلىّ توا من أمريكا Brain : the structure and function بناء المخ ووظيفته . سيادتك تعرف أن علماءهم أخيرا قاموا بخطوات هامة جدا فى هذا المجال)

– (هامة . هل قرأته ؟)

– (لازلت أقرؤه)

– (هل فيه إشارة إلى الكوما ؟)

– (أشير إليها فيه في بضعة مواضع .. ثلاثة أو أربعة ، حينما يدور البحث في جانب الوعي بالمخ)

– (أنا نفسي أخذت كتابا صغيرا من أحد الأطباء بعد حادثة سكتتي المخية كنت أقرؤه حين بدأت الحرب . وذلك الكتاب الآخر ما موضوعه ؟)

ويرفع يزداني الكتاب الثاني (هذا بالفرنسية Psychologie mystique كان عند أحد الأولاد فذهبت صباح اليوم واستردته منه)

– (ما موضوعه علم النفس العرفاني ، أم ماذا ؟)

– (يدور حول أشياء كثيرة منها علم المعنى ونفس الإنسان .. ويليام جيمس وحده بحثها في كتابه (التجارب العرفانية) .. لكنها في الشرق لدينا علماء كثيرون لهذا العلم . مولانا الرومي والعطار وحافظ وغيرهم كثير .. لكن برؤية الأستاذ مطهري فأول مؤسس لمدرسة العرفان في الإسلام هو محيي الدين بن عربي أعجوبة عمره لأن محيي الدين كان له يد طولى في العرفان والرياضيات والحكمة جميعا ، وكان من أهل الرياضة والمجاهدة كذلك)

– (صحيح . ليس به شيء عن المخ ..)

يضحك (لا .. علم معرفة المخ من ناحية بنائه ووظائفه يدخل في دائرة النشاط العلمي والتكنولوجي العصري .. لكن الإنسان المفكر اليوم

يصل بين الحين والآخر إلى نقطة ويشعر أن هناك علاقة بين وجود مخ الإنسان ووجود كافة عالم الملكوت واللاهوت .. فى القرن الثامن عشر كان حضرات العلماء يقارنون نظام المخ بعلبة الساعة المسننة وتروسها . بعدهم فى القرن التاسع عشر شبهوه بعمل أسلاك الكهرباء . اليوم فى القرن العشرين يعدونه شبيها بكمبيوتر فى منتهى العظمة والتعقيد يعمل بطريقة إلكترونية وكيميائية . فى القرن الحادى والعشرين يعلم الله بم سوف يشبهونه ؟ لكن السؤال هنا : هل يصل الإنسان فى النهاية إلى نقطة لا يرى فيها غير الله ؟)

– (أعد الشرح يا سيد يزدانى ..)

– (لابد أنك مهتم طبعا بهذه الموضوعات)

– (أنت دائما تثير عجبى)

– (عجبك الحسن أم السيء ؟)

(الحسن .. هل قمت بدراسة هذه الموضوعات عن المخ وعلم النفس وغيرهما من أجل ثريا ؟)

فيقول مبتسما (ثريا هانم كانت الدافع إليهما)

– (وما هو إحساسك بخصوص ثريا ؟)

ويحمر فجأة لونه كالفراولة ، ويحمل فنجانه إلى شفتيه . ويشرب قليلا ويتنفس نفسا آخر . وأخرج علبة سجائرى من جيبى وأخرج منها واحدة لى وأقدم له أخرى .

وينتهز هذه الفرصـة لكيلا يرد على السـؤال . فقط فى النهاية يقول (قضية ثريا هانم يمكن أن تكون إشارة وعطفا إلى أشياء كثيرة رمزية لنا جميعا)

– (أوه .. أى إشارة وعطف ؟)

– (تعلم أن مركز الفكر والوعى فى المخ . وهذا الفكر والوعى بالمعنى دائما يزيدان ويقلان فى قالب المخ أو تتغير أبعادهما . قال سانتياجو رامون كافال عالم المخ والفيلسوف الأوربى مادام مخ الإنسان شيئا مجهولا لدينا فإن كل شىء يمكن أن يعرفه المخ عن المعنى والمفهوم الكلى للحياة سوف يظل مجهولا أيضا . لكن معرفة وظيفة المخ وأبعاد قدرته إذا لم تكن غير ممكنة عن طريق علم التشريح فهى ليست سهلة الوصول . لأن عظمة المخ لا تنحصر فقط فى معرفة تكوينه البيولوجى وعظمة قدرته فى الأعمال المختلفة . مثال ذلك أنه لا يمكن بدقة معرفة عمارة كنيسة سيستين فى «فلورانس !» – التى رسم على سقفها مايكل أنجلو تاريخ الخلق – بتجزىء الطوب وإحصائه ومعرفة الجص والجير . ما استطاعوا أن يفهموه حتى الآن هو أنهم أدركوا أنه يوجد نوع من المقاطع العصبية أو لسان يترجم المفاهيم الخارجية ويتحكم المخ بداخله فى هذه المفاهيم مستفيدا بأشعة تصدر كل جزء من المليار وبذرات تزن الواحدة جراماً من المليار من المواد الكيمائية ، هذا المقطع لا يزال مجهولاً ، لكن ما يؤدى هذه الوظيفة فهى خلايا المخ المسماة بالنورون وعددها ما بين عشرة إلى مائة مليار كما عرفوا أخيرا . لكن كل واحدة من هذه النورونات تتصل عن طريق معابر اتصال بعدد

كبير آخر من النورونات فى الأقسام المختلفة بحيث أن عدد تركيب هذه الخلايا المتصلة يصل كارد يليون يعنى واحد وأمامه خمسة عشر صفرا فى رواية وأربعة وعشرون صفرا فى رواية أخرى .. والآن - إذا تكرمت - هذه النورونات بقول البروفسير ويليام شوماكر كل واحدة منها بنفسها كمبيوتر فى غاية التعقيد وكامل . بعبارة أخرى لو تفضلت بالانتباه فإن مخا متوسط الحجم يحتوى على كارد يليون كمبيوتر معقد وكامل فى المتوسط)

وأصدر صفيرا .

- (من ناحية أخرى ، يجب أن نأخذ فى الحسبان أنه حتى أفضل الكمبيوترات وأكملها التى يمكنها تزويدنا بالمعلومات والقيام بالعمليات الحسابية وتخزين معلومات كثيرة مختلفة فى مكان واحد عن الواقعة وإصدار القرارات تعجز عن أن يكون لها عاطفة مثل مخ الإنسان أو منطق أو تثار من الناحية النفسية ويكون لها أحاسيس والقوة والدافع الخلاقان وأشياء كثيرة كثيرة أخرى .. لكن أفضل من كل شىء وأعلى أنها لا يمكن أن يكون لديها الإيمان .. بينما المخ فضلا عن احتوائه على عـــدد فلكى من الكمبيوترات يمتـلك كـل هـذه الأشـياء التى ذكرتها)

وأصدر صفيراً آخر .

- (ثم نصل الآن مـوضـعين أصليين : الأول مـوضـوع الوعى .. موضوع أن المخ يمكنه الاطلاع بهذه الأبعاد العظيمة لكنها متناهية على أشياء أكبر عظيمة ولا تتناهى . وحدود المعرفة بهذه الأشياء الأعظم التى يمكن أن يصل إليـهـا عن طريق هذا المخ .. بعـبـارة أخـرى لدينا كل

الإجابات في هذا المخ) ويشير بإصبعـــه إلى نهاية حاجبه (فقـط يجب – أن نحـصل – منه – علىجزء من المليـار وبذرات تزن الواحـدة جـراما المعـــرفة!) ويطـــول سـكوته هـذه المـرة ليسـمح لى أن يستقـر الموضوع في ذهنى ...وأشـــد نفـسا عميقـــا من سيجارتى ، ثم أسالة (طيب وما هو الموضوع الثانى ؟) .

– (الموضـوع الأصلى الثـانى هو لماذا وعى المخ هذا يتوقف فجأة ، كـما حدث لثريا هانم .. بالتأكيد الإجابة السهلة والبيولوچية هى أن مانعا فيزيقيا أخل بالنظام فى داخل عامة المخ أو أن شريان المخ الذى يأتى بالدم إليه تمزق فى موضع ما أو تهتك جزء من نسيج المخ فى ناحية منه .. كأن أورطى القلب مثلا انسد وتسبب فى وقف جريان الدم)

– (ألم يحدث مثل هذا ؟)

– (أقول إن الإجابة المبسطة والبيولوچية يمكن أن تكون بهذا النحو) .

– (كان مارتن يقول أنهم على ثقة تقريبا من أن نقطة صغيرة لكنها مهمة من مخ ثريا – أظنه قال Neucleus basalis تهتكت)

– (نعم ، لكن يمكن أن تكون الإجابة هى أن المخ بإرادة الله قطع صلته بالخارج عن طريق المدير العام لهذا الجهاز)

– (دعنى أفهم – يعنى .. صدر أمر إلى مخ ثريا أن تسقط من على الدراجة ، أو أن بعد سقوطها من على الدراجة صدر أمر بأن تقطع صلة وعيها بالدنيا ، وثريا الآن فى حالة تنفيذ هذه الإرادة ؟)

- (شيء بالضبط من هذا القبيل)

وابتسم وانظر في ساعتي ، حدود العاشرة فأقول (يا سيد يزداني العزيز يلزمني بدلا من كارديليون وصلة نوررونية مائة ألف كارديليون حتى أجتذب إلى فهمي هذه العمليات السماوية - الأرضية .. هل تحب فنجانا آخر من القهوة ؟)

- (لا ، شكرا .. لكن حين ذلك ندخل في أبحاث اليوم وندخل في علم النفس العرفاني وندخل موضوع الأسرار والرموز الإلهية المطروحة بين الخالق والمخلوقات التي يسلتزم استنباطها أشياء كثيرة)

- (أجل .. الإيمان)

- (وحين يتسلح المخ بقوة الإيمان يعلم الله كم من القوة سوف يحصل عليها) . لم يزل ممسكا عن إجابة سؤالي ، فأقول (على كل حال إذا شاءت إرادة الله أن تشفى ثريا ونرجع جميعا سويا إلى طهران ، فأنا على ثقة من أن أختي سوف تسعد بتصرفك الشهم الذي يفوق المعتاد حين ترى شابا مثلك لم يبخل عن أي معونة لثريا هنا وقدم لها الزهور في كل يوم طوال فترة إغمائها)

فيقول (عملي الذي لا يذكر كان طمعا في رضا الله . قلت موضوع تسديد نفقات المستشفى عن طريق الجامعة إلام وصل ؟)

- (كتبنا التماسا ووافق رؤساء الجامعة . وأرسلوه الآن إلى إدارة الجوازات وما يتبعها)

- (هذه التي بآخر سان جرمان بالقرب من ميدان موبريه ؟)

– (لا ، ولكن تلك التى على الجهة الأخرى من سان جرمان بداخل ايل دولا سيتيه)

– (وافقت عليه إدارة البوليس ؟)

– (كما يقال فى طريقها إلى الموافقة . لكن مشكلة لا تزال موجودة.

يعنى أنهم يستطيعون أن يصنعوا المشاكل)

– (أى مشكلة ؟)

– (كانت دراسة ثريا انتهت من ثلاثة شهور ، ولما بدأت الحرب وأقفلت المطارات وكانت موجودة هنا وتأشيرة إقامتها انتهت ، ولم تكلف نفسها أن تذهب لتمدها)

– (فى مثل هذه الحالات يصعبون الأمور على الإيرانيين)

– (لكنى أخذت بينى وبين نفسى عهدا ألا يرسل لى فلوس من إيران .. يوجد قدر من ذهب ثريا نفسها .. بقى بعد زواجها ، يمكننى أن أبيعه هنا وأدفع تكاليف المستشفى)

ويقول قاسم يزدانى (بإمكانى بكلمة للأولاد أن أجمع لك القدر المطلوب)

فأشكره كثيرا (يا أخى أغلب الأولاد هنا فى حالة يرثى لها)

– (هؤلاء أنفسهم يؤثرون على أنفسهم)

– (أوه ، أنا واثق .. وأشكرك يا سيد يزدانى)

– (تحت أمرك يا أخى)

وفى المستشفى لا تزال ثريا فى قسم الرعاية المركزة . ولا يسمحون لى ولقاسم يزدانى بالدخول ولا أجد من أعرفه من بين الموظفين لأسأله هل أجروا لثريا كشف الإلكتروترابى على القلب . قالوا لم يأت الدكتور مارتن صباح اليوم لكن الدكتور مونيه رأى ثريا فى الثامنة . فأسألهم عن موعد عودة الدكتور مونيه المفروض أن يعود الثانية عشرة والنصف . ونخرج من المستشفى على أساس أن نعود إلى المستشفى حدود الثانية عشرة ويودع كل منا الآخر أمام بوابة المستشفى . فيقول قاسم يزدانى .

– هل تعلم ..... قال مرة آية الله الطالقانى إنه إذا توفر الإيمان أصبح كل شىء ممكناً كل شىء) .

– (الإيمان هو الشىء الذى أراه نادرا هنا)

– (كن مؤمنا تنصلح الأحوال)

– (أنا واثق أنك تقول هذا الكلام أيضا بدافع الإيمان)

– (حسنا ، رعاك الله)

– (بسلامة الله ، ياسيد يزدانى)

– (حضرتك سوف تشرف هنا فى العصر ؟)

– (لابد أن أكون هنا)

– (فى أمان الله) .

بمواجهة البوابة الحديدية للضلع الشرقى من المستشفى أرى سيارة فورد ألمانية حمراء تتوقف وواحدا يشير إلى بهزه يده من داخلها . لا أتبين وجهه الأبيض من خلف نظارته الغمقاء المستديرة وتحت قبعة من جلد الحملان سوداء تدلت على جانب منه . يرتدى أيضا معطفا جلديا أسود . أتقدم نحوه فإذا هى ليلى .

– (السيدة آزاده !)

تقول (أصرخ وأقول لك صباح الخير !)

– (ماذا حدث ؟)

– (Selles !!) – شئ يجنن)

– (أين أنت فى هذا المكان ؟ !)

– (رأسى .. تنفلق) نظارتها الغامقة الواسعة الاستدارة عجيبة . لها عدستان كبيرتان جدا غامقتا اللون ، لكن بوسطها عدستين بدون لون مربعتين بحيث تبدو من الظاهر نظارتين مزدوجتين إحداها فوق الأخرى . كأنها مثل الكائنات العلمية الخيالية الفضائية التى هبطت من المجرات والأكوان والعوالم الأخرى وأتت من أزمان سحيقة جدا .

أسالها (ألم تنامى الليلة الماضية حتى الآن ؟)

– (من أين عرفت ؟ عرفت من عينى ؟)

– (ولا يزال تحت معطفك ذلك القميص الأصفر المزهر الذى ارتديته البارحة ؟)

وتفتح باب السيارة المواجهة لى وتأمرنى Venez ici تعـال هنا !!) وأدخل السيارة وأجلس بجوارها . لهجتها ثائرة كذلك

- (أخفتينى . !)

- (كيف حال ثريا ؟)

- (لاتزال فى قسم الرعاية المركزة)

- (من كان ذلك الذى يتحدث معك ؟ ذلك الملتحى المرتدى معطفا شبه عسكرى ؟)

- (ولد طيب . من أصدقاء ثريا . كنا نتحدث حول علم النفس العرفانى)

- (ماذا يا جلال ؟)

- (أنت نفسك سألت من الذى كان يتحدث معك ؟)

- (أين تذهب ؟)

- (ليس إلى مكان محدد) ثم أقول (يجب أن أعود الثانية عشرة) ثم تقول (رأسى !) فى تلك اللحظة تخيفنى فعلا . يأتى إلى فكرى لعلها شربت شيئا أو فعلت فعلا ولا يزال أثره حتى الآن .

أقول لها (تقدمى أبعد للأمام إلى ناصية شارع (أولم) إذا أحببت وتوقفى فى أى مكان . وننزل ونشرب قهوة)

- (لا .. أستطيع !)

- (لماذا يا ليلى ؟)

– (أريد أن أموت)

– (ليلى آزاده هانم !)

– (أقفل باب السيارة)

وأقفل الباب وتدير المفتاح بدون أن تكون رجلها على الدبرياج . الموتور (معشق) داخل ترس السرعة فتقوم السيارة بدفعة سيئة وتسكتها . ويسقط المفتاح فى دواسة السيارة (آه ، فى داهية !) وترتعش يداها . أنحنى والتقط مجموعة المفاتيح وأعطيها لها . وحين يواجه وجهى وجهها يصدر منها أشعاعات التوباكو والكحولات الأثيرية الشديدة . فارقتها حالة السعادة والضحك والثرثرة أو الجنون تقريبا التى كانت بالبارحة . حل محلها اليوم حالة المرارة والذهول والانكسار . ربما هذا أكثر خطرا أيضا .

واسألها لمجرد الحديث (هل ذهبت إلى الفندق ؟)

– (اتصلت بالتليفون قالوا إنك خرجت فجئت هنا)

– (أين تحبين التوجه ؟)

– (أريد الذهاب إلى شقة برى)

– (ماشى)

– (Feu .. !)

– (خير ، ماذا حدث)

« ... ! Selles » هذا السباب كان ضمن معجم ألفاظ مداموازيل آدل فرانسوا . تضع عصا تروس السيارة فى وضع الأمان . ثم تدير المفتاح ثانية .

هذه المرة يدور الموتور . تديره مـرة أخـرى . لايدور . تمر من جـانبنا عـربة البوليس السيتروين المختلط لونها بياضا وزرقة .

تقول (جلال هل يمكنك أن تسوق هذه السيارة الطيارة ؟ !)

(نعم)

وأقـوم وأفتح البـاب ناحيـة عـجلة القـيـادة ، وتنزلق ليلى وهى بداخل السـيـارة من أمـام المقـعـد خلف عـجلة القـيـادة . وأجلس وأدير السـيـارة بالاستعانة بالبوجيهات . ترس السرعة ثابت . أترك الموتور يعمل بدون أن نتحرك ويلين واسحب المكبح اليدوى . أحمل فى جيبى رخصة قيادة دولية انقـضت مـدتهـا ، لا أهتـم بهـا اليـوم . أقـول لكن اطمـئنهـا (لـدى رخصـة دوليـة ، صـادرة من قـبل الميلاد)

– (لا يهمنى !)

– (إلى أين نذهب ؟)

– (باسى – رقم ٣٧)

– (على الشط الآخر للنهر ، أليس كذلك ؟)

– (امش فى شارع راسباى ، واتجه مباشرة للأمام ومر فوق كوبرى الكنكورد وسأقول لك بعد هذا أين تلف)

– (مبارك . إذن أنا مساعد طيار مرشد . وأنا أيضا تشارلز ليندبرج)

– (ماشى)

عقرب بنزينهـا على الصـفر . والمـوتـور يشحط أيضا وغير منتظم . أوقف الموتور وأخرج أرفع كبود السيارة وأفحص زيت الموتور وماء الرادياتير .

وأرى أيضا الشمع والدينامو والمارشادين . الزيت فيها قليل ، ويتسرب الزيت من أعلى السلندرات . الرادياتير ليس فيه ماء . الشموع متسخة . لابد من تنظيف كل من الدينامو والمارشادين . سير المروحة مفكوك أيضا . البطارية كذلك السائل الحمضى فيها منخفض ، وتجمعت الأملاح فوق كلبساتها الموجبة والسلبية .

أترك الكبود وأعود إلى داخل السيارة وأديرها .

وتسألنى ليلى (كيف حالها)

- (ممتازة !)

- (فاضحة !)

- (كيف أتيت بها ياصبية ؟ !)

- (حالتها كثيرة السوء !)

- (تحتاجين بنزينا وماء وزيتا على جناح السرعة . فقط شمعها لاينير، مولدها لا يولد ، راديانيرها لا يعمل ، كاربيراتيرها عطلان . بطاريتها أيضا منخفضة لا توصل كهرباء . حالتها ممتازة باستثناء هذا)

- (تحب أن نتركها هنا ونواصل بالتاكسى . وغداً أرسل لها ميكانيكيا ؟)

- (س س س ، لا تتعجلى ، ندفعها إلى أول محطة بنزين) .

وأدفع أمامى السيارة بأى شكل . الشارع خال وأزجها بسهولة من مونبارناس حتى بداية شارع راسباى .

- (لعلكم بليلة الأمس زودتم من الحب والرقص ؟)

- (كانت ليلة قاسية !)

- (حكمت ذهب إلى شقتكم ؟)

- (نعم ، هناك)

- (ظللتم هناك إلى متى ؟)

- (بكر جان إدمون بالانصراف ، الباقى ظلوا حتى الثالثة ، الثالثة والنصف) ونسكت برهة ، ثم تقول (هل تعلم أننى موجودة هنا من سنوات كثيرة ولم أكن أعلم أن الناس فى منازلهم تيلفونات سويتشية)

- (تليفون سويتشى ، ما هذه التقليعة هى الأخرى ؟)

- (دارت من الساعة الرابعة صباحا حتى الآن مناقشة لى مع نظام التليفون الفرنسى هى : صباح الخير يا مدام ! صباح الخير يا مدام ، يوم سعيد يا مدام . صباح الخير يا مدام . يعنى لم أكن أعلم أنهم يمكنهم تحويل السويتش فلا يدق جرس التليفون)

- (وكيف وصلت إلى هذا الاكتشاف العظيم ؟)

- (ضربت الجرس ، وضربت الجرس ثانية .. وبعد أن ضربته ألف مرة استفسرت من السنترال فقالوا أن التليفون شغال لكنهم حولوا السويتش)

- (آها . هنا محطة Esso ststion service .. وخالية أيضا)

وندخل ، وتقول ليلى (دعنى أذهب)

- (إجلسى مستريحة ، قولى فقط ما هو مفتاح تنك البنزين)

- (على شرط أن تدفع له النفقات من حقيبتى ، فاهم ؟)

– (ماشى) وتريني مجموعة المفاتيح . (ما هو مفتاح الخزان ؟)

– (هو ذلك)

في (محطة الخدمة) ليس أحد سوانا . بها نحو اثنتى عشرة مضخة وجاراج صغير لتغيير الزيت وضخ الهواء . يقدم المساعدة شاب يرتدى زيا أبيض اللون واحدا ونملأ أولا خزان الوقود . ثم نزود السيارة بالماء والزيت وزيت المكبح والدبرياج وسائل البطارية والضرورات الأخرى . تكاليف كل هذا ثلاثمائة وعشرون فرنكا .

أدفع اليه من حقيبة ليلى وكان بها ما يقرب من سبعة عشر أو ثمانية عشر ألف فرنكا نقدا وثلاثة أو أربعة كروت رصيد مالى .

وحين أعود لدخول السيارة كان النوم غلب ليلى . وأدير السيارة وأقودها . وتتعلق وهى بين النوم واليقظة بذراع معطفى الواقى من المطر وتتنفس بارتياح (كم يكون كل شيء سهلا معك !)

– (أنا سهل . نسير حتى آخر راسباى ؟)

– (نعم . لم تكن بعض أوقاتى سهلة)

– (أنا نفسى سهل)

وتتنفس نفسا طويلا آخر وتنطوى على نفسها . سكنت أكثر حالتها العصبية ، خفت رنة صوتها . يفضى شارع راسباى إلى شارع سان جرمان، ونتقدم صامتين برهة . لايبعد الكوبرى كثيرا .

تسألنى (لماذا لا تحب أن تبقى هنا وتجعل منى امرأة طيبة كما يقال!)

وأدير رأسي وأنظر مطرقا إلى وجهها .

- (ها ، لماذا ؟)

أقول (ممكن)

- (ولم لا ؟)

- (ليلى أنت تعرفين عواطفى بالنسبة لك)

- (ألا تريد ؟)

- (تناقشنا فى هذا الموضوع قبل الآن بسنوات . إعتقدت أنك أنت لم تريدى)

- (كانت هذه السنوات من زمان)

- (لم يتغير شيء قط)

- (قل لماذا لا تريد ؟)

- (أنا لم أقل لا أريد)

- (قلت ممكن)

- (ألا تريدين أن يصنع حكمت منك إمرأة صالحة الآن ؟)

- (إنه فقط فتننى بهالة اسمه وشهرته)

- (طيب أى شيء فِيَّ فتنك ؟)

- (أنت شيء مختلف)

- (أنت فعلا تحتاج إلى إمرأة وزوجة)

- (مثلك ؟)

- (مثل كل إمرأة وزوجة)

- (أنا أولا احتاج إلى زوجة وثانيا أنا إنسان تعود على المضادات الحيوية في مرضه) تضحك (لست بهذه الدرجة من السوء)

- (لا ...بل أسوأ)

ترسل الشمس أشعتها من بين السحب المرتفعة فوق النهر ، لكن الهواء بارد ، تهز الريح أغصان الأشجار الجافة والعارية – ليلى آزاده الآن أكثر راحة ، لكنها لا تزال تبدو للنظر مريضة نوعا ما وبعيدة عن الواقع .

تقول (كلامك صحيح ، لو كنت تزوجتنى ما أحببتك اليوم بهذا الشكل)

حين تتفوه بهذه الألفاظ كأنها تقول لو كنت اشتريت هذا الحذاء العنابي لناسب حقيبتي القرطمية اللون أو لقلّ وزنه كيلو جرامين .

- (هل هذا كوبرى كنكورد ؟)

- (نعم ، لكن لف ، لف يسارا)

- (قلت أصعد الكوبرى)

- (لا ، لا تصعده ، تغيرت الخطة ، در يسارا هنا وسر بموازاة النهر، صوب شارع نيوريوك ، فجزء منه له اتجاه واحد ، وأعبر من فوق الكوبرى الثالث ، كوبرى ألما)

- (الكوبرى الثالث ، واثقة ؟)

- (نعم ، حينما تعبره ، لف يمينا مباشرة ، لا ، لف شمالا)

- (لف شمالا مرة أخرى ؟)

- (نعم ، شارع نيويورك ، ثم يليه شارع الرئيس كنيدى)

- (نيويورك ثم يليه شارع كنيدى)

- (بعده ، أول شارع على يدك الشمال)

- (أول شارع على يدك الشمال)

- (ل ... لا تضايقنى)

- (ما شى)

- (هل ترى هذه العمارة العالية ؟ مبنى الإذاعة الفرنسية ، جان إدمون منزله فى تلك الناحية الأبعد فى شارع فيكتور هوجو)

- (وهذا أيضا ، ما شى) جان إدمون الملعون .

وفى أحد المواضع شارعه باتجاه واحد وسرت فورا بموازاته حين تقول ليلى بعد ذلك فى أحد الأماكن (هنا)

عمارة متعددة الطوابق على شكل الأسطوانة ، طويلة ، فى منتهى العصرية ، في الظاهر كأنها أبراج القرن الثانى عشر العالية ، لكن بخرسانة مدعمة بالحنيات الهلالية وبأبواب ونوافذ استيل وبروفيل ، لا يمكن أن يصدق بها عقل ، لكن بما أنها فى باريس ، فلا شيء لا يمكن تصديقه .

لا تزال ليلى آزاده فى حالتها المكتئبة .

- (هنا منزل برى ؟)

- (الدور الثالث)

- (تنتظر سيارتك فى هذا المكان ؟)

- (نعم ، فى أى مكان) ثم تقول (أدخل) لم تعد ليلى الآمرة الناهية مرة ثانية ، مسكينة فى الأغلب .

- (أدخل؟)

- (نعم ، وأشكرك على أنك وصلت بنتا مجنونة مضطربة إلى منزلها)

- (أنا سعيد بمجيئك إلى المستشفى)

- (لا بد أن تدخل وتشرب فنجان قهوة ، لابد)

الساعة الحادية عشرة والنصف حسب ساعة تابلوه السيارة (ماشى)

- (تعال يارَجُلَ «ماشى »)

- (تقدمى أنت)

- (يمكن أن تعود بعد ذلك بالسيارة إلى المستشفى على أن تأتى إلىّ فى العصر) .

- (أريد أن أراك حتى أشبع منك ، أنا بخير فى كل شىء)

- (ألا يجب أن تذهبى لتطلى على حكمت ؟)

- (لى هناك خادمة كما أن حكمت والدكتور كوهسار اتفقا على الذهاب معا إلى فونتان بلو)

وتفتح بأى شكل باب الدخول بمفتاحها ونصعد بالمصعد إلى الدور الثالث .

تفتح باب الشقة وهى شىء عظيم وفى الواقع ممتارة بديكور سوبر مدرن

– (أين برى ؟)

– (أوه ، ذهبت اليوم صباحا الساعة الثالثة مع دار يوش فرهاد إلى الريفييرا)

– (الريفييرا !)

– (نعم ، قليلة الأصل) – (يا قليلة الأصل)

– (من تقصدين ؟ برى ؟)

– (لا !)

– (أنا سأضع القهوة ، أو ربّما تريد شيئا آخر ؟)

– (نفس هذه القهوة مناسبة)

– (لابد أن آخذ حماما ، لكنى لست قادرة على ذلك –ليس لى مقدرة على فعل شيء)

– (ألا تناسبك القهوة ؟)

– (القهوة ، طبعا) ثم تسألنى

(ماقهوتك ؟)

– (سادة !)

وتضحك لأول مرة (أنت من أول يوم فى السنة على نفس الرتم ؟)

– (أنا مقطوع)

وكأنها شبح تنزلق نحو المطبخ ، واخلع معطف المطر وألقى به فوق

أحد المقـــاعد أمام البوفية والبار الذى يضم على الأقل ألف زجاجة متنوعة الألوان ، مع مجموعات من الكؤوس والأكـواب والجامات ، أجلس بجوار التليفون ، التليفون له بدورة لون برتقالى معتدل يتناسب وخلطة ألوان نوعية الديكور ، عليه أرقام الديجيتال Digital ولابد من لمس زرار كل عدد فقط حتى يصفر ، وعلى أول صفحة لمجموعة أوراق المذكرة الموضوعة بجوار التليفون كتب (جان إدمون – باريس ٧٦٥٤ – ١٢٣ ، رقم ١٩٤ شارع فيكتور هوجو – بعد شارع لون شان شقة G – ٩ ، واتصل فى البداية بآل شارنو وأتحدث معهم قليلا ونتكلم عن حالة ثريا وأهنؤهم أثناء ذلك بالسنة الجديدة ، أريد أن أعرف هل ينتويان الذهاب إلى المستشفى اليوم بعد الظهر أم لا ، يقولان أنهما يريدان الذهاب الساعة الثانية ، فأقول لهما أننى بدورى سوف أكون هناك ، وأحب أن اتصل بالمستشفى أيضا حين تدخل ليلى بصينية القهوة وصنف من الكيك وزجاجة برنو خضراء .

حين أعود إلى المستشفى نحو الواحدة والنصف ، كان آل شارنو لم يأتوا لكن قاسم يزادنى ومعه بضعة من أصدقاء ثريا من الأولاد والبنات هناك يداومون على زيارتها وإن كان قاسم أصدقهم قدما ، البنات يتشحن بالنقاب وولد على الأقل فى نظافة يزدانى لكنه يكاد يرتدى ثيابا مهلهلة .

ويصل فى الثانية شارنو وزوجته ، وأتحدث وهما مع الدكتور مونيه ، موضوع الكترو ترابى القلب نتناقش فيه أطول من غيره ، لكنه لا يلزم حتى الآن مع أن رسم القلب وضغط الدم والتنفس عند ثريا يشير إلى معدلات أكثر انخفاضا ، يقول مونيه : اكتشف تحريك أو صدمة الالكتروسبيستوليك فى أمريكا فى السنوات الأخيرة ويجرى على المرضى من أمثال ثريا ، مونيه

من ضمن عددمن الأطباء الذين يرون أن هذا الأسلوب من العلاج له دور مساعد ، وبذهاب الدكتور مارتن وتولى الدكتور مونيه يشهد فيما يبدو نظام القسم تغييرات ، فبينما كان مارتين يقول لا بد من الانتظار ويمكث لاستيفاء كافة الجوانب ، يقول مونيه : لا ، لابد من اتخاذ الخطوات ، يعتقد مونيه ببطلان الاحتفاظ بالمريض عاطلا باطلا على سريره بالقسم . يريد أن تتحقق خطوات إيجابية ، فيليب شارنو والدكتور مونيه يفهم أحدهما الآخر جيدا كما هو واضح ، ويتفق كل مع الآخر ، لأنه ولابد ، من بين سائر العوامل ، أن رسخت فيهما ، بعد أن سافرا نحو عامين إلى أمريكا ، نوعية فكرة (نحن الأفضل) ولابد من التقدم ومواجهة الأمور وحسمها .

وأتسكع مع البقية فى المستشفى حتى الساعة الخامسة تقريبا وبعد هذا أغادر المستشفى بما أنه ليس من عمل أقوم به كما أن البقية رحلت ، كما أن قلق بشأن ليلى آزاده ، وأتيت بسيادتها معى .

الجو فى طريقه إلى الظلمة حين أعود بسيارة ليلى إلى باسى ، وأعثر بسهولة على مبنى الشقق الآنفه الذكر . لا تجيب ليلى على جرس الـ (إف إف) ، فأبحث عن المفتاح من بين مجموعة مفاتيح السيارات أدخل ، لا تظهر ليلى فى أى ناحية من الشقة . الوقت هو الغروب الضيق ، الشقة غاصت فى ظلام ، كل مكان فيها ساكن ، بينما أنادى عليها الباب مغلق من الداخل ، أصيح (ليلى !) لا يأتى جواب ، إلا أن صوت شخير أو تنفس مصحوب بشخير يسمع . أنادى بأعلى صوتى (ليلى ، هل أنت هنا ؟) فأسمع صوتا كأن إنسانا ينزلق فجأة وسط ماء البانيو .

- ٢٦ -

- (ليلى !)

لا يزال لا يأتى جواب . أنقر بظهر أصبعى الباب بشدة

- (ليلى ! هل أنت بالداخل ، أجيبى ، أستحلفك بالله)

أسمع صوت (م م م م ....) ثم صوت ليلى يقول (نعم ، أنا هنا)

- (نعم ، غلبنى النوم)

(غلبك النوم)

- (ليلى ، إنهضى وارتدى ملابسك وافتحى الباب ، وأخرجى لأراك)

- (ليس من شئ .. لا تقلق)

و أهمهم بكلمات سباب ، وأرمي بالمفاتيح فوق السفرة ، وعلى وشك الخروج قلت (تركت المفاتيح فوق السفرة)

– (انتظر ، انتظر)

– (أنا هنا لم أمش)

– (هنا ظلام ، كأنها جهنم)

– (أضيئى المصباح ، ثم افتحى الباب)

وتنقضى مدة طويلة ، طويلة جدا حتى تفتح ليلى الباب وتخرج من الحمام . عقدت رأسها بفوطة . فوق (الروب دى شامبر) لفت كتفيها بفوطة كبيرة . ارتدت أيضاً سروالا طويلا . تستند على ستارة النافذة ، وجهها أكثر شحوبا ودخلت عيناها فى محجريهما أكثر للداخل ، كانت مفزعة ومضروبة . لا أدرى هل هذا من فرط السكر أم من فرط المواد المخدرة أم من كليهما .

تقول (إذا لم تكن أتيت كنت أنا رحلت)

– (بجد ؟)

– (والقرآن .. جنون ، أليس كذلك ؟) كأنها بكت أيضا . هذه إحدى حالات ليلى التى لم أستطع فهمها مطلقا .

(ماذا حدث ؟)

(لا شئ ، ذهبت لآخذ حماما – تمددت فى الماء الساخن ثم رحت فى النوم) أتنفس أنفاس الراحة على كل حال وأهز رأسى .

- (أنت بخير الآن ؟)

- (نعم .. كم أنا مغفلة ! كنت أريد عند عودتك أن أكون نضرة بضة لكن انظر بأى منظر قذر ظهرت أمامك وأنت لا بد أن تأتى وتجدنى وسط ماء البانيو فى حالة شخير وموت ترانى فى حالة طيبة - من كل ناحية)

- (ماتزالين نائمة)

- (كيف حال مريضتك ؟ .. ثريا !)

- (أكثر ضعفا ، اليوم نقلوها إلى قسم القلب لإجراء صدمة الكتروسيستوليك . هذا كل شئ)

- (حسرة على البنت . كم مضى عليها وهى فى غيبوبة ؟)

- (الآن أربعة شهور)

وتزفر ليلى زفرة حرى يكاد صدرها ينشق بصعداتها (وأنا مضى على أربع سنوات لم أخط بالقلم كلمة !)

- (يمكنك أن تبدعى عظيم الأعمال فى أى لحظة تريدين)

- (لا تكثر من محاولتك إرجاعى إلى داخل السراب ، ياحبيبى . ألم تر كيف كانت حالتى اليوم ؟)

- (طيب وماذا حدث ؟)

- (أفزعتك كثيراً ؟)

- (ليس كثيرا)

– (لم تكن هذه محاولة للانتحار والله ، أنا لا أحب هذا الفعل ، مع أني لا أفضل كثيرا تصرفاتي أيضا . لكنى أكره كثيرا الانتحار . إذا توجب أن أموت فليكن موتي دفعة واحدة . لكن ليس ببطء ، وأنا نفسى لا أموت حين أنتظر الموت أنا كثيرة التحمل)

– (تعالى واجلسى ياليلى . إشعلى سيجارة وكونى منطقية فى هذه الدنيا من أجل ربك ومن أجل أجدادك ! ماذا ينقصك ؟ وماذا جرى ؟ أنت نفسك أكثر الناس فى عهدك سعادة . كل شئ فى راحتك . كلهم يحبونك)

– (كفاك إيذائى)

– (فكرى)

تأتى وتجلس على كرسى ، وتبقى إحدى قدميها معلقة بوهن . تأخذ منى السيجارة التى قدمتها لها من علبة السجائر ، وتجلس بنفسها فى مواجهتى .

تقول (هل أنا من كثرة السعادة حتى أنى أذوى وأتعفن . من يحبنى ؟)

– (نادر بارسى !)

– (آه ، حمله المغسّل – أهناك أزمة فى الضفادع ، لا تضايقنى)

– (ماذا فعلت مع حكمت ؟)

– (اتصلت به بالتليفون ، قال أنه ذاهب مع كوهسار وزوجته إلى ديجون ومع جان إدمون)

- (مع جان إدمون ؟)

- (مع جان إدمون)

تنطق الجملة الأخيرة كأنهم سرقوا جان إدمون المدلل .

فأقول (حسنا ، سوف يعودون . فى أى داهية ديجون هذا ؟)

- (ديجون أحد تلاميذ طبا طبائى عنده أفيون)

- (متى يعودون ؟)

- (لا أعرف ، لا أعرف ماذا أفعل)

- (لا تخافى عليهم ، إذا لم يأتوا هم أنفسهم ، سوف يأتيك خبرهم)

- (يأتى خبرهم إن شاء الله !)

ويضرب جرس التليفون

وأرفع السماعة وأعطيها لها ، وتسقط من يدها حين تريد وضعها على أذنها فأرفعها ثانية وأعطيها لها ، فترد (هالو .. أو سلام يابرى .. نعم مازلت هنا .. لا . أنا بخير . لا ، ذهب إلى ديجون برفقة الدكتور كوهسار . جئت لآخذ حماما ، ولم أرجع إلى شقتى .. واه ، حالتى طيبة .. خمنى من هنا الآن ؟ .. لا ، ذهب مع حكمت وكوهسار إلى ديجون .. وسوف أقول لك فيما بعد .. أحكى لى لأعرف ماذا فعلت .. لا ! كلهم ..) وتنصت برهة وأرى كأن تعبها وسوف يعاودها . وتنصت برهة أخرى وهى تتحامل على نفسها .ثم تقول (برى أعطنى رقم تليفون فندقك وسوف

أتصل بك لاحقا ..) وتكرر الرقم ، ثم تكرر رقم غرفة فأكتبهما لها تحت رقم تليفون جان إدمون وعنوانه ، وأكتب تحتها كذلك (الشقيقة)

– (ياليلى ، ارتدى ملابسك لنخرج ونتمشى)

– (لا تؤذنى !) وتطفئ سيجارتها التى لم تأخذ منها غير نفس واحد وتلقى بها فى المطفأة ، لا يمكنها الجلوس ، وماذا يحدث لو تمشت بالخارج فأقول لها (الجو بارد منعش والسير أيضا مفيد)

– (هل تعرف ماذا يناسبني الآن ؟)

– (ما يناسبك هو UHU)

– (لا ، ها . عشر أو عشرون سيجارة من السجائر التى أعطاها من قبل نادر بارسى تلك الليلة)

– (التى تحمل إلى عامل الخيال ؟ ..)

– (ليس معك منها ؟)

– (لا)

– (لدى لكن ليست بحلاوة تلك السجائر)

– (قوت أفضل من موت ، أين هى ؟)

وتخرج من جيب روبها علبة

فأقول (إذن دبرت حالك بهذه ؟)

– (أشياء أخرى)

– (ما هى ؟)

فتنهض وتخرج من الحمام بنصف زجاجة برنو ، وتفتحها وتصب منها لنفسها (ماتزال ممتنعا عن الخمر ؟)

- (السجائر هذه أنسب)

وتنظر إليّ وتتنفس نفسا طويلا ، الليلة زينت نفسها حتى جبينها الجميل وحاجبيها الدقيقين وما خلف عينيها البارز المسحوب بهيئة الممثلات الأمريكيات .

(إذن نادر بارسى وحده الذى يحبنى ؟)

- (مجنون بك)

- (خسأ ، أنه لا يستطيع أن ينام بجوار زوجته)

- (وجناب معاليك من أين تعلمين هذا ؟)

- (سمعت هذا من أناس يعرفون أحوالهم الخاصة ، هل تريد أن تسمع ؟)

- (لا)

- (زوجته لا تنام بجواره ، أنفقوا مائة وثمانين ألف فرنك على جهاز كامل لحجرة النوم وديكورها ، طراز لويس الخامس عشر ، لكن سارا هانم تأخذ بطانية وتترك بارسى وتذهب إلى ركن الصالون وتنام)

- (ليس هذا فعلا شنيعا)

- (أو تنام بجوار أختها)

- (وهذا ليس عيبا أصلا)

وتضحك ليلى (رأيتهما أمام الناس . لا تتمنى غير أن يكون شخصان أو ثلاثة وينهالون على بارسى ضربا ويرونه لعبة (أنظر كم هو حمار)

وبعد نفسين أو ثلاثة من السيجارة أشعر أنا نفسى بتحسن سريع .

– (سمعت أن زوجة صفوى ممتازة)

– (نصرت هانم صفوى أراجوز)

– (صفوى بنفسه بعظمة لسانه قال لى إنها حمارة)

– (سوف أحكي لك عنها ما يهلك من الضحك . ذهبت إلى أشتوتجارت أنا وبرى والدكتورة سوسن كاركر هذه كان بها مؤتمر عن شعر إيران . وبالليل ذهبنا إلى منزل صفوى . وكان زوجته أعدت لنا لحما بالنقل المدقوق زوجته هذه من (قمشه) جنوب أصفهان وأعدت أرزا بالخضار الطازج وعليه شبر سمن طبيعي كرمانشا هى وقلية بصل . وأعدت أيضا أورد وفر من شواء محمر وطماطم مشوية على خبز تركى مثل الخبز المخبوز على جدران الفرن وفوقه شبر سمن . وليس شئ غير هذا . ولما جلسنا على السفرة قالت زوجته فجأة : واه ، يقطعنى ، رأيت كيف نسيت المناديل الورقية ؟ ثم ذهبت وأتت بيكرة ورق ووضعتها وسط السفرة . وأنا وبرى كنا سنسقط على الأرض من الضحك) .

وآخذ نفسا قويا من السيجارة (إياها)

– (لماذا لا تضحك ، ألم يكن ذلك مضحكا ؟)

فأرد (عزيزتى ، اليوم أول يوم فى السنة الجديدة . فكرى بحسن نية إنسانية فى عالم المستقبل)

- (لم يكن مضحكاً)

- (لا أعرف هل كان مضحكا أم مبكيا) وآخذ نفسا آخر من السيجارة (هذه الملعونة ليست سيئة)

- (صفوى كأنه خطط طويلا من أجل المائة والسبعين أو الثمانين ألف فرنك التى تريد أن ترسل لك من إيران)

- (هذه هى النفقات المنتظرة)

- (لم يقل شيئا ؟)

- (قال إنهم بحاجة فى إيران إلى الفلوس الإيرانية لإخراج الفلوس من أجل مصاريف أولاده)

-(أولاده ماذا أقول لك عنهم ، إنهم جحوش . كل منهم سنه عشرون أو ثلاثون .. كيف سيجارتك)

- (ليست أسوأ قليلا من عالم الخيال ... ، ... نادر بارسى له خطط بدوره)

- (من أجل فلوسك ؟)

- (قال خاله يمكن أن يعطينى فرنكات بسعر أقل للريال من السوق)

- (نعم ، وحياة كرشه . الفلوس فلوسه) - (إنه يريد أن يبدل بمنزله مطبعة كبيرة فى طهران ثم يبيع المطبعة ويخرج فلوسها من إيران ، إذا لم يبع منزله هنا حتى العشرين القادم من فبراير ، يمكن أن تأخذ إمرأته الفرنسية حكما عليه من المحكمة وتصادر المنزل)

- (عليه اللعنة)

- (ألست جائعاً ؟)

- (لماذا)

- (دعنى أعد لك شيئا)

- (لا !)

- (هل تخاف أن أفجر المطبخ ؟)

- (نعـــــم)

تضحك (إذن اتركنى أتصل بالتليفون ليحضروا لنا شيئا)

- (يمكننى أن أخرج وآتى ببضع شطائر)

- (أنا لم أقل هنا بنجالاديش)

وتشرب كأسها الأخير ، وتضعه على السفرة .

وأحـمل التليـفـون وقـبل أن أعطيـه لهـا أطلب فندق بالما ويجـيـبنى سوموجو بنفسه فأعطيه رقم تليفون الشقة قائلا أننى هنا فى هذا الرقم وإذا طرأ أمر هام يطلبنى على نفس الرقم . وأعطى التليفون لليلى .

- (ناولنى أيضا دفتر التليفون ذلك) فأناوله لها .

وتخرج ليلى إذ ذاك ثانية من حالة وهنها وذبولها و تدخل حالة من النشاط والطاقة القوية وكثرة الكلام الجنونى . وتطلب رقما يبدو أنه لمحل بيع مأكولات أو مطعم معروف بالمنطقة . ولغة ليلى الفرنسية ممتازة وترحب إذ ذاك بإنسان اسمه جان جاك وتنم لهجتها ونبرة صوتها على أن ترحيبها كأنه للمعلم محمد على جزار الناصية .

(أريد أن ترسل لى ياجان جاك ببعض المأكولات . أوه ، نعم ، كان ممتازا . مرسى .جميل جداً . شكراً . على نفس النوعية . لدى ضيف .. بالتأكيد أكل مخصوص) ، وبعد مدة تواصل كلامها (طيب ، ماهو الممتاز عندك ؟ أجل نبدأ بالمشهيات ، نعم من أورد وفرك المخصوص ، لثلاثة أو أربعة أشخاص . نعم ، ساردين ، سلامون لا ، سلاطة ، جمبرى ، زيتون ، كمأة ، بطيخ لا ، خيار ، طماطم ، كرفس ، فجل أحمر . سمك ممتاز نعم ، قطعتان أو ثلاث من سمك الجرودين ، سومون وبعض التونة .دجاج نعم ، بعض قوانص وأكباد الدجاج ، بضعة أوراك . صيد طازج أيضا ، نعم بعض من صـــدور الديك الرومى ، بط لا قطا نعم ، أرانب لا . نعم من الأول . خضار لا . طرشى ومخللات نعم ، ثوم ، كمأة صغيرة ، زهرة الكرنب ، خيار مخلل ، بصل مخلل ، تاراجون ، ذرة حلوة ، نعم . زهرة مريم ، شبوط مخلل ماشى إذا اقترحته أنت . لحم ، بالتأكيد ، أنواع مختلفة ، ضأن ، بقر ، سجق لا . لدينا كل شئ هنا . جبن نعم ، دوبريه آبي ، لافاش كي رى ، ميموليه ، بتي سويس وبعض الروكفور. لا ، المشروبات عندنا ، مرسى ياجان جاك . وأعرف غدا الأحد عطلة . لدينا هنا ما يكفى حتى الأحد أول عام ١٩٨٤ أيضا . نعم ، نفس النوع ، مرسى ، وعلى مهلك !)

ثم تضع يدها فوق السماعة وتتوجه إلى (ما رأيك فى البيرة ، هل يمكنك شربها ؟) فأجيب بالنفى

(البيرة هى الشئ الوحيد الذى ليس عندنا . إذا أحببت أقول لجان جاك يأتى بها معه)

- (لا)

- (أنت واثق ؟ إشرب الليلة شيئا .. إملأ الكأس)

- (واثق من أن هذه رغبتى)

وتشكر ليلى جان جاك ثم تودعه وتضع السماعة ثم تقول لى (هنا واحد اسمه حسين آب باك كان يعمل فى التليفزيون فى طهران . وينظم الشعر أيضا ويترجم كذلك . لعلك رأيته ؟)

- (كان يقص على البارحة قصة حياة حكمت)

- (إنه هاجر من إيران بسبب عشقه البيرة وحسب . حيثما لا يوجد بيرة تطلع روح حسن آب باك . يشرب على الأقل عشرين زجاجة من البيرة يوميا)

- (هل عددتها ؟)

- (وحياة ماما ! وحين كان بطهران كانت بيرة (الشمس) على اتصال دائم بسرة بطنه . الجميع كانوا يقولون أنه قبل أن يذهب صباحا إلى مبنى التليفزيون كان يتجه أولا لتناول إفطاره على أحدى المقاهى ، ويأكل المقانق مع البيرة)

- (ليلى لا تكذب)

وقبل أن يصل العشاء ، تدخل ليلى أحد الغرف وتعود مرتدية بلوزة

وبنطالا طويلا أسود فيلبينيا أو يابانيا يضفيان على عينيها وحالة وجهها المتعب صورة أكثر غموضا وغرابة .

تقترب إلى قائلة (أنا على خير حال من كل ناحية) .

وحوالى الثامنة يدخل علينا جان جاك بجلبة العشاء وقد عقد حنجرته بالبابيون الكلاسيكى . وعلى ساعده الفوطة البيضاء . فى الموقع الثانى عشرة (أحمد أباد) فى عبدان ، داخل الحصون كان لدى الجنود ليأكلوه صنفان : معلبات اللوبيا وكمبوت الجلاب . كانوا يفتحون فى الظهر علب اللوبيا ويأكلونها بالخبز الجاف وفى الليل علب الكمبوت . وحين يشتد جوعهم كانوا يرشون مربى الفاكهة على اللوبيا . ولم يكن سئ الطعم . ويدخل جان جاك بنفسه ويرتب كل الأصناف فوق المنضدة حسب ذوقه الخاص يزيد ما يضع من المأكولات على ما يأكله فوج من الجنود الجائعين . وتوقع ليلى على كشف الحساب ويضيع جان جاك ومعه البقشيش والشكر من ليلى فى ليل باريس .

أما ليلى آزاده نفسها لا تأكل فى الواقع فى تلك الليلة ، وإنما تكتفى بأن تذوق قليلا من هذا الصنف أو ذاك ، لكنها لا تترك السيجارة والكأس وتشكو بين الحين والآخر من دوار رأسها وانقباض قلبها وحزنه .

وأتجرع قبل العشاء كبسولات ثم أملأ بطنى مجانا . وفضلا عن حديث ليلى حول الكتاب وعن هذا أو ذاك ترشدنى بين الحين والآخر كمرشد متحف المأكولات إلى مايجب أن آكله فلربما أتناول القطا بدلا من سمك الجرودين أو أضع المايونيز على الذرة الحلوة بدل قوانص

الدجاج وأكباده . آكل وأدع ليلى تعزف على سنطير كلامها الصينى ألحان أذنى . تتكلم عن الكتاب والشعر والمترجمين المهاجرين وتطير من غصن إلى آخر .

تقص على بعد بارسى وصفوى وحسن آب باك عن عمل بيجين كريم بور الشاعر المعروف وحياته الراهنة والذى افتتح فى باريس مدرسة يدعو فيها فوق اكتسابه منها وتعليمه أبناء المنفيين الإيرانين إلى المبادئ الماركسية والاشتراكية . لكن كريم بور رجل ممتاز وتقليدى محض . يستيقظ مبكرا جداً كل صباح وقبل أن يتجه إلى مقر عمله يقضى فترة فى (الدراسة) ويعد لنفسه من الفجرية كوباً من الشاى الدارجلنجى ويدرس بضع ساعات . إذا لم يكن لديه الشاى الدارجلنجى لا تستقيم أموره . وحين يغضب من امرأته ينظم الأشعار أو يرسم صورا سيرالية أو حتى انطباعية . ويشترى لوحاته المهتمون لأنها يمكن أن تبقى فى أحد الأيام آثارا تذكارية وخالدة وهو الآن تقريا زعيم فى باريس يهب الإلهامات ، ألف منظومة طويلة عن عجوز أشيب اللحية يعود إلى وطنه بعد سنوات من النفى مع (قافلة الأمل) . ولكن لا نعرف هل هو فلاديمير لينين الذى يعود بالقطار من ألمانيا إلى بطروجراد أم بيجن كريم يعود بالجامبو النفاثة من باريس إلى طهران . الخلاصة تقص حكايات عن زوجة هذا وزوج تلك وتفصل فى كل منهم وتتركه جانبا وتسألنى من وقت لآخر (جلال هل تعتقد أننى بهذا الكلام أمزق نفسى وأرمى بها على الأرض ؟) فأقول لها أبدا ليس الأمر كما تعتقدين .

وفى التاسعة والنصف ليلا وقت أنباء إيران فى منتصف الليل آتى براديو ترا نزستور صغير موجود بالشقة ، وأفتحه على الموجة القصيرة لأخبار طهران ، وأضعه وسط السفرة بجانب برنو ليلى .. لكى يكون قريبا منها وتسمعه إذا أحبت . وطبقا لعادة كل ليلة لا يذاع غير الدم والشهادة والانفجارات والقتل والموت بين أفراد الشعب فى مدن إيران والبلاغات الحربية . وبسماع مثل هذه الأخبار والأحاديث والتى أعتقد أن ليلى تسمعها بحالتها هذه لأول مرة تنقبض وتكتئب ثانية . يزداد دوارها حتى يصل الأمر بها إلى القئ . لكن بعد الساعة العاشرة والنصف حين تتصل بأختها برى وبما أنها وتحبها كثيراً وتتبادلان الحديث عن الملابس والموضة وأدوات التواليت ، تتحسن حالة ليلى قليلا ثانية وتبدأ فى الحديث عن أفلام دار يوش فرهاد الإيرانية الفنية والعالية فهو يجمع بين كتابة السناريوهات والإخراج فى إعداد أفلامه ويقوم بهذا بنفسه . وفرهاد يجهز فيلما لنيل جوائز المهرجانات لا لشئ آخر . ولفرهاد زوجته هجرته فى سان فرانسيسكو، ثم تزوج من بعدها امرأة نمساوية أرملة والتى سحبت بطاقة هويتها فى إحدى حوادث السيارات . لكنها امرأة ممتازة جدا وجميلة .

وتمضى الست والثلاثون ساعة التالية بنفس النظام تقريباً

كنت على أمل فى أن يطرأ على ثانية قليل من إحساس الطمأنينة وأن يحدث فى حالة ثريا بدورها تغيير وتحسن ، أو كما قالت كريستيان شارنو تتصل فى الحقيقة موائد أمل فى (البذار) و (الاخضرار) و (وضع البيض) .

- ٢٧ -

لكن فى اليوم الرابع من يناير ، الساعة الثانية بعد الظهر ، ينقلون ثريا مرة أخرى إلي قسم القلب لإجراء رسم قلب لها أو (الإلكتروسيستوليك دوكور) . ومع أن نتيجة هذا الرسم كان إيجابيا تلك الليلة ، لكن الحالة العامة لثريا لا تتغير وتستمر حتى آخر الأسبوع رسوم قلبها وظروفها العامة فى سيرها التنازلى . ويعمل لها عصر اليوم السادس رسم قلب جديد له نفس النتائج السابقة أو ليس له نتيجة بنفس المقدار .

أتصل تليفونيا بفرنجيس وأطلعها بالأمر . وأكلمها مرة فى غروب اليوم الرابع . وفي الليل فى حدود التاسعة تتصل هي نفسها من طهران . ويمكنى أن أخمن كيف تجلس كعادتها وتنتظر بجوار التليفون حتى الحادية عشرة والنصف . تنتظر أن تسمع من باريس طرف خبر يبعث على

الأمل ، بينما تحرق آلام عرق النسا عظام رجلها مثل النار الملتهمة . ومع أنها لا تتكلم ولا تشكو لكنى أعرف من كم الأدوية التى تقول إنها تأخذها كم من الآلام الكثيرة التى تعانيها هذه الأيام . حلل لى أحد أطبائها فى أحد الأيام وخز آلام عرق النسا فى عظامها قائلا كم يحدث للمريض من آلام حين يرتفع المرض على منحنى الفخذ ويحرق حتى أطراف أصابع القدم .

(فقط هناك متنفس وهو أن صديقتها زوجة الدكتور محمدي وأطفالها الذين شردتهم الحرب وقدموا من عبدان لا يزالون يعيشون مع فرنجيس وهى ليست لوحدها على الأقل فى هذه الفترة المتأزمة)

ويستمر على حالها فى إيران مسار أحداث الحرب العبوس وحملات العراقيين الوحشية على جنوب البلاد وغربها . والآن ، فى بداية عام ١٩٨١ ، سيطر العراقيون على الشطر الأعظم من أراضى كرمانشاه حوالى قصر شيرين وناحية كبيرة من إقليم إيلام منها دشت عباس ، وفى خوزستان أيضا على سائر الشريط الغربى ويشمل دهلران وسوسنجرد وتسبان وحميدية ونقطة مراقبة حميد وحتى عشرة كيلو مترات من الأهواز وخمسة وعشرين كيلو مترا من دزفول . وخرم شهر هى المدينة الكبيرة الوحيدة التى وقعت بكاملها تحت سيطرة العراقيين . وبعد أن يأس العراقيون من السيطرة على عبدان يمطرون خرم شهر الآن ليل نهار بضرب منظم ومتصل ويشتتونها .

والخبر الأكثر إنتشاراً هذه الأيام فى طهران مفاوضات إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين .

وفى باريس أيضاً يستمر مسير الحياة غير السعيد للمهاجرين والهاربين الإيرانيين فأرى ليلى آزاده بعد حالتها المحطمة والقاتلة التى لازمتها آخر ذلك الأسبوع مرة واحدة عصر الاثنين حين تأتى إلى المستشفى . ثم لا أراها مرة أخرى حتى آخر الأسبوع الثانى من يناير . يأتى نادر بارسى وخاله إلى مرة فى الفندق ويتكلمان معى عن الفلوس فأقول لهما بأن يعطيانى أسبوعا آخر إلى حين أن تتضح ولابد نتيجة الخطوات التى قمت بها فى الجامعة وإدارة الشرطة والجوازات والقنصلية . سافر صفوى إلى فيينا لكنه من المفروض أن يعود . ليلى وأختها اللتان عادتا من الريفييرا يبدوان طيبيتين . ليلى وحكمت وبرى ومعهم صديقهم القديم التيمسار الدكتور قائم مقامى وجان إدمون الآنف الذكر أراهم جميعا فى مقهى دانتون . لا يزال الحديث يجرى عن أن ليلى سوف ترافق حكمت فى عودته إلى لندن أوائل فبراير . وترى برى آزاده أن تغيير الجو والمكان أمر لازم جدا للعزيزة ليلى . ويعتقد حكمت أن وجود ليلى فى لندن سوف يسدى عونا خطيرا إلى (ترجمة النصوص العظيمة) التى تعهد بها . ليلى إذ ذاك ترمق جان إدمون أكثر من حكمت ، وأنا لا .

لا أستطيع أن أحصى عدد المرات التى سرت فيها هذه الأيام مشتتا مشردا من شارع مسيو لوبرنس إلى داخل ميدان لوكسمبرج المفتوح ثم جيلو ساك الملعون ثم شارع سان جاك المشؤوم وأمام مستشفى دو جراس فى عروس مدن العالم . وأتجه يوما إلى قنصلية جمهورية إيران الإسلامية ، قسم تجديد الجوازات . فجواز سفر ثريا لا يحمل إذن الإقامة المسموح بها وحسب بل انقضت سنة على نهاية صلاحية نفسه أيضا .

علق على مبنى القنصلية القديم – لكنه محكم – على بابه وفوق نوافذه ، فضلا عن صور الإمام وإعلانات الثورة الإسلامية الملصقة بضعة إخطارات تعلن أن جوازت السفر التى أرسلت عن طريق البريد هى التى ينظر إليها فقط وتمد صلاحيتها ثلاثة أسابيع . وأتقدم وسط بضعة نفر من الشرطة والحراس وأتخطاهم وأضرب الجرس – وضع ثريا استثنائى ومعى من المستشفى خطاب يحدد حالتها . أريد مخاطبة الأخ المسؤول عن مد فترة الجواز فلدى أمر استثنائي واضطرارى ، فيقبلون مقابلتى له .

ويأتى أخ ملتح إلى بالخارج ويستمع شرحي بانبساط وجه . ويفحص شهادات ثريا نقوى ويتفحص أوراقى أنا أيضا . وبعد التفتيش على ذاتيا يسمح لى بالدخول ويطلب من أخ آخر أن يصطحبنى إلى الأخ (برستويى)

ومكتب الأخ برستويى فى حجرة صغيرة فى نفس الطابق الأول خلف قاعة كثيرة الاتساع انكب فيها مايقرب من ست عشرة أخت محجبة بالحجاب الإسلامى وأخوة يفحصون الشهادات وجوازات السفر المكومة المكدسة على الأرض . يبدو أنهم انتقلوا حديثا إلى هذه القاعة وهم لا يزالون فى حالة تنظيمها . ولا تخلو جدارنها من مكان لم يعلق به الصور والإعلانات . ويرسل بى الأخ الذى يرافقنى إلى خضمّهم ، فأبحث عن السيد برستويى . فينهض واقفا من بينهم شاب فى الثالثة والعشرين تقريبا ويسألنى (أوامرك) فأسأله (هل أنت الأخ برستويى ؟) فيرد (نعم ، أى أوامر) فأشرح له ثانية الموضوع . له وجه أبيض ولحية وشارب ليسا بالكثافة

الكبيرة لكنها حمراون يميلان إلى لون الحناء وعينان ودودتان معتدلتان فى لونهما العسلى . يرتدى قميصا ومعطفا رماديا قديما وبنطالا شبه عسكرى ينسدل على رجليه ويستمع أيضا ببسطة وجه إلى كلامى ويقودنى إلى مكتبه الذى لا يقل عن القاعة أمامه اضطرابا وعدم ترتيب . يفحص بدقة شهادات ثريا ويدقق أيضا فى فحص جوازى وأوراقى . يفحص كل شيئ بدقة وتحسّب . معي صورة من مذكرة وكيل وزراة النفط التى توصى على سفرى الاضطرارى إلى رئاسة الوزارء فى إدارة جوازات سفر العاصمة وأريها إلى برستويي .

ومن تلك اللحظة فما بعدها يحل كل شئ ببساطة . يعطينى نموذج طلب لأملأه . ويلزم ذكرى المد مع ذكر الأسباب الأخرى المرفقة . وأفعل ماطلب . ويقطع الأخ برستويي قصاصة ورق صغيرة جدا وبعد أن يكتب بأعلها (باسمه تعالى) يكتب كلمات إلى من يدعى الأخ محسنى لكى يقوم فورا بمد الجواز المرفق ثم يسألنى (هل معك صورتان لثريا وخمسون فرنكا يا سيد آريان) فأجيب بالإثبات فيقول برستويى (تفضل بإرفاقهما وحافظ على مامعك وأعطه للأخ محسنى . إن شاء الله سوف يقوم فى التو واللحظة بالمطلوب) وبناء عليه ، ينتهى الموضوع فى أقل من ربع ساعة وهو الذى لابد أن يستغرق طبقا للدورة العادية له ثلاثة أسابيع . وحين كنت أنتظر خلال هذه الفترة القصيرة فى مكتب الأخ محسنى التوقيع والخاتم يحين وقت إقامة صلاة الظهر وتناول الغذاء . فينهض الجميع فجأة ويتركون كل شئ على الأرض ويخرجون للصلاة فى المسجد بالدور الثالث . ويقولون

لى بإمكانى أن أعـود فى الثـانيـة والنصف أو بالغـد أو يمكن أن أنتظر فى الصالة الأماميـة . بالخارج يهطل مطر غزير وأنا لا أميل فى الحقيقـة إلى مغادرة المبنى وأترك به أوراق ثريا . لا أشعر بالارتياح لترك المبنى . الأخوة والأخوات يعملون بإخلاص فى الأغلب لكن على كل حال لا أشعر أن من الصـلاح ترك أوراق لم تدخل وارد المكتب وهو فى هذه الحـالة من التكدس والتراكم فى المستندات ، وليس ورائى كذلك عمل أسعى وراءه . وعليه أذهب إلى الصالة الأمـاميـة . الصالة الأماميـة تقع بمواجهـة باب الدخول وتحتوى على بضعة مقاعد ومايقرب من ثلاث مناضد صغيرة وطقاطيق منخفضة . على المناضد بضع مجلات مبعثرة . الحجرة دافئة وهادئة . والتقط عدداً من مجلة (محجوبة) وأجلس على مقعد يعلوه صورة معلقة لفجر الثورة الإسـلامية بحيث أتكئ أسفلها . حدود الثانى والعشرين من شهر بهمن والعيد السنوى للثورة الإسلامية فى إيران ولا تزال الإعلانات الملصقـة ترتفع فوق الأبواب والجدران بالقنصلية . وفى أحد الأركان جلس أحد الحرس الفرنسيين ومعه سلاحه وجهاز استقبال وإرسال يدوى بجانب بواب متأنق متألق فرنسى أيضا خلف مائدة عالية ويتحدث أحدهمـا مع الآخر . لا شأن لهـمـا بى ولا يبـدو من منظرى أننى خطيـر وسوف أقف لأمزق الصور المعلقة وأفتتها .

وأتصفح مجلة المحجوبة . على غلافها صورة بنت صغيرة فى نحو السادسة من عمرهـا ترتدى الخمـار والزى الإسلامى وتمسك برشاش (ج ٣) . الصفحات الخمس الأولى تحمل أنباء الحرب وصورها وإيثار الأخوات على الجبهة ومشاركتهن فيها . وعلى إحدى الصفحات مقالة

المهر و (المشكلة الصعبة) للزواج بين الأسر . وعلى الصفحة التالية مقالة حول اختلاف الآراء الأساسية بين الشيوعية العالمية والشيوعية الأوربية ... والتى لا أفهم منها شيئا من كل ما قرأته فيها ، لكن بوسط المجلة قصة محبوكة قصة حديثة بالشكل والنظام المعاصر . خطر إلى بالى هل حكمت وبارسى ومن لفهمـا يقرأون مثـل هذه القصص ؟ فلعلها تكون (فصلا محدثا) فى آداب إيران فى العصر الحـاضر . عنوان القصة (أربع وعشرون ساعة فى حياة فاطمة هانم) . قصة قصيرة بقلم د . أ . شفق . خلاصتها أن فاطمة هانم أم أنجبت أربعة عشر ولدا ، تخرج يوميا لتعمل فى غسيل الملابس ومن ضمن العاملين بفندق الثورة فى شارع آية الله الطالقانى . إنها مضطرة لأن تعمل بسبب استشهاد زوجها وابنها الأكبر . منزلها فى جنوب المدينة . حجرتان مستأجرتان بنهاية شارع الشهيد مصطفى عباددوز الذى لا يزيد طوله عن عشرين مترا . الأم توقظ جميع أولادها كل صباح قبل أذان الفجر . يتوضأ الجميع ويؤدون الصلاة بعد سماعهم الأذان من مكبر صوت المسجد . ثم يتلون دعاء يوم الخميس . تضع الأم بآخر حبات الشاى الجاف فى السخان ويشرب الجميع الشاى بثلاثة من خبز طازج سوّته احدى بناتها على جدران الفرن وهم يستمعون إلى فقرة برامج المقاتلين عل الجبهة التى تذاع قبل أخبار الصباح . ولدان لها على الجبهة. ابن ثالث عمره اثنا عشر عاما يتجه اليوم إلى الجبهة مع المتطوعين . وقبل أن تتجه الأم إلى مقر عملها تجعله يمر من تحت المصحف وتدعو له أن يلقى الشهادة ويذهب إلى الجنة . اثنتان من بناتها فى الثالثة عشر والرابعة عشر تركتا المدرسة وسجلتا اسميهما فى فصول التعبئة وتجويد القرآن . هما

اليوم تريدان كذلك تسجيل اسميهما فى لجنة مسجد الحى لكى ينظر إليهما من ضمن المتقدمات إلى الزواج بمعوقى مؤسسة الشهداء ، وأمهما فى غبطة لذلك أيضاً . لأن أجر هذا الفعل إذا لم يزد على أجر الشهادة فليس أجرا قليلا . وأثناء النهار فاطمة هانم وهى مشغولة بغسل الملاءات يصلها خطاب من الجبهة . تتمزق نياط قلبها من السعادة . يزف إليها فى الخطاب البشرى والعزاء لأن ابنا لها آخر استشهد على الجبهة . تدعو الله وتدعو روح سيد الشهداء الطاهرة بأن يتقبلا منها هذا الفداء وتدعو أن ينتصر الإسلام فى كل أرجاء الدنيا وتستمر فى عملها . وفى الغروب وهى فى طريقها إلى منزلها تتجه إلى فصول محو الأمية لأن طلب العلم من الإيمان . وبداية الليل يعود باقى أبنائها . وقبل العشاء يتجه الجميع لأداء دعاء كميل معا فى مسجد الحى ويدعون من أجل يوم ملئ بالبركة مر بهم .. (وأقول فى نفس والله أن فاطمة هانم أحسن حالا من أختى فرنجيس المسكينة) . وراوية أخرى فى المجلة عن إبراهيم خليل الله فى حواشيها . وفى الصفحات الأخيرة فى ثمانى صفحات يبهت إبراهيم ويحير نمرود طاغوت زمانه فى محكمة المظالم !! بينما تضج وتصيح مخلوقات الزمان والمكان وجميع الملائكة فى السموات والأرض لأن على الأرض رجلا وحيدا يعبد الله يريدون الآن أن يلقوا به وهو إبراهيم خليل الله طعمة للنيران !! لكن إبراهيم يبقى على نفس ثباته وقوته وشجاعته ورباطة جأشه لا يظهر عجزا ولا يتغير وجهه العادى .. ضحى بنفسه فى سبيل الله ، هو يتقدم نحو النار بوجه سعيد وتتحرك شفتاه بقوله : يا الله يا واحد يا أحد ياصمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نجنى من النار

برحمتك ..)

وصارت النيران بستانا وذل الطاغوت حين أرى الأخ محسني يهبط درجات سلم القنصلية وبطرف شفتيـه سواك أيضـا . وأنهض وأتعقبه داخل مكتبه وينتهي بعد ست دقائق أمر إدخال الجـواز في الوارد والخاتم وما يتبعه .

يوم عطلة وأجلس ساعات مع شارنو وزوجته وقاسم يزداني في حديقة المستشفي ونتجاذب أطراف الحديث بينما يلعب الطفلان تحت أشعة الشمس . يتناقش كريستيان شارنو وقاسم يزداني حول المنطق في الأديان وقوة الإيمان في مواجهة قوة العلم ويتقي قاسم يزداني النظر المباشر إلى وجه مدام شارنو . ويشترك شارنو نفسه في المناقشة ولكن ليس بحدة زوجته . وتعطي كريستيان شارنو دفترا صغيرا لثريا أتت به وهو في الواقع تقويم ومذكرات معا ، وخطت ثريا في صفحاته هذه وتلك ذكريات لها وأشعارا . وأقرأ بعضا من شعرها لكريستيان شارنوالتي تصر على سماعه وأترجمه له بعون من قاسم يزداني وبدأت إذ ذاك كريستيان شارنو تتحدث عن أملها في حدوث معجزة وعن الدعاء لله وعن الكنيسة . وأتعجب من كلامها هذا وأنا الذي كنت أتخيل أنها اشتراكية المذهب تقول تدعو لثريا قبل نومها كل ليلة بقولها (أيها الأب المقدس) ثلاث مرات و (يامريم البتول) ثلاث مرات . أقدم لها شكري . ولا أعبأ بأن كريستيان شارنو هل هي اشتراكية مسيحية أو شيوعية (متطرفة) ولا أن زوجها غاليّ أو ديمقراطي مسيحي لإنقاذ ثريا أنا نفسي مستعد أن أمر وسط نار النمرود . أود أن تشفى ثريا

وأصحبها إلى أمها .

ويأتي اليـوم الثالث من شهر يناير وأمضى بضعة أيام مختليا منعزلا فى الواقع . حتى بارسى أراه لماما . عادت سيمين برزكر إلى أمريكا ويمضى بارسى أغلب أوقاته فى المحكمة وراء محاميه ومحامى زوجته السابقة ويود أن ينقذ بأى شكل منزله الراهن . ولا أرى ليلى آزاده لبضعة أيام ثم أعرف أنها سافرت إلى زيورخ مع اثنتين من صديقات المدرسة القديمات . تعلمنى بهذا بالتليفون أختها برى . لكنها تأخذ مني وعدا بألا أذكر لعباس حكمت شيئا عن سفرها لأن ليلى كانت أخبرت حكمت أنها سوف تسافر إلى جنوب فرنسا لرؤية والديها . فأطمئن أخت ليلى بأن شيئا من هذا لن يسمعه حكمت ، لأنى لا أرى حكمت وإذا رأيته فعباس حكمت لا يرانى الرجل الجدير بأن يتحدث معه .

أشاهد بضعة أفلام قديمة فى السينما الصغيرة على ناصية شارع مسيولو برنس والتى أعد عرضها إعدادا جيداً وأجلس حينا ساعات فى الصالة الصغيرة للفندق وأناقش مع سوموبخو أو دوفال العجوز فى السياسة والاجتماع ونشرب السجائر . يشرب دوفال البورجاندى وسموموبخو الشاى بالليمون . لكنه لعله دائما يسحق خلسة داخل فنجان شايه شيئاً غليظاً لأنه يزداد بمرور الوقت سعادة ولطفا . ثم إنه سويسرى الأصل وعلى ذلك فهو قليل الكلام أصلا . وعوضا عنه العجوز دوفال فهو مثل أحمد صفوى كعب الأحبار والعقل الكلى . لكنى لم أر منهما شرا ، خاصة من سوموبخو !

في فرنسا هذه الأيام أهم الأخبار الاجتماعية على سبيل المثال الجدال حول الفوز المتزايد للاشتراكيين والاضمحلال التدريجي لجيسكار ديستان والغاليين وعلى المستوى العالمي أكثر الأنباء سخونة موضوع إطلاق سراح رهائن (شبكة الجاسوسية) الأمريكية في طهران الذي حسم بالشدة والحدة الزائدتين عن طريق وساطة حكومة الجزائر وتوسط وارين كريستوفر من طرف الحكومة الأمريكية وبهزاد نبوى من جانب جمهورية إيران الإسلامية حتى الحرب الضروس الضارية مع العراق غاصت بدورها في محاق أنباء إطلاق سراح الرهائن والإفراج عن أرصدة إيران المالية .

وأما موضوع تسديد نفقات علاج ثريا للمستشفى الذى خاطبتهم به عن طريق إرسال خطابات مكتب الكلية إلى الجهات الحكومية المختصة فقد أحيل هذه الأيام إلى لجنة في بلدية سان سولبيس المحلية وهؤلا بدورهم ينظرون فيه وبرفقته خطاب من وزارة العدل وإدارة المقيمين الأجانب ولا يقل تعقيده ، عن حالة الرهائن الأمريكان وأرصدة إيران المالية . وضع أسرتي أنا وفرنجيس العاجز المتنكس في هذه الأيام في هذا العالم يتلخص في أحد فقرات من خطاب فرنجيس حين تقول (.. أرسلت ابنتي المسكينة بعد استشهاد زوجها إلى مكان أبعد عن هذه الحرب عن إصرار منى وبيدى إلى أحد مراكز التعليم في مدينة من مدن السلام والهدوء لكى تبقى حية .. حتى لا ترمى نفسها ثانية تحت طلقات الرشاشات ونيران الانفجارات ، وإذا ذاك كان لا مفر لها من أن تسقط من فوق دراجتها وتضيع منى . لماذا ؟)

وإذا كان من سؤال وإجابة فإني جاهل بها ، لا أفهم شيئا عنها ، يخرج تماما عن دائرة عقلي . أقسم على ذلك

مذكرات من دفتر التقويم - خاطرات ثريا

من سماء إيران

يأتى صوت يحكم العالم

ويتجه إلى الغرب

إلى أين أنا ذاهبة

ماهو سيء الحظ

لا يجب أن يضمره القلب

النمرة النائمة تحت الشمس

وفمها فوق صغارها

أحبها ..

حظى ماهو ؟

فى هذه الدنيا

فى هذه الدار

فى هذا الطوفان المرعب ؟

أنا منك أصنع قصر الخيال

وعند الغروب حين يمحو الموج قصر الرمل
لا أبكى

اليوم السماء من الصفا والضياء
بحيث أرى كل شئ
وأحلاما غطتها الثلوج
فى عالم متفجر
ونحن جميعا لا نريد دارا للمجانين فى موضع قط

الإنسان فى وحدة
فى النهار حين يغرق
ومع القمر حين يطلع
والعام حين نقبض مثل السرطان

للمرأة بدن أمل تموت
فى الحارة حين تسير ، تموت
غير ما كان لا تبقى شئ قط
كل ما هو كائن ..
أعود إلى الأرض المأنوسة
شرابى حامض وكتابى خاو
أعود إلى الأرض المأنوسة

- ٢٨ -

في الصباح الباكر لليوم العشرين من يناير (٣٠ شهر دى) استيقظ من نومى برعشات شديدة .. خارج النافذة زاد الجو برودة عن الأيام الثلاثة الماضية ، برودة يصحبها وخز وسحب بالسماء . لا يزال الوقت مبكرا لتناول الإفطار فأبقى بالسرير وأشعل سيجارة وأنصت إلى الراديو والأخبار والعبث عن أحوال الدنيا فى هذا اليوم من دوران الأرض . وأخبار إيران هى أخبار الدنيا كلها . غطى إمكان إطلاق سراح الراهائن قرة الأعين الأمريكين فى طهران على جميع أخبار العالم الغربى . لكن فى إيران فأخبار الحرب مع الكفار البعثيين أتباع صدام حسين على رأس كل شئ . خابت مساعى الجيش العميل للبعث الكافر إلى فتح جبهة جديدة فى سومر ، انتقلت إلى طهران جنائز سبعة وخمسين من شهداء الملحمة ، وغدت المدن المناضلة

عبدان ودزفول ثانية موضع الهجوم الوحشى للمدافع وسائر الأسلحة الثقيلة . نبهت الحكومة إلى زيادة سعر البنزين وأعلننت أنها سوف نتعامل مع مزورى كوبونات البنزين طبقالقوانين الطوارئ الحربية . تعهدت هيئة من جانب الخدمات التجارية بتأمين اللحوم والدجاج واللبن والقشدة وسائر الحاجات الضرورية . يبحث إشكال تشغيل المصانع المؤممة . أدلى وكيل وزارة الداخلية بأقوال فيما يخص سرقات اللاجئين الأفغان بتهديد السلاح . صدرت نشرتان جديدتان من إدارة النهى عن المنكرات . وعلى الصعيد العالمى الحالى يمكن أن يطلق سراح الرهائن الأمريكيين طبق اتفاق الجزائر . أذاعت حكومة جمهورية الجزائر الديمقراطية بيانا عن توقيع اتفاق بينها وبين وارين كريستوفر وكيل وزارة الخارجية الأمريكية . كيسنجر يلتقى والسادات فى مصر . يقوم الجيش السلفادورى بقتل مئات من العصابات المتمردة فى مجزرة وحرق جثثهم . وفى فرنسا اتهم الاشتراكيون حكومة جيسكار ديستان الإمبرالية بأنها تدير الحكم بطريقة تسلطية . فى الهند قضت السيول الموسمية على نحو ثمانين ألف إنسان ... واليوم فى الثانية عشرة حسب توقيت واشنطون يسلم كارتر زارع الفول السودانى الجورجى منصبه على رأس أقوى بلاد العالم منهزماً منكسرا إلى رونالد ريجان ممثل سينما هوليوود من الدرجة الثانية كرئيس جمهورى جديد للولايات المتحدة الأمريكية .مضت ثماني وأربعون ساعة على انتظار طائرتين جزائرتين ومعها طائرة أخرى خاصة بالأطباء والمراسلين الإخباريين . استكمال خطوات نقل أرصدة إيران وتحويله من أمريكا إلى إيران لكى تنقل إلى خارج إيران الرهائن. لا تبحث المفاوضات الآن غير مشكلة الأرصدة . تتحدث وكالات الأنباء باستفاضة عن مليارات الدولارات والرهائن الأمريكيين . قبلت أمريكا

الأفراج عن ١١,١ مليار دولار الرصيد النقدى المجمد الإيرانى . يشمل هذا الرصيد ٢,٤ مليار دولار ذهبا وبنكنوتا مودعا ببنك واشنطون الفيدرالى ، ٢,٢ مليار دولار فى البنوك الأمريكية بداخل الولايات المتحدة و ٥,٥ مليار دولار فى البنوك الأمريكية فى سائر البلاد الأخرى وحدود مليار آخر فى أشكال نقود أخرى يتم تحويل الأرصدة عن طريق بنوك إنجلترا .

توضح جميع الإذاعات حتى الإذاعة الفرنسية أن هذا الأمر أصلا ليس سهلا ولا يمكن إعادة هذه الأرصدة بهذه البساطة إلى إيران ، مع أن الحكومة الأمريكية تبذل أكثر مساعيها (قوة وإخلاصا !) لكى تؤدى كافة حقوق الشعب الإيرانى ! أولا يجب أن يعود من مجموع أرصدة إيران السابقة إلي بنوك أمريكا ٣,٧ مليار ويودع في حساب تسديد قروض إيران السابقة ويحتفظ أيضا بمبلغ ١,٤ مليار ويودع فى حساب مؤقت لتسديد الديون التى لم يتحدد إلى الآن حسابها . كما يحتفظ بمبلغ ٣,٧ مليار فى حساب مؤقت إلى حين اتضاح وتحديد حسابات الدعاوى المحتملة للشركات الأمريكية المختلفة ضد إيران . يمكن وحسب أن تسترد إيران مبلغ ٣,٨ والذى من المقرر إيداعه فى بنك الجزائر فى حساب خاص ، وحتى هذه الساعة من الصباح لم يودع هذا المبلغ فى بنك بالجزائر . وعليه فلا تزال الطائرات المقلة للرهائن تنتظر فوق ممر من ممرات مطار مهر آباد .

أرتدى ملابسى وأنزل متجها إلى سوموبخو بوجهه الهادئ ونظارته الأبدية خلف المنصة .

– (شاى أم قهوة ؟)

- (قهوة)

ويضحك حين يأتى بالصينية .

يخرج من باب صغير لحجرة صغيرة تواجه ظهر المنصة ويستخدمها كمطبخ أيضا .

- (صدر منى تصرف أحمق)

- (ماذا فعلت ؟)

- (كنت لا أزال مختلطا بالنوم حين صببت فى زجاجة مربى الكريز مربى الفراولة والعكس ! ثم نظرت وقلت لنفسى كيف فعلت هذا ؟)

- (ياللفاجعة)

ويضحك سوموبجو مرة أخرى :

(حسنا ، كيف حالك صباح اليوم يا سيدى العزيز ؟ Cher Mon-sieur)

- (بخير ، شكرا)

- (لم تتحرك الطائرات بالرهائن حتى الآن ؟)

- (لا ، لا يزالون محتجزين)

- (ما رأيك فى بيضة ؟ هل تحب أن أضع لك بيضا ؟)

- (لا شكرا هذا القدر كاف)

- (عندى عسل ممتاز .. أتانى توا ، هل تريد منه ؟)

- (فى يوم آخر . هذا مناسب)

كالعادة أتناول الخبز الفرنسى والكروازان بالجبن والقشدة ومربى الكريز والفراولة . واللبن الساخن والقهوة الكثيرة . لدى متسع من الوقت لآتى على الفنجان الأخير بأكمله . يأتى سوموبجو ويقول (تليفون لك ، هناك بالخلف)

فأذهب وأرد . إنها ليلى آزاده

– (سلام ، أنت بخير ؟)

– (سلام ، نعم بخير)

– (جلال أنا محتاجة إلى مساعدتك ؟)

– (مساعدتى ؟ أى مساعدة يمكن أن تصدر منى ؟)

– (أريد أن تأتى وتكذب من أجلى كذبة ، فاهم ؟)

– (ماشى)

– (أنا لا أهزل والله ، وقعت فى مشكلة)

– (كيف وقعت فى مشكلة)

– (أريد أن تقول لحكمت إذا رأيته اليوم أن ليلى كانت فى المستشفى عند بنت أختى فى اليومين الثلاثة الأخيرة ! لا أريد أن يفهم أننى كنت غادرت المدينة)

فسألتها (هل من المفروض أن أرى حكمت اليوم ؟)

– (نعم من المقرر أن نذهب إلى فرساى)

– (لا !)

– (وحياتى . مضطرة !)

– (هل أنا مضطر أيضاً للذهاب إلى فرساى ؟)

– (ألا تحب أن أراك ؟)

– (ماشى)

– (كيف حال رأسك ؟)

– (أى رأس لى ؟)

– (هذه التى كنت تقول :

أظن أنها لا تزال موصولة بجسدى)

وتضحكنى (ليست سيئة .. أين كنت ؟)

– (هنا وهناك . هل كنت قلقا ؟)

– (نعم)

– (إذن تعال لأراك)

– (أنا ذاهب إلى المستشفى الساعة العاشرة)

– (جميل ، المفروض أن نتجمع فى الثانية عشرة جميعا على مقهى كواترين جنب محطة قطار فرساى . يعنى سنذهب من هناك إلى قصر فرساى . ولن يستغرق الأمر أطول من ساعة أو اثنتين)

– (ومن هم الجمع؟)

– (هم حكمت والدكتور كوهسار ولعل بارسى وقراجوزلو وصفوى من المفروض أن يأتوا أيضا) .

– (هل عاد صفوى من فيينا ؟)

– (لا أعرف هل سافر إلى فيينا أصلا ! لكنى أعرف أن قراجوزلو عاد برفقة الدكتورة علائى من استراسبورج . هل أنت معى ؟)

– (حسنا يا ليلى . استمرى ماذا سوف أقوم به بالضبط ؟)

– (أنا سآتى للمستشفى فى الحادية عشرة وآخذك بالسيارة)

– (الحادية عشرة من المستشفى)

– (هل تفتكر أنك ستقفنى ؟)

– (أى إنقاذ ؟)

– (آ .. ألم تنس شيئا ؟)

– (أوه .. الكنية ليلها)

– (نعم يا جلال ، الكنية ، لا تكسفنى)

– (الساعة الحادية عشرة أمام المستشفى)

– (هناك سوف آخذك اليوم بالسيارة)

– (آه !)

– (يعنى ماذا ؟)

– (يعنى مع السلامة)

وأنتظر حتى تودعنى هى وتقطع المكالمة . ثم أضع السماعة . كل هذه المكالمة تبدو لى غير حقيقية كأنها كابوس . ليس من شئ حقيقى فيها . مثل تغيير المربات فى زجاجات سوموتجو . أصعد وأرتدى معطف المطر

والقفازين . وأنظر إلى وجهي في المرآة . لا يزال به الحاجبان وحد الأنف والشارب والشفتان والذقن والخط بوسط الذقن ينادىء كل منها الآخر . وأنزل راجعا وأخرج وأذرع نفس الطريق المعتاد خطوة خطوة إلى المستشفى . أمر من أمام نفس البارات والمقاهي ومحلات بيع الكتب . أشترى نفس الجريدة . أشاهد نفس السحنات . نفس الحياة بفرنسا بجيشانها وغليانها .

أرى ثريا في المستشفى من خلف زجاج بابها المغلق . لا تزال ممدّدة فوق سريرها الطويل بفس الشكل الذى رأيتها به منذ شهرين . لا أحد بجوارها . يبدو وجهها أكثر تغضنًا ولونها أكثر شحوبا مما مضى . لا أدرى لماذا يرتعش القلب بداخلى باضطراب شديد . وجهها وهى فى نومها يشبة وجهها وصورتها التى أرسلتها لى فرنجيس وهى فى الأشهر الخمسة الأولى من عمرها . صورة منمنمة لمخلوق صغير . نائم . فى الفترة الفاصلة بين الميلاد والموت أو بالعكس (وحدة الإنسان)

وحين أعود أمام باب المستشفى أشعر بالضياع والوحدة الشديدة ، مثل ذاك الصباح يوم أن كنا نعبر بالأتوبيس سهول آذربيجان التى تساقطت عليها الثلوج . أو تلك الليلة التى كنا ننتظر فيها على قارب ذى محرك داخل خليج فارس انحسار المد . أقف بجوار البوابة الكبيرة الحديدية . أقفل زرار معطفى الأعلى . لا يظهر أثر لليلى أو سيارتها الحمراء الفورد . أشعل سيجارة وأظل أنتظر . أقول سأنتظر حتى الحادية عشر والربع ثم أمشى بعدها مع أنى أعلم أنه ليس من أمل بينى وبينها ، لكنى أرجو على أى حال ألا تخلف وعدها . لايبعد أن تكون نست . ليلى آزاده ما هى إلا ليلى آزاده .

يمكن أن تكون رقيقة ويمكن أن تكون فظيعة . تقدم على أى أمر حين تختلى إلى ذاتها . حفيدة لصوفى شيرازى أتت باريس وتحولت إلى المسيحية لكنها لا تزال تعتقد أن زرد شت أعظم أصالة على وجه الأرض وهو الأسطورة العظمى للإيرانيين ، لا يمكن أن تعتقد أن يتوقع منها أكثر من ذلك . يأست تقريباً من وصولها وتحركت للانصراف حين تظهر ليلى برأسها داخل سيارة أجرة ستروين . وتقف بالسيارة وتجلسنى بجوارها .

(سلام ، عطلتك طويلا ؟)

– (سيارتى لا تقوم . تعال لنذهب بهذه إلى محطة سان ميشيل ثم نستقل من هناك القطار)

أقفل الباب وتتحرك السيارة

– (سعيد أن أتيت)

– (أنا سيئة الحظ يا جلال)

– (ماذا ؟)

– (أحس باضطراب شديد ، يا جلال) لا أعتقد أنها جادة فى قولها

(أين من سوف أكذب عليه ؟)

– (حكمت ؟)

– (وهل هناك واحد غيره ؟)

– (كنت فى شقة برى . كنت أريد الذهاب إلى حكمت وآخذه

بالسيارة ، لكنى حين اتصلت بالتليفون عرفت أنه ترك رسالة وأنه ذهب بسيارة كوهسار وأحمد صفوى) ولا أسألها سؤالا آخر وأدعها تتحدث طوال مابقى من الطريق .

ليلى على علم بدقائق محطة القطار أو مترو سان ميشيل . تشترى تذكرتين ثم نغير المقعدين وبعد نحوثلاث دقائق نصل إلى مربع سكك الحديد C . D . F. وننتظر . ترينى ليلى التابلوهات الصغيرة الألكترونية التى يظهر عليها أسماء القطارات آتية وذاهبة ، ثم تأتى نفس القطارات وتذهب . تقول (يعملون بالكمبيوتر) . ثم نَسْتَقِلُّ القطار .

قطار فخم وممتاز .يظهر على سطح الأرض بعد أربع أو خمس محطات ويستمر فى مسيره . نحن لوحدنا فى الديوان وينساب المترو فى سيره ويتقدم وتتحدث ليلى وتأخذ منطقة باريس فى الانفتاح شيئا فشيئا وتزداد جمالا ، وأنا قد عدت إلى وجه ثريا وغصت فى الشهور الستة الأولى لها وفى فرنجيس وعبدان .

– (لماذا أنت ممتقع كثيرا اليوم ياجلال ؟)

– (لاشئ ؟)

– (لا)

– (تتناول كبسولاتك وعلاجك ؟)

– (مثل الحمار)

– (هل تريد ألا تذهب من أصله إلى قصر فرساى . لعن الله لويس الرابع عشر ولويس الثالث عشر كليهما ؟)

– (لا تفسدى خطتك ومواعيدك . هل سيطول الأمر كثيرا ؟)

– (لن يزيد عن ساعتين)

– (كم المسافة حتى فرساى ؟)

– (ساعة من باريس)

– (ليست شيئا) .

– (يمكننا أن نعود أى وقت نحب)

– (يمكننى أن أعود وحدى)

– (يمكنك هذا)

ويزيد القطار من سرعته الآن ، ويعبر ناحية تكثر فيها الأشجار والخضرة لكن المناطق السكنية تكثر فيها أيضا . وتشرح ليلى لى أن هذه المنطقة كانت وقتا ما من ضمن أماكن صيد لويس الرابع عشر وأن وأن .. وأسألها (اتفقت على مصاحبة حكمت إلى لندن ؟)

تضحك . ضحكها أيضا اليوم كأنه ليس حقيقا . كضحك سوموبخو . لوجهها نفس تغضن وجه ثريا وامتقاعه . ترفع كتفيها قائلة (لا أعلم) .

– (ماهو قصدك من قولك لا أعلم ؟)

– (يجب أن نرى)

– (كنت تبدين من التليفون فرحة سعيدة)

– (أنا ؟)

– (واليوم علت فتمسكت بشلة بحبل حكمت ..)

– (لا تضايقنى يا جلال اليوم . لم أر حكمت من سبعة أو ثمانية أيام . جئت باريس البارحة بآخر الليل) .

لا أسألها من أين جاءت

– (هل قمت بخطوة من أجل الفلوس ؟)

– (أعتقد أن تأمين الجامعة سوف يسددها فى نهاية الأمر)

– (آه .. تمت الأمور ؟)

– (قرار يكتب . قال المسؤول عنه أن الجميع فيما يبدو وافقوا . إلا أنهم سيقلبون الأمور فى النهاية . لم يبق غير أوراق متفرقة ينهيها القومسيون القضائى)

– (وماذا لو لم تتم الأمور)

– (إذا لم تتم الأمور فلا بد من بيع بعض ذهب ثريا)

– (أرصدة الذهب الوطنى ؟)

– (التى جمدت فى بنك آل شارنو !)

ويضحك كلانا .

- ٢٩ -

يتساقط المطر حين نصل محطة فرساى . أمام المحطة باحة خالية ومفتوحة . نسرع الخطا فى المسافة القصيرة التى تفصلنا عن المقهى . بين المحطة والمقهى حديقة ذات سور حديدى بها أشجار خضراء وزهور غضة . والمقهى على شكل دار متسعة لها قاعة خالية ، وليست على نمط مقاهى باريس المزدحمة المتداخلة فراغاتها . بداخل المقهى جلس بقية الأصحاب حول مائدة كبيرة وسط عدة موائد خالية : عباس حكمت وأحمد رضا كوهسار وأحمد صفوى والدكتورة برزكر والدكتورة علايى ونادر بارسى وخاله . ليس غائبا عنهم كما ذكرت ليلى غير قرا جوزلو . وحين تقترب ليلى إليهم ينهض الجميع حتى السيدتان ويصافحونها . كما يصافحوننى . تتبادل السيدات القبلات . يقبلنى بارسى أيضا فى وجهى ، لكنه يبدو تعسا

كأنه تشاجر مع حكمت ثانية . على المنضدة فناجين خالية وأكواب نصف فارغة لمشروبات صفراء وحمراء وأمام حكمت زجاجات البيرة الخالية التى تجعل من بارسى مجرد ديكور . إنه يكره الفنانين الذين يتناولون البيرة . يعتقد بارسى أن الفنان لا يجب أن يشرب أقل من الكوروازيه أو على الأقل الكونياك ذى النجوم الثلاثة أو البوردو . النساء أيضا عليهن تناول البوردو أو الكيانتى أو البرنو . لا يستفسر أحد منهم عن أين كانت ليلى . ليلى تتجه وتجلس بجوار حكمت . وحين تجلس أذكر لحكمت عرضا أن ليلى آزاده ترددت على المستشفى خلال الأيام القليلة الماضية مرارا وكانت قلقة على حالة ابنة أختى . لا يبدو كلامى عنها لدى ذاك الجمع أحمق أو غير واقعى . لا يبدو شئ فى ذلك المكان أحمق وغير واقعى .

ويسأل حكمت (وكيف حالها)

فأرد (ليست بخير ، كما هى) ويكتفى حكمت بقوله (كلها على الله ، إن شاء الله سوف تتحسن) وأشكره .

لكن الحوار حول الموسيقى ، ويبدو أنهم كانوا يتحدثون قبل دخولنا عن أمين الله حسين وشوبان وشايكو فسكى .

قال بارسى (إذا لم يكن حسين أفضلهما فهو لا يقل عنهما شيئا)

رد حكمت (مقارنة حسين بشايكوفسكى وشوبان أمر أحمق)

فقال بارسى (إذا لم يكن حسين أفضلهما فهولا يقل عنهما شيئاً)

— (أنا لم أقل أن أعمال أمين الله حسين حمقاء أو أن سيادتك

أحمق معاذ الله ، خرس لسانى ، قلت إن مقارنة حسين مع شايكوفسكى وشوبان أمر أحمق)

- (إذن مقارنة خاك درميخانه أو التراب فى الحانة تأليف سعادتك بالحرب والسلام لتولستوى أو بمسخ كافكا التى كتب عليها نقدا أخونا إياه عمل أحمق)

قال حكمت (يمكن أن يكون أحمق ، ويمكن أن يكون ذكاء)

ارتدى حكمت فى ذاك اليوم معطفه وبنطاله الجبردين الفخمين ذوى اللون الرمادى الفاتح وتحت معطفه قميصا ورباط عنق رماديا داكنا . وغطى هذا بيالطو أسبور أيرلندى فاتح وعلى عنقه تلفح بشال عنق أطلس عنابى . أما نادر بارسى فارتدى معطفا جلديا أسود وبلوفرا له ياقة دائرية سوداء وبنطالا صوفيا وبوتا أمريكيا بنيا . حكمت له هيئة الدوبلوماسيين وبارسى هيئة المخرجين الطغاة التشيكوسلوفاكيين .

قال بارسى (هذه المقارنة أمر أحمق)

فرد حكمت (هذه أيضا أمر قليل الظرف أو العقل يا بارسى بيه)

فقال صفوى (كيف نقُصّ هذه المناقشة فى نفس هذا الموضع بالمقص يا أصحابى ؟)

قالت علايى هانم (أحسنت ، أحسنت)

قال صفوى (نعم ، لنذهب ونتناول الغذاء فى أى مكان ثم نتحرك ونزور القصر)

فقال الدكتور كوهسار (حبيبى تناولنا جميعا الإفطار من ساعة واحدة لنذهب أولا لنرى القصر ثم نتاول الغذاء) .

- (لو وافقت البقية أيضا)

- (السيدات ماذا يقترحن ؟)

السيدات لا يبدين اعتراضا على أحد . إنهن لا يتدخلن فى مناقشات حكمت وبارسى العقلية .

الجو ليس لطيفا حول المائدة بسبب جدالهما .

قال بارسى (يبقى أمل فى قلبى وهو أن شيئا يود الخروج من فمى ويقع موقع اهتمام حكمت بيه)

- (أنا مهتم به)

- (فماذا يتعين عمله لكى تهتم به ؟ لا بد أن نعمل لدى المخابرات البريطانية ؟)

- (لا - لكن يمكنك أن تقتصر على السحب التدريجى للفلوس من إيران بالنصب والاحتيال)

- (هذا بدوره لا يتصل بأحد)

ويضحك حكمت ثم يتوجه إلى كوهسار قائلا (الناس استرزقت)

ويضرب بارسى بأطراف أصابعه فوق المائدة

قال حكمت (أنا ؟ أنا الذى يهدد كالأطفال ؟)

فقال صفوى (يا حكمت بيه .. إننا جميعا نحبك)

ويقهقه حكمت وينظر نحوى . لا أفهم قصده . لا بد أنه يفكر في أن صفوى أو بارسى أو خاله أو الثلاثة جميعهم اتفقوا على إخراج فلوس من إيران عن طريق أختي . وينادى صفوى الجرسون ويطلب كشف الحساب وحين يأتي الحساب تثور جلبة لاختطاف الفاتورة ويسدده حكمت .

نحن تسعة أشخاص ومعنا سيارتان ، مرسيدس الدكتور كوهسار وسيتروين بارسى .نغادر محطة مترو فرساى صوب موقف السيارات أمام بوابة القصر . يستقل حكمت وكوهسار وليلى ومعها السيدتان المرسيدس وأستقل ومعى صفوى وخال بارسى سيتروين بارسى . ويقص خاله أن أخاه كان يبيع في سوق طهران الحديد وسافر العام الماضى إلى أمريكا واشترى في لوس أنجلوس سوبر ماركت . يقول إنه يكسب كل يوم خمسة آلاف دولار .ويسترسل أنه نفسه يود الذهاب إلى لوس أنجلوس حين ينتهى حظر دخول الإيرانيين أمريكا ويشترى محطة بنزين .

وأمام قصر فرساى نغادر السيارة وندخل سائرين بالتدريج باحة مبلطة بالأحجار ونتجه صوب باب الدخول الصغير . لا أعرف أن صفوى لا بد أنه كان (يتكتك) لأجل أن يبقى بارسى متخلفا خلف حكمت وبقية الشلة لأنه منهمك بالحديث مع بارسى .

تقع أمامنا القصور العتيقة الحجرية ولا يزال يظهر حتى الفناء ذو الأرضية الحجرية المتسع القديم والتاريخى .

يسأل صفوى (لم تفعل شيئا حيال المنزل .. يا بارسى بيه)

- (أى منزل ؟)

- (منزلك أنت هنا الذى تريد أن تعطيه للأخ قائم مقامى بك فى مقابل أن يسلمك فى طهران « مطبعة المكتب » من ابن عمه)

فقال بارسى (نعم - تَمَّ هذا الأمر - أرسلوا أيضا عقدها إلى ووقعته)

- (صحيح ! أنت يا باشا شاطر جدا)

- (سنحت لنا الفرصة)

- (وأشهدت عليه معارفك ؟)

- (كان وقتها الأصدقاء ، قاموا بمساعدتى)

- (بالذمة أنت ذكى جدا وشاطر ، مبروك)

- (شكراً)

- (هل سلمت المنزل إليه هنا وتسلمه)

- (أجل ، أمس)

- (بالتوفيق)

- (أشكرك)

- (ماذا تريد أن تعمل بالمطبعة ؟)

- (أخى لديه مشتر لها فى طهران . بمبلغ محترم)

وحين ندخل تشترى ليلى تسع تذاكر وتسأل (هل يريد أحد زيارة حجرة الملك والملكة ؟) ولا أفهم قصدها

فيقول صفوى (نعم .. إنها فى الواقع مكان يستحق الزيارة)

وتوافقه علايى هانم وكاركر هانم

- (جلال ؟)

- (لا)

- (كم تذكرة أقطعها ؟)

فيقول بارسى (لماذا تزعجين نفسك ياست ليلى ، إسمحى لى)

لكن ليلى دخلت الصف ولا تخرج منه .

ويشرح لى صفوى : يلزم تذكرة من أجل دخول القصر بوجه عام ويلزم تذكرة منفصلة لرؤية حجرات الملك والملكة . كم عدد زائريها ، أعتقد أن حكمت وكوهسار والسيدات وخال بارسى يريدون قطع تذاكر لهم لدخول حجرات الملك والملكة .

ويتحدث صفوى لنا عن لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر اللذين بنيا واستكملا فى القرن السابع عشر (القصر) ويشرح لنا المكانة العامة للقصر في تاريخ العمارة والفن وعظمة حياة البلاط حين تعود ليلى وبارسى . ونبدأ جولتنا من نفس ذاك المكان .

فيما عدا الحدائق ينقسم سائر القصر إلى ثلاثة أقسام : القصر الأصلى، القاعة الكبرى ، القاعة الصغرى . ويشمل الطابق الأول فوق المعبد الملكي وبضعة مقرات لجلوس الملك وبقية رجال البلاط الصالات العديدة والمنقوشة كلها وهى ثمانى الست الأولى منها سميت بأسماء آلهة اليونان . صالة هركول وصالة فينوس وصالة ديانا وصالة المريخ وصالة الزهرة وصالة أبوللو . وكنا لا نزال فى صالة هركول حين يبتدئ حكمت وبارسى

مرة أخرى الشجار . وكانت ليلى إذا ذاك على مسافة فاصلة عنهما أسبق منهما فتأتى بجانبي وبجانب صفوى . يأتيني وسواس مرارا بأن أعود وأخرج من القصر . قال صفوى (فى الحقيقة أمر مؤسف)

فردت ليلى (·هما كما لو أنهما من أطفال المدارس يتخانقان بزعيق وجلبة بسبب كل شئ)

ويتساءل صفوى (ما هى المشكلة فى الأصل ؟ ألا يزالان يتشاجران بسبب الفلوس أم بسبب الفن ؟)

– (بسبب كل شئ)

– (كان هذا خلافا بينهما منذ سنوات مضت . هذا من أربع عشرة أو خمس عشرة سنة مضت)

فسألتها (أى خلاف ؟)

– (ليس على قدر من الأهمية . كانت فيما مضى مجلة يديرها حكمت وصاحب الامتياز بها . ثم طبعت بها مقالة حول مسرحيات بارسى التى كانت تعرض فى ذاك الوقت على مسرح جامعة طهران والمسرح الصغير لجمعية إيران و أمريكا وكانت ذات جمهور. وذكرت المقالة أن كل أعمال بارسى بلا محتوى وما هى إلا تقليد بدون أساس للشكل والصيغ الغربية . فنفر بارسى من حكمت من ذلك الوقت . لكن يجب أن يكون كل هذا طواه النسيان الآن) .

وتضيف ليلى (نعم ، تذكرت . كان هذا منذ زمن طويل . أكثر من خمس عشرة سنة . وحكمت لم يكن له دخل أصلا فى موضوع المقالة .

كان حكمت نفسه خارج إيران إذ ذاك . يعنى كان حكمت فى أمريكا حين صدور هذا العدد من المجلة . كان العاملون (بالمؤسسة) هم الذين يخرجون المجلة) وندخل من صالة فينوس صالة ديانا .

فيرد صفوى (نعم ، ربما أكثر من خمس عشرة سنة مضت)

لكن الاثنين معا بعيدان عن هذه المرحلة فكل رجل كان تنظر ليلى إليه كان بارسى يود اقتلاع رأسه . أذكر كيف كان بارسى فى تلك ليلة رأس السنة فى مقهى دولا سانكسيون ينظر بغيظ إلى جان إدمون .

ونعبر صالة أبوللو ونلف لندخل (قاعة المرايا) . ولم يعد يسمع بعد صوت من حكمت وبارسى . قاعة المرايا فضاء طويل ومتسع ومفتوح طولها بين ٨٠,٧٠ مترا . كل شئ فيها هادئ مسالم ، يغمرها النور والفن والتماثيل والتابلوهات .. تقريبا كل شئ يدور حول حياة لويس الرابع عشر وانتصاراته على سبيل المثال . تصطف على جهة واحدة النوافذ الكاملة وينعكس نور الشمس الداخل لتوه على أرضية القاعة الذهبية ، وعلى مدخلها ومخرجها تنتظم انتظاما خاصا التابلوهات والتماثيل والأشكال . وعلى كلا الطرفين بطولهما توضع شمعدانات كبيرة . وفوق أيدى تماثيل بنات صغيرة بشكل الملائكة ، تضئ الشموع البيضاء . وسقفها المنحنى كله منقوش . وطبقا لكلام صفوى هنا فضلا عن الذكريات الفنية المتصلة بلويس الرابع عشر تقوم تماثيل عدة لأباطرة الرومان وتماثيل كاملة للآلهة اليونانية . باكوس إلهة الخمر وفينوس إلهة الحب وهرمس إله اللصوص والتجار ونمسيس إله الانتقام والثأر . جبنا تقريبا كل القاعة ولحظة أن وقفنا

أمام تمثال فينوس إلهة الحب ، والجمال والربيع وتفتح النور إذ ينبعث فجأة من نهاية القاعة صوت شجار وخناق واشتباك ، أدير رأسى وأنا على ثقة من أن ليلى آزاده وأحمد صفوى أدارا رأسيهما أيضا . هناك بين تمثال بوذى وشمعدانين على يد تمثال لبنت بصورة الملاك اشتبك عباس حكمت ونادر باريس أحدهما فى خناق الأخير بصورة جادة . فى الواقع بارسى هو الذى كان يوجه لكماته إلى وجه حكمت وأذنيه وفمه وخيشومه وقد طار شال عنق حكمت فوق رأسه وسقط من فوق رأس بارسى قبعته ذات الحافة الواحدة والزغب واختلط قليل الشعر الأبيض فوق رأسى حكمت وكانت صلعة بارسى المشكلة الألوان البراقة تصول وتجول كالطائر المخضب بالدماء .

صرخت ليلى (آه ، يارب أموت !)

وزعق صفوى (يا سلام ، يا للفضيحة !)

وقالت ليلى (لنسرع ونفض شجارهما)

ولا أبذل أنا تعجلا .

فقال صفوى (اتركيهما ، ولنستمر يا هانم . لنذهب حتى يسوء الأمر أكثر وتزيد الجلبة) - (لا ، آه ، تعال لنحجز بينهما ، تعال يا جلال !)

تسرع ليلى وصفوى ناحية الخط الأمامى للجبهة وأتعقبهما ببطء ، لكنهما حين تنقضى المدة التى يقطعان بها سبعين مترا هى طول قاعة المرايا تمكن خال بارسى والدكتور كوهسار من الحجز بينهما إلى حد ما وأخرجا حكمت بأى شكل بدا لهما من ممر صالونات الآلهة اليونانية ، وأسرعت ليلى وراء حكمت ، وتبعهما أحمد صفوى واستلفتت الواقعة انتباه اثنين أو

ثلاثة فقط من السياح المدهوشين ، ثم لاشئ بعد ذلك وحين أواجه نادر بارسى كان ممتقع اللون كالكركم وترتعش يداه ،. وبقيت أنا وهو وخاله أمام تمثال الامبراطور يوليوس قيصر وتمثال بوذى عار تماما مخجل ، كان خال نادر ينصحه ويواسيه الأمر الذى كان يفعله مع نادر طوال عمره .

لا أعرف أى تصرف خاطئ أتصرفه . فأخشى أن أتقدم وأضع يدى على كتف نادر . ولو نطقت بكلمة لأمكن لأحدهم أن يظن هذا عداء منى له . لكنى ونادر ابنان لجنوب طهران كلانا ولم أكن أريد التخلى عنه فى ذلك الموقف

قلت له (هيا نخرج يا نادر ونتناول شيئا)

فيكتفى بقوله (ماشى)

- (أنهيت جولتك بفرساى !)

- (لا ، ما الذى انتهى ؟ لنصعد لأعلى)

- (هذه هى زيارتنا لفرساى ! تعال الآن واشرب شيئا . أثرت أعصابك)

ونعود إلى قسم من الدهليز الأصلى الذى يباع به التذاكر والكروت البريدية وخليط الهدايا . وبأحد المواضع مقهى وبار . لحسن الحظ أن ليلى وحكمت والبقية غابوا . الاحتمال الأكبر أنهم خرجوا بحكمت ، لعل أعصابه تهدأ .

أطلب قهوة ويطلب بارسى كورزايه دوبل ونفس الطلب الثانى يطلبه خاله بغمزة من عينيه وحاجبه وإشاره أصبعه . لا يزال الخال يهمس بأشياء فى أذن بارسى خفية . ويكتفى بارسى بهز رأسه وينفث دخان سيجارته . لا تزال يداه ترتعشان . ركبتاه أيضا تهتزان أمام كرسى البار . يغلب عليه القهر والتشتت أكثر من الوهن والضعف .

بعد فترة أخاطبه (لا بد من أن أرجع يا نادر)

قال (إننا فى الأصل نعيش بشكل تلقائى)

– (هل تريد منى شيئا ؟)

قال (إننا فى الأصل جميعا نعيش بشكل تلقائى ! كلنا جميعا أشقياء ونسخر من أنفسنا . أى تمدن وفن لنا ! لابد أن نحتسى المرق ، نصفع ونجلس عنوة فى زاوية . ننام ونموت)

– (استودعك الله يا نادر)

– (انتظر دقيقة – سوف أوصلك)

– (لا .. أراك فيما بعد)

– (هل تظن أننى لا أستطيع توصيلك ؟)

– (أراك فيما بعد) لا أدرى السبب فى احتراق قلبى من أجله .

قال (ابن الكلب يقول إنك هربت من إيران وخرجت بطريقة غير قانونية وعلى هذا فيمكن أن تصادر كل ممتلكاتك . يقول لاقدر الله ، الله أن يهم أحد ويخبرهم بماذا ماذا تمتلك بإيران . كأن الجميع مثله لاشرف

لهم ويقبضون مرتبات من البى بى سى)

فقلت (نادر أستودعك الله الآن)

قال (إنتظر أوصلك)

- (لا ، ابق كما أنت حتى تهدأ أعصابك)

فيضحك (لم تهتز أعصابى كثيرا ، وحياتك ، لكننى ضربته)

- (يا خبر !)

- (منذ سنوات وأنا أريد أن ألكم وجهه)

- (مع السلامة يانادر)

ولا أنتظر بعد وأخرج من البار وأغادر القصر أيضا وأخرج من البوابة الحديدية الكبيرة أيضا وفى مكان انتظار السيارات رحلت سيارة كوهسار المرسيدس الزرقاء التى كانت تقف بجانب سيارة بارسى السيتروين . وأعود على قدمى صوب المحطة . الطريق ليس طويلا وإنما هو جزء من شارع واحد ثم يلف يمينا . وحين أعبر من أمام المقهى بجوار المحطة ألمح سيارة كوهسار وأنظر من خلال زجاجها فأرى ليلى وصفوى وكوهسار جالسين . ليس معهم حكمت . السيدتان الأخريان غائبتان أيضا ولعلهما لا تزالان بالقصر .

وترانى ليلى وتنادى على وعليه أدخل المقهى . جلسوا إذ ذاك حول منضدة صغيرة . طلب صفوى وكوهسار الغذاء . وليس أمام ليلى غير البرنو وتشرب سيجارتها . أجلس بجوار ليلى . لا أميل إلى الجلوس وأريد الرجوع

بعجل . أشكر صفوى وكوهسار لدعوتهما لى .

تقول ليلى (أجلس فقط وأشعل سيجارة ثم أرحل) .

وأجلس وأخرج سيجارة حالما أنظر إليها ، لا يبدو أنها مضطربة أو متغيرة كثيرا ؛ تقول (عراك تاريخى !)

– (أوه)

– (هل أنت بخير ؟)

أرد (اسمعى يا ليلى أنا سأعود على أول قطار إلى باريس)

– (وما الداعى ؟)

– (لا أعرف ، أرجع ، أرجع المستشفى)

– (أجلس خمس دقائق واحك لى ماذا كان يفعل بارسى ذلك ؟)

– (دعيهما)

– (طيب ، ماشى)

كوهسار وصفوى تقريبا يناجى أحدهما الآخر فى محادثة ويتناولان غذاءهما وتشعل ليلى سيجارة أخرى لها وتقول لى (أنا آسفة لبارسى)

– (لا تأسفى . كانا يقومان بهذه التصرفات فى السويقة وداخل المدرسة)

– (هل رأيته ؟)

– (كان يجلس فى البار)

– (ما حالته ؟)

- (فقط أعصابه منهارة)

- (ماذا كان يفعل ؟)

- (كان جالسا يشرب الكوروازيه)

- (ما كان يجب أن يفعل ما فعل)

- (لا تتحدثى عنه ثانية)

- (كلنا فى غيبوبة جميعا والله العظيم)

- (لا !)

- (خمنى إلى أين ذهب حكمت ؟)

- (يأتى بالشرطى)

- (لا . ذهب إلى كشك التليفون الذى خلف المحطة)

قلت (دعيهما)

- (ذهب ليتصل بطهران تليفونيا)

- (ليعدد ممتلكاتى ؟)

- (يعرف واحدا فى اللجنة المركزية القضائية للثورة . ذهب ليتصل به ويبلغه أن نادر بارسى اشترى مطبعة مكتب أخيرا بطريقة غير مشروعة . ذهب ليعطيه عنوانه ويبلغ عن كل شئ يريد نادر أن يبيعه هناك ويخرج قيمته)

- (اتركيهما)

– (قلبى يحترق من أجل حكمت أيضا . أكل علقة سخنة !)

– (لا تطرى حكيتهما ثانية)

ويتجه أحمد صفوى فى لحظة غير عادية إلى كوهسار قائلا (جناب الأستاذ الخيام يقول : هذا الفلك الذى نحن فيه حيارى / نعرف مثالا له فانوس خيال / الشمس مشكاة والعالم فانوس / ونحن كالصور حيارى فيه)

ويخفض كوهسار رأسه بتؤده . ثم يتوجه بعد إلى ليلى مع أنه لا توجد زجاجة خمر ويقول بحركات يده وبلهجة كأنه أدار ظهره لأكثر معضلات تاريخ العالم عمقا وعظما (سيادة ليلى هانم آزاده العلية .. أنا أشرب ثانية هنسى دوبل .. ما رأى معاليك فى دوبل آخر من البرنو ؟)

– (مرسى)

– (وصفوى بيه ؟)

– (نفس هذا المشروب المعدنى طيب ، أشكرك)

– (صديقنا ، آريان بيه ؟)

– (مرسى)

– (إذن هنسى دوبل وبرنو دوبل ومرسى دوبل) ويضحك متكلفا ويشير إلى الجرسون ويقول صفوى (آريان بيه هل سمعت ما قاله الدكتور صاحب السعادة ؟)

– (ماذا قال ؟)

– (قال أن مطار مهر آباد انفتح وسوف تطير إلى أوربا وتعود ثلاث أو أربع طائرات من « الخطوط الإيرانية) أسبوعيا »

ولا أحير جوابا كان لابد من أن أقول (مرحى ، هورا !)

وأجلس برهة مطرقا بينما يتبادلون الحديث .

خلف موقع ضرب المحطة الثانية عشرة كان كلا الجانبين يتراشقان الضرب والقصف الشديدين . كنت أنا وفشاركي نقبع بنهاية المتاريس وننتظر عربة جيب لتحملنا إلى مقر الترميمات . بضعة جنود شباب بعد أن أدوا صلاتهم أخذوا يقومون بتمرينات وتدريبات رياضية وهم يتقدمون خطوتين قائلين بصوت مرتفع واحد - اثنين - ثلاثة شهداء - واحد - اثنين - ثلاثة شهداء ! كانوا يبعثون فى قلوب الآخرين القوة والجرأة . وبعد ذلك تهبط قذائف مدفع هاون وتنفجر أمامنا بعشرين متراً . وأخفيت رأسى داخل المتراس ، لكن حين رفعت رأسى لأنظر رأيت ذراعا انفصل عن كتفه يطير فى الهواء عاليا ثم يهبط ويسقط فوق عنق فشاركى .

وحين يعود الجرسون بكؤوس الشراب أقف ، وتريد ليلى أن تصاحبنى حتى باب المحطة فأقول لها لا المطر يسقط ، وأستودعهم الله وأخرج وأعود إلى المحطة تحت الأمطار . المطر يشتد أكثر فى باريس ، وقبيل الغروب أتقدم من محطة أوديون ولا أرجع إلى الفندق . وأنزل سائرا من شارع سان جاك والمطر يتساقط من وجهى وأدخل المستشفى . لا أنسى ما حييت هذا الغروب الملعون .

- ٣٠ -

ثريا ليست فوق سريرها .

أبحث عن جورجيت لوبلان ، جلست داخل مكتب مارتن السابق وأراها من خلف الزجاج . جلست امرأة كذلك بمواجهتهما . أُدخل المكتب ، المرأة التى أعطت الباب ظهرها هى مدام كريستيان شارنو . جلست على كرسى (فيبر جلاس) غير مستريحة أحنت ظهرها للأمام وألقت بقدم على أخرى وأسندت ذقنها على راحتها ومرفقها فوق ركبتها . كانتا لا تتبادلان حديثا فى تلك اللحظة . كانت كريستيان شارنو تدخن سيجارتها . الأمر الذى لم أرها تفعله مطلقا من قبل فى المستشفى . أشعر أن شيئا سوف ينفجر فى قلبى .

أسأل (أين ثريا ؟)

- (مساء الخير ياسيد آريان)

- (مساء الخير ياسيد أريان)

- (مساء الخير أين ثريا ؟)

لا تتقدم نحوى كريستيان شارنو كعهدها بى وتمد يدها لتصافحنى ، ترفع يدها وحسب من تحت ذقنها .

- (تفضل بالجلوس)

أحدج بنظراتى جورجيت لوبلان (أين ثريا يامداموازيل ؟)

- (ثريا فى قسم الرعاية المركزة)

(بخير ؟) أعود وأنظر إلى شارنو .

- (ليست بخير)

- (هل جد جديد ؟)

تقول جورجيت لولان (.. وضعها العام ودلائل حياتها أخذت فى الضعف بالتدريج .. أراد الدكتور أن أخبرك بذلك)

إنهم لم يتصرفوا فيما مضى مطلقا بهذا النحو وأشعر بالفزع من عبارتها الطبية أن وضعها العام ودلائل حياتها أخذت فى الضعف . كريستيان شارنو تمسح الآن طرف عينها بمنديلها . أعرف أشياء لابد أن أفهمها .

- (هل يمكن أن أراها ؟)

- (الزيارة هناك ممنوعة يامسيو)

- (من الدكتور الذى يعالجها ؟)

- (الدكتور مونيه هنا ، موجود فى كونسلتو)

- (إذن لا يمكن أن أراه ؟)

تقول جورجيت لوبلان (هناك مثل يقول يجب أن نكون مستعدين للأسوأ وعلى أمل فى الأحسن) ثم تخرج من المكتب .

وتقول كريستيان شارنو (الأفضل أن تجلس ياعزيزى مسيو آريان . تحدثت مع الدكتور مونيه فى رسم الـ E. E . G عصر الأمس . لم يكن لدى ثريا رد فعل على الفولت ٤ موجة فى الثانية)

- (أوه ياربى !)

- (نعم)

- (ما هو ضغط دمها ؟)

- (كانت تقول ما لا يزيد عن اثنين تقريبا ونبضها شديد)

- (اثنين ؟)

- (الأكثر إفزاعا من كل هذا أن ثريا كأنها أصيبت بنوع من الالتهاب الرئوى bronchopneumonia وهو المرض السئ فوق المعتاد فى مثل هذه الحالة)

- (كيف أصيبت بهذا الالتهاب الرئوى ؟)

- (الضعف .. لكنها لم تحرك ساكنا لهم بالأمس بإجراء الـ E . E . G لها . لم يبد مخ ثريا رد فعل أيضا مع الفولت القوى)

وأتذكر أن الدكتور مارتن كان قلقا من أول يناير من حالة (إيزو الكتريك) المخ هذه .

– (وماذا يفعلون الآن ؟)

– (أفضل المحاولات هى أن يحتفظوا بدلائل حياتها الضعيفة بأى طريقة)

– (لا تتألم ؟)

– (لا أظن ..) وتصعد زفرة (كما يقول مونيه ثريا دخلت حالة تسمى طبيا سندروم موت المخ أو موت الحس بالمخ)

– (سندروم موت المخ ..)

وتتأوه كريستيان شارنو

– (عزيزى آريان أعتقد أن النهاية اقتربت) .

وأستند على الجدار وأغطى وجهى بيدى لا أريد أن يرى أحد دموعى المنحدرة . وبعد برهة أجلس على كرسى آخر قدمته إلى كريستيان شارنو وآخذ منها السيجارة التى مدتها إلى .

شئ ما يصرخ داخل حلقومى .

– (ماذا أقول لأمها ؟)

– (ماذا قلت يامسيو ؟)

أنظر فى وجهها يبدو بعيدا لا معنى فيه

– (أمها .. أفكر فى أمها)

– (نعم .. يجب أن تقول لها .. مع أنه ليس حتى الآن أمرا مقطوعا به .. صديقها ذلك كان هنا أيضا)

– (من هذا الصديق ؟)

– (ذلك الطالب النحيف – الملتحى . قاسم)

ولا أحير جوابا

– (كان هو أيضا قلقا للغاية .. أظن أنه ذهب إلى فندقك)

ولا أقول شيئا وإنما أهز رأسى .

وتمض لحظة أخرى من الصمت .

وأقول (بعد كل هذه المدة ..)

– (وكل هذه الثقة .. و .. كل هذا الانتظار)

(لا أعلم)

– (c'est la vie)

– (حتما)

– (كان يمكن أن تحدث لأى شخص)

– (لكنها حدثت الآن لثريا)

– (عموما تحدث للأفضل)

– (ليس إنصافا)

(Mon Dieu, non لا يا ربى)

لا أذكر التى متى ظللت تلك اللية فى المستشفى . لم أسمع إجابة شافية ولم يأت إلى القسم الدكتور مونيه ، خرج من المؤتمر ليدخل حجرة عمليات أخرى . ذهبت خلسة مرة أنا وكريستيان شارنو إلى نهاية الدهليز حيث (قسم العناية المركزة) الذى نقلت إليه ثريا ، ورأينا من خلف الزجاج السميك ثريا تحت قناع تتصل به الأسلاك واللوالب الكثيرة . بدأ محياها أكثر نحافة بل لا يظهر منه شئ تحت القناع أصلا غُطِّى حتى ذقنها بالملاءة كأنهم فرغوا لتوهم من لفها ثم تركوها جانبا .

أحبت شارنو أن تأخذنى ليلتها إلى منزلها فشكرتها . أردت أن أختلى إلى نفسى قلت أريد أن أحادث أمها ، فأوصلتنى بسيارتها حتى بداية شارع مسيو لوبرنس . إتجهت صوب الفندق تحت الأمطار ، ونظرت من خلف زجاج صالة الفندق إليه وأطرافه ولم أر قاسم يزدانى أو أحدا غيره ممن أعرفهم . لم يكن لدى قدرة على الصعود ، فعدت أدراجى إلى ناحية شارع سان ميشيل وتقدمت حتى شاطئ النهر وأخفيت بقبعتى عينىّ .

عبرت (الكوبرى الجديد) ودخلت (إيل دولا سيتيه) ودرت يسارا من الطرف الأمامى لقصر (جُستيس) . كل المكان ساكن صامت . عبرت النهر حتى مدخل الجزيرة الضيق . نفس الجولة التى سرتها ماشيا مع ليلى فى تلك الليلة ، الليلة الثانية من قدومى إلى باريس فى هذه الرحلة . لكن كأن قرنا مضى عليها ، وكأن النهر نهر مختلف والأمواج به مختلفة . لا أرى مانعا من أن ألج الماء شيئا فشيئا بنفس حالتى حتى أبلغ وسطه . أبلغ نهاية اليم . أغوص تحت الأمواج . حتى قاع النهر . بل أسفل طينه . لا تكن جبانا ياسيد آريان ! مساء الخير ياسيد آريان .

آخر نقاط (إيل دولا سيتيه) الغربية لوسط نهر السين محصور بالحدائق وسورها الحديدي المرتفع . الشارع الضيق الذى يصل نقطة رأس الجزيرة يصرخ بأسفلته المبلل تحت قدمى .كل ملليمتر مربع من هذا الأسفلت يرفع من عمودى الفقرى صدمة ورسالة مستقلة . هذه النقطة بعينها التى جلست فيها ثريا فى أحد أيام الربيع الماضى وكتبت إلى فيها وأنا بعبدان رسالة مطولة . (خالى الحلو والعزيز جلال : لا تدرى مبلغ سعادتى فى هذه اللحظة التى أكتب إليك فيها هذه الرسالة لكى أقول لك إنى أحبك . أنا الآن فى أحد أيام الربيع أواخر شهر أبريل وفى نهاية نقاط الناحية الشرقية لإيل دولا سيتيه ...) .. التفت يمنة ويسرة . أطل ركام العمارات الشاهقة فى ظلامه ونوره عابسا ومنفردا . أمام ناظرى ماء النهر المائج تحت جنح ظلام الليل والنور المتقطع للمصابيح والقوارب . يسير وينزلق بتكاسل نهر الزمان العجيب ، والحياة ، والأمل فى حركة . يتحرك فى ظلال وفى نور ، سكرانا ، مثل حبى لليلى . لكنه يمكن أن يتحول إلى نهر قارون أو أن يكون نهر دجلة الذى تأبط عبدان وجدفت فيه ثريا وخسرو فى يوم الجمعة ذلك بذاك القارب . أو يمكن أن يكون نهر بهمن شير الذى دخلت منه تحت نيران الحرب إلى الخليج الفارسى . أو يمكن أن يكون نهر النيل الذى احتوى فيه آخر ملوك إيران مومياء . أو يمكن أن يكون نهر الفولجا أو ميسورى . أو الأمازون أو نهر منجل . أجلس فى ناحية لعلها مخبأ صناديق جامعى القمامة . يفوح منها رائحة العفن والنتن . أشعل سيجارة ، ياله من يوم !

أتيت هنا وأن فى خضم أكبر تحولات مصيرى ومصير عشيرتى وقومى .
أتيت هذه الناحية ، وسط هذا الظلام ، تحت هذا المطر الغزير ، على شاطئ هذا النهر الثمل ، فى زاوية هذا المقلب للقمامة ، أبكى بالعربية . اللغة الفارسية لا تسعف آلامى . وأنا أيضا أجهل الفرنسية . أنا فى الزنزبار وأتحدث (بالسواحلية) . أنا فى مركز طوفان واقعى الذى لم يخترع من أجله حتى الآن لغة . ولا يأبه به أحد! من ناحية الخريطة الجغرافية فأنا موجود فى باريس . فى فرنسا . طبق التقويم الميلادى ، أنا فى أواخر القرن العشرين . لكنى فى الزنزبار ، فى بداية عهد التشتت والضياع . وفى الزنزبار يرسمون الخرائط الجغرافية على رمال شاطئ البحر . ويكتبون التاريخ بلعاب الميت . فى الزنزبار تسير التقاويم والساعات إلى الوراء . فى الزنزبار بعد تغيير النظام أساتذة الجامعة هم سائقو التاكسيات . وسائقو التاكسيات هم صناع البللور ، وصناع البللورهم المدعون العموميون . والمدعون العموميون هم صناع الطباق وصناع الطباق هم رجال الشرطة ورجال الشرطة هم من يخضون اللبن ومن يخضون اللبن هم مهندسو المصانع ، والمهندسون هم طباخون الكوارع وطباخو الكوارع هم رؤساء التعليم العالى ورؤساء التعليم العالى هم سرقة السيارت وسرقة السيارات هم صانعو الحصر وصانعو الحصرهم الدعاة الدينيون ، والدعاة الدينيون هم سائقو البلدوزرات وسائقو البلدوزوات هم بائعو البقول وبائعو البقول هم السناتورات والسناتورات هم مركبو الأسنان ومركبو الأسنان هم النائحون فى التعزية والنائحون هم مأمورو توزيع الأناناس ومأمورو توزيع الأناناس هم مجلدو الكتب ومجلدو الكتب هم

قواد الطائرات العمودية والقواد هم غاسلو الموتى لأن غاسلى الأموات هربوا إلى البلد المجاور . يولد الأطفال من القبر . الأطفال الرضع يولدون من البداية بالشوارب والصوف ، ثم يتحولون شيئا فشيئا عن سن الرشد ويخطون مرحلة سنوات العمر الأخرى . الشباب بعد عهد الشباب والقوة والحركة ينسون بالتدريج المشى والوقوف وينسحقون ويزحفون على أيديهم وأقدامهم ، وفى آخر العمر يعودون إلى أرحام أمهاتهم التى ترتوى من فضلات نهر التايمز .

أثناء العودة إلى الفندق أشعر بنفسى أيضا أن وقائع هذه الرحلة تمضى إلى نهايتها . لا يزال المطر الغزير يتساقط ويغمرنى البلل حتى النخاع . أتقدم متثاقلا مع أن عقرب مخى البعيد الإشارة يقذف إلى الخارج من قفصه الرمادى الذى يشبه المهرج . أنزل من طرف شارع سان جرمان . هواء باريس تماما مثل غروب اليوم الأول الذى نزلت فيه إلى هنا فى هذه الرحلة من مطار أورلى . المطر بدوره كأنه نفس ذاك المطر . ونفس الرياح ، نفس الشارع . هناك مقهى دانتون حيث كنت أتبادل مع صفوى وبارسى عابث الحديث .. هناك شارع دزكول حيث تعرفت بمدموازيل آدل فرانسوا ميتران والتهمت مقانقها وكان خردل ديجون عليها طيبا مع أنه كان حراقا قليلا . un peu trop fort . ca هناك حيث نلف صوب شارع سان جاك ومقهى لا سانكسيون . هناك حيث تجولت مع ليلى سائرا فى إيل دولا سيتيه . هنا ناصية شارع وجيرار حيث كان السيد مير محمدى ليلة رأس السنة يضرب بجلبة شكمان سيارته (الأيودى) أسفلت الشارع . هناك

على منحنى شارع مسيود لو برنس حيث أنزلتنى فى تلك الليلة السعيدة قبل يناير ليلى وأعادتنى إلى الأحلام والآمال . لكننى لا أجد فى أى موضع قط من هذا الشارع أثرا أو تذكارا من ثريا الفتية ، مع أنى واثق أنها مرت به آلاف المرات ، كأنها ماتت قبل أن أصل أنا .

لا يزال المطر يتساقط خفيفا حين عدت إلى الفندق . وقف سوموبخو بزيه وحقيبته وقبعته بجوار المنصة يتصفح جريدته . يتكلم الشاب المناوب بالليل فى التليفون . تؤخذ المرأة الصغيرة ما إن ترانى بهذه الحالة . ألقى تحية المساء وآخذ المفتاح بدون كلام وأتجه إلى المصعد .

– (مسيو آريان .. كيف حالكم ؟)

– (آه ، شكرا)

– (كان اثنان من أصدقائك هنا)

– (هل تركا رسالة ؟)

– (لا .. كيف الأحوال فى المستشفى ؟)

أرفع كتفى

– (آمل إلا يكون وقع مكروه ..)

– (لا أدرى)

– (قال صديقاك أن الأحوال ليست طيبه كثيرا)

– (لا يا مدام موبخو ..)

– (أوه مسيو آريان ..)

– (هل أنت ماشية ؟)

– (لا .. لست مستعجلة)

– (مرسى)

أصعد وأخلع وحسب قبعتي وحذائى وبالطو المطر وأستلقى دون أن أشعل اللامبة مدة طويلة على السرير . التليفون بجانبى . أقرر ألا أخبر فرنجيس بشئ هذه الليلة . الليلة الاتصال بالتليفون ليس دور أحد منا . أقول فى نفسى أتصل بها فى الفجر . لا أحب أن تسمع من طريق آخر سوء ظروف ثريا .

أرفع السماعة وأطلب من الشاب المسؤول عن المكتب أن يصلنى بليلى آزاده . يحاول مرتين ، لكن أحدا لا يرد . أحدهم ينقر على الباب . أنه سومونجو بصينية القهوة والكيك والمواساة أما الشئ الذى يلزم لى هذه الليلة ليس القهوة والكيك والمواساة . يدرك هذا سومونجو . يرفع قبعته ويجلس .

هذه الليلة فى دنياى المتفجرة والممزقة حين أغمى على وتعلّق أثناءها خزانة من الطين اللزج من أفق السماء الدامى . مباشرة بعد آخر هجوم ليلى لأردشير على الدود فى كرمان ، وأنا الآن حتى فى نومى واثق أيضا من أن أصوات الطبل والنقارات التى تعلن عن الحكومة الجديدة تعلو مرة أخرى من طبول إيران الهلالية الشكل فإن أصبع الشخص الوحيد الذى لا يضغط فوق مفاتيح كمبيوتر الحظ لن يكون أصبعى . أول مقاتل يبدو لى يصادف بعد البلبل والبلبل يصادف الشمع والشمع يصادف الكبش والكبش يصادف

البغل والبغل يصادف المجنون والمجنون يصادف صفيحة النفط . وكل واحد بعد الآخر مثل قوالب الطين اصطفت بدقة تحت الشمس ثم تسقط أثناء هبوب الرياح . والشمس لآخر مرة سوف تغرب .. وأثناء هذا الظلام المرتخى والناعم ... أطير مع جثة ثريا فى طائرة الجامبو ٧٤٧ .

كان الليل لا يزال تام الحلكة حين استيقظت وغسلت وجهى ثم جلست على حافة السرير ورفعت سماعة التليفون وطلبت من موظف المكتب أن يطلب لى رقم تليفون فرنجيس . جسدى كله متوجع لا بد أن كل عضلاتى وعظامى أصابها البرد البارحة . الوقت التاسعة صباحا تقريبا حسب توقيت طهران ، ترفع فرنجيس نفسها السماعة . بعد السلام والسؤال عن الأحوال أسألها (ماذا تفعلين يا فرى ؟)

– (كنت خارجة لأقف فى طابور اللبن ..)

– (يوزعون اللبن ؟)

– (نعم .. واللبن لازم لنا) فأتذكر أن عندها ضيوفا

– (لم تتصل الشركة بك بخصوصى ؟)

– (لا)

– (إذن كنت خارجة ؟)

– (لبست ملابسى وأمسكت بعصاى ومعى السلة وكارت المسجد . لماذا استيقظت بهذه السرعة هل لابد أنت أيضا من الدخول فى طابور من أجل اللبن والخبز)

– (لا ، لم أنم ، خذى أجلسى يافرى ، لا أحب أن ترهقى نفسك)

وتصعد فرنجيس زفرة حرّى وبعد (حسنا جدا ، جلست)

– (كـيف رأسك ؟ كنت تقـولين أول أمس أنك تشـعـرين بدوار وصداع)

– (لا أدرى السبب ، كان تعبا مؤلما)

– (ما السبب ؟)

– (ما أعرفه أن رأسى مصدعة . بها دوار . لا أعرف ماذا حدث لى)

– (أنت فى البيت لوحدك ؟)

– (لا .. زوجـة الدكـتـور مـحـمـدى داخل الحجرة الأخـرى . ابنهـا مريض . وهى نفسها تعبانة . هى وأبنها أصيبا بالأنفلونزا)

– (أبلغى سلامى لهم)

وتسألنى (كيف الأحوال عندك ؟)

– (الجو سيئ ، بارد ، مطير ، لاسع ، ثلجى .. وأشياء أخرى)

– (هنا سقط البرد بصورة سيئة .. أرهق كل الناس .. والوقود أيضا معدوم)

– (فرى ، فرى)

– (رأيت البارحة حلما مفرزعا يا جلال)

لا أعرف لماذا أشعر كأنها تعرف ، كأنها تشعر أن ثريا تحتضر . أرد عليها (فرى كأن النوم لن يعاودنا ثانية بالتدريج)

– (ماذا ؟)

قلت (كأنه لن يعود إلينا النوم . هل تعرفين أنك كنت تقولين أن الحياة بيد الله)

– (يا نهار أسود هل حدث شئ ؟)

– (لا .. لا .)

– (أصدقني القول) وأسمع صوت دق فأفهم أنها تضرب بقبضتها صدرها (قل يا جلال قل لى، هل حدث شئ ؟)

– (لا لا لا)

– (والقرآن لابد أن تقول لى كل شئ)

– (قلت لا . هذه هى الحقيقة ذاتها . ألم نتفق على أن كل مايحدث يخبر أحدنا الآخر به بالضبط فى نفس اللحظة . ألم تحبى أن أخبرك بكل شئ بسرعة . حالتها العامة آخذه فى الضعف . لكن لا تشعر بأى ألم . وحتى هذه اللحظة ليس من خبر قاطع . كانت هناك موجودة السيدة شارنو . وكانت قلقة هى الأخرى بالطبع)

– (ألم يقل الأطباء عنها شيئا ؟)

– (هذا أمر مقلق . لا أعرف . كما تقول ممرضتها لا بد من الاستعداد للأسوأ والأمل فى الأحسن)

– (ياروح ماما ياروح ماما ياروح ماما)

– (فرى تحكمى فى نفسك من أجلى . أنا مسيطر على أعصابى من أجلك)

- (والفلوس ؟ أرسلها ؟ ماذا أفعل ؟)

- (ولا شئ تماما ..)

- (هل تحب أن تبيع ذهبها)

- (لا تقلقى بخصوص هذه الأمور ، أرجوك .. سوف أرتب كل شئ هنا كيف ؟)

- (لا تقلقى ، معى فلوس للمستشفى والنقل والانتقالات وكل شئ)

(أنا .... بـ ...)

ولا يدعها بكاؤها من أن تتحدث ويعود صوت دق قبضتها على صدرها .

- ٣١ -

لا يزال الجو مظلما ولا يمكن القيام بأى عمل ، لا أجد فى نفسى جرأة على الاتصال تليفونيا بالمستشفى . فكرة أن أسمع فى التليفون خبر موت ثريا تثير القشعريرة أشعل سيجارة وأجلس بجوار النافذة . أنتظر الصباح أو أنتظر الموت . أشاهد من البلكونة شارع مسيولو برنس على طوله حتى نقطة تقاطعه مع سان جرمان .

الشارع الضيق والرفيع والتاريخى خال لكنه نظيف ومكنوس . يتصاعد بخار من فوهة عين المجارى المفتوحة فى الشارع . وقفت بنهاية شارع لوبرنس شاحنة نقل القمامة . وعلى الطرف الآخر تزج إحدى عربات النظافة بقمامة الشارع داخل مجرى الماء الضيق الذى يجرى داخل المجارى بجوار رصيف الشارع . كشك الجرائد مغلق لكن بضع رزمات من الجرائد

ملقاة أمامه . يخرج رجلان أسودا البشرة من أمريكا اللاتينية سائحان بحقيبتيهما وكاميرتيهما من ميدان سان جرمان ذى المنافذ الثلاثة ويشاهدان العمارات والأبواب والجدران . يكتشفان تجربة باريس ! فى ظلال أنوار السحر والمخيفة فى الشارع . وجهاهما بشكل جماجم الموتى . وعلى الناحية الأخرى من ذلك الميدان يخرج عامل وعليه لباس السهرة الأحمر والمريلة البيضاء الكراسى والمقاعد من المقهى ويصفها على طرف الشارع . وجهه أيضا بشكل جمجمة الهيكل العظمى . أقفل الشباك وأتقدم وأطفىء السيجارة وأستلقى فوق السرير . أشعل المذياع وأثبت مؤشره على محطة الأخبار .. دوفال العجوز من وراء منصة الفندق . يسأل سؤاله الأبدى (شاى أم قهوة يامسيو ؟) يأتى بصينية الإفطار .. وجهه اليوم هو الآخر مثل جمجمة الميت . ليس أحد غيرى وغيره فى الصالة . وجهى أيضا مثل جمجمة الهكيل العظمى . يعرف أن ثريا تموت أو ماتت .

أخلط اللبن والقهوة . أمسّح وجه الكروازون بالقشدة . مربى الكريز منعقدة الدم . يأتى دوفال العجوز وينتحى جانبا . يأتى بغليونه ومنفضته . أنظر إليه وهو يخرج من باب المطبخ الصغير ويجلس على كرسى بجوار الستارة الداكنة والخالصة اللون . يضع غليونه داخل فمه الفاغر كفم الجمجمة فى الهيكل العظمى .

– (إذن كل شيء تم اليوم ؟)

– (نعم كل شيء تم اليوم) حتما يقصد الرهائن

يقول (آسف يا مسيو ، أنها مأساة فظيعة لك ولأختك)

– (أوه)

– (تقبل تعازينا ، اذا لزم أمر ..)

(Merci beaucoup . شكرا كثيرا)

– (هل ستغادر الفندق)

(أنا على أية حال زبون . Check out في الثانية بعد الظهر) .

– (لا حتى الآن)

– (طبعا ماذا ستفعل الآن ؟)

– (بخصوص أى شىء ؟)

– (فيما يخص الجثة)

– (لا أعرف . أمها تريد أن أعود بجثتها إلى طهران)

– (تعود بالجثة ؟)

– (لكننى سوف أكلمها اليوم بعد الظهر . ربما يمكننى أن أقنعها بحل آخر)

– (لكى تتم مراسم الدفن هنا ؟)

– (ربما يكون الأمر أكثر سهولة)

– (أكثر راحة على الإطلاق)

ولا أعرف بم أرد على الهيكل العظمى

– (لكن ، نعم . هذا أمر طبيعى)

أخرج علبة سجائرى

يهز دوفال رأسه (تود أن ترى ابنتها .. المرأة المسكينة . صبرها الله)
أطاطئ رأسى وأشعل سيجارتى

ويردف دوفال (من الناحية النفسية لا يمكنها تقبل هذا الموت . قوة فى عقلها الباطن يمنع من تقبلها حدوث مثل هذه الحادثة .. طبيعى)

لا يزال يتحدث ولا أعود أسمعه . أنه فقط هيكل عظمى . أشعل سيجارة وحسب وأنظر إليه . لا أريد منهم ثانية معونة وتفسيرا ومخا وعلما ومعلومات .

حين أستيقظ ثانية وأنزل أجد مظروفا وصل باسمى إلى مكتب الفندق فى توزيع البريد الصباحى المظروف يحوى رسالة رسمية وإدارية . عليه شعار الشرطة Pref de police وشعار الإدارة المختصة بإقامة الأجانب .ومرفق به ، فوق أوراق أخرى ، مذكرة مكتوبة على الآلة من مستشفى المبرة (ڤال دوجراس) وبأعلاها (عاجل) . ينتفض قلب خوفا وحين أقرأ المذكرة تأخذ يداى فى الارتعاش :

السيد العزيز :

يحيطكم علما رئيس لجنة التفتيش وأعضاؤها فيما يتعلق بأمر النفقات العلاجية لمداموازيل ثريا نقوى عن طريق هذا الكتاب للأسف بسبب إنتهاء مدة الإقامة الرسمية للمذكورة

فى فرنسا وتجاوز لوائح الأجانب فإن المذكورة لا يشملها تسديد التأمين الحكومى لنفقات علاجها :

مع الإحترام :

م . آنطوان ماكادام

وملحق بالرسالة دبست بضع ورقات عليها حسابات المستشفى . بعضها مكتوب بالكمبيوتر والآخر استمارات مطبوعة وبعضها الثالث أوراق من أقسام المستشفى المختلفة وكل هذه الأوراق مرفقة لكى تنجلى عن رموزها تلك الجلبة ، لكننى أفهم خلاصة الموضوع . المجموع الكلى لديون ثريا مطروحا منه مادفعته ومادفعه شارنو فى البداية من فلوس ثريا نفسها فيما يبدو من الفرنكات (١١٠,٤٨٦) . منه حدود (٢٤ ألف) فرنك نفقات الإقامة بالمستشفى و (٢٢ ألف) دواء و(١٠ آلاف ونصف ألف) أتعاب الأشعة والإلكتروانسفالو والإس إس آر والصور وغيرها و (٥٥ ألف) أتعاب الأطباء والأخصائيين المختلفين ونحو خمسة آلاف فرنكات أيضا نظير خدمات متفرقة – أثبتت فى القوائم بالتفصيل مع بعض التوضيحات المكتوبة باليد هنا وهناك . تشمل هذه الكشوف النفقات حتى العشرين من يناير ١٩٨١ . وفى النهاية يلتمس التسديد بأقصى سرعة ممكنة . وأتنفس نفسا طويلا .

هذه أيضا من كرامات مستشفى المبرة والإحسان . وهذا أيضا ليس مناما وحلما وخيالا إنه كشأن باقى أمور هذه اليوم المشئوم من الواقع المر والقاسى والصعب . صدق قاسم يزدانى حين كان يقول أنهم يسلكون مع الإيرانيين الآن الفظاظة والعنف العظيم . لعنهم الله يمكننى أن أبيع بضع قطع من ذهب ثريا نفسها .

نحو التاسعة والنصف أصل المستشفى خائفا مرتعشا وأدخل القسم ، كل جسمى موجوع أطوى الدهليز بأقدام مرتعشة . أمام مكتب الدكتور أصادف جورجيت لوبلان . الأنفاس محتبسة بصدرى . ألقى عليها السلام وأستفسر عن أحوالها .

- (كيف هى ؟)

ترفع كتفيها

- (أكثر ضعفا ..)

- (ألا تتألم ؟)

- (لا تشعر بأى إحساس)

وتتركنى فى نفس المكان وتمضى إلى حال سبيلها .

وبداخل المكتب أجلس أمام منضدة عليها بضع ملفات وتقارير مجموعة بمشبك وأنظر من النافذة إلى الخارج . لا أرى شيئا غير القمر وأطراف الأشجار اليابسة . كما هى على حالها . تنتهى الأمور بمثل هذه الحال .

أجلس فى نفس موضعى وأترقب خبرا عن ثريا لكن الممرضة لا تقفل راجعة .

أستخدم دليل التليفونات وأدق جرس تليفون كريستيان شارنو أخبرها إلام صارت الأوضاع . أكلمها أيضا حول النفقات . ترد بأنى لا ينبغى أن أقلق على الفلوس لأن فيليب يعرف محلا فى شارع فان هوسن سوف يشترى الذهب بأفضل سعر . أشكرها . يفضلان أن يذهبا بنفسيهما ليبيعا

الذهب ، لكن يجب أولا أن يحدد ثمنه خبراء الذهب فى شارع فان هوسن . ونتفق أن نتقابل فى المستشفى فى الثالثة بعد ظهر الغد لأن فيليب شارنو وراءه مسابقة ركوب دراجات اليوم .

أنهض بعد مدة وأخرج من المكتب وأبلغ نهاية دهليز العناية المركزة . لا يمنعنى أحد فأفتح برقة شديدة الباب الزجاجى وأقترب إلى القسم الذى به سرير ثريا . لا أستطيع فى البداية أن أراها لانطفاء مصابيح القسم أثناء النهار . وأراها بعد ذلك وهى كالبارحة تقريبا مختفية تحت ملاءة وفى سبات . يضرب أعلى وجهها إلى الصفرة وبأسفل حدقتى عينيها تجويف بنى . تنهض الممرضة الجالسة بجوار سرير مريض آخر وتتجه نحوى . تضع أصبعها فوق شفتيها لكنها لا تنبس ببنت شفة . تكتفى بإخراجى من الحجرة . تتعرف على

– (كيف حال مريضتنا الصغيرة ؟)

تهز رأسها وكتفيها وتقول بابتسامة (لا ياسيدى – لا يجب أن تكون هنا)

– (كيف حالها ؟)

– (أمضيت ليلة سيئة)

– (إعتقدت أنهم قالوا أنها لا تشعر بألم وتعب)

– (لا . لا . لكن حالتها العامة تتجه سريعا إلى الأسوأ . قام الدكتور بأقصى محاولاته)

– (هل هى –)

– (تفضل إلى داخل المكتب ياسيدى)

– (ماداموازيل ..)

– (مع السلامة ياسيدى ..)

ولا يمكن عمل شئ ، أعبر الدهليز وأهبط درجات السلم وأخرج من المستشفى . مضى الظهر من ناصية شارع لوبرنس الذى يكتنفه الآن الزحام لكنه ملبد بالغيوم ومطير . أدخل مقهى روسيًا . داخل المقهى كشأن جميع المقاهى مكتظ بالناس وتراكمت وسط صالته حتى الموائد الطويلة المناضد ذات المقاعد . لا أعلم هل أنا جائع أم ماذا يؤلمنى . لم أذق شيئا من أول الليل حتى الآن . تأخذ أوجاع جسمى فى الزيادة والشدة بالتدريج . ربما يفيدنى شئ ساخن أتناوله . يشير إلى أحد العمال الذى يعرفنى ويقودنى إلى إحدى الموائد الصغيرة ذات المقعدين بجوار نافذة بركن الصالة أسفل صورة كبيرة ملصقة لشارلى شابلين والطفل اليتيم المشرد . وعلى الناحية الأخرى مائدة صغيرة جلس وراءها رجل ثمل يتناول جبنا وكرنبا مخللا . بجواره كأس خمر محلى صغير وكأسا خمر فارغان صغيران . الجرسون نفسه مهاجر روسى ومجنون تقريبا وبرز من وجهه شاربه مثل مكنستين . شبك فوق جاكيت خدمته كعادته السابقة ميداليات قديمة تعود إلى العهد القيصرى . يقال إنه كان من فنانى المسرح قبل الثورة البلشفية ثم فر معها إلى فرنسا .

أسأله (ما هو غداء اليوم أيها السيد العزيز ؟)

(.. Côte d'agneau, Monsieur) نوع من طبيخ الضأن أفضل طعام عندهم .

- (هات لى منه من فضلك)

- (لكنه انتهى ، يامسيو !) ويضحك

- (إذن هات واحد بوريه وواحد كوارع)

- (والسلاطة الروسية ؟ هل توافق ؟)

- (موافق)

- (وقائمة الشراب ؟)

- (يكفينى المياه المعدنية)

- (كأس فودكا ممكن ؟ هه ؟)

- (لا)

- (كما تحب يا مسيو)

ويتغنى بالفرنسية رافعا صوته بأغنية (مراكبية الفولجا) ويعود إلى المطبخ . أتناول أولا كبسولات بالماء المعدنى . السلاطة الروسية لا تشمل غير البيض المسلوق غير المهروس بخضار المايونيز وبعض الزيتون وشرائح الطماطم وأتناولها إلى حين أن يبرد البوريه . يقدم الخبز الفرنسى الوفير بداخل سلة صغيرة تغطيها قطعة قماش مربعات بيضاء ومشكلة الألوان . وهو حلو المذاق . أشعر بجوع شديد ولا أحفل بثرثرة الرجيل السكير الفرنسى . لكنى لا أستطيع الحركة مع وجود الرغبة للخبز . أولا لا أقدر على تركيز أفكارى ثم إن وجه ثريا الأصفر يلوح أمام عينى تحت الملاءة البيضاء ولا يبارح مخليتى . وأرى أيضا فرنجيس جالسة بجوار التليفون

بطراحتها ومعطفها الإسلامي وقد تركت من يدها عصاها وسلتها وأخذت تدق بهما صدرها . لا أقوى على استدعاء وجه ليلى . يطلب السكير الفرنسي كأسا صغيرا ثانيا . تفاعل معي بحرارة وإخلاص بخياله وأخذ ينفث في وجهي مع أنفاس حارة وعفنة بكلمات غير مفهومة . ويطلب أيضا كأسا من الليكور ويدير الخمر بقعر الكأس ثم يعبها . أصب على جمجمته القليل الباقي في طبق البوريه المشؤوم . سحنته تشبه مسيو آنطوان ما كادام رئيس حسابات مستشفى المبرة . له نفس الشارب الكث والرمادى والمحبط .

وبعد الغذاء ودفع حسابه أعود إلى الفندق . ضباب غليظ وكثيف ظهر بجو المدينة الآن ويظهر كل شئ على غير عادته . أتصل من غرفتي بشقة ليلى فترد على شغالتها جنيفييه . ليلى فيما يبدو ليست موجودة ولا أفهم قط حديثها من شدة لكنتها السريعة والقروية . وأتصل بشقة أخت ليلى . برى آزاده موجودة تقول إن ليلى سافرت فى الصباح إلى الهافر ، والهافر طبعا ميناء على شاطئ المانش . أرجوها أن تبلغ ليلى حين عودتها سلامى وأن تتصل بى فى فندق بالما فقد طرأ موضوع هام . لا تسألني أخت ليلى عن هذا الموضوع لكنها ترد بأنها لا تظن أن ليلى سوف تعود قبل نهاية الأسبوع لأنها حملت معها حقيبتي ملابس فأسألها هل هى والأسرة بخير . كلهم بخير . ثم تشعر باضطرابى فتقول إن أحببت يمكنها أن تعطينى تليفون الفندق الذى نزلوا به . نزلوا ؟. أسألها هل ذهبت مع أبيها وأمها فتجيب لا بل مع جان إدمون . لا أنطق بكلمة أخرى ولا أطلب رقم تليفونهما . لكنى أرجوها أن تبلغ رسالتى إليها – على أية حال – وقت أن تعود . هذا الحديث يكمل المشهد . أترك السماعة وأنهض إلى

البلكونة وأنظر إلى الشارع والمدينة وقد أخفيا فى عينى الضباب . الضباب الكثيف الذى استقر بعد الظهر وبعد مطر غزير فى سماء المدينة قد زاد غلظة الآن ودنا من البلكونةحتى كأن بطانية من السحب والأوهام ألقيت فوق فضاء الشارع النائم. ضباب طوى دخانه ميدان تقاطع شارعى لو برنس وسان جرمان كأنه ممر محترق . ضباب ، ضَبَاب غليظ يشبه الحلم يبتلع بداخله العمارات وتجهيزات الشارع ويمحوها كالسراب الكاذب . ضباب غليظ رمادى لا يظهر من حى سان جرمان وسان ميشيل وسائر حديقة لوكسمبورج شيئا غير مشهد أعمى ومحدود كأفلام الرعب . ضباب غليظ أسود ابتلع نفس كيس القمامة الضخمة لسائر المدينة من حى بولون إلى بانتان ومن باتو إلى شارتنون . ضباب غليظ مبقع كأنه اليوم لف جميع أراضى فرنسا فى لفافته فأفزعها ، ضباب غليظ وكالموت يدفن الدنيا فى طياته الإغمائية .. الدنيا تلوح بهذه الصورة فى ناظرى . حين أتحرك تتلوى فى جسدى الآلام التى زادت شدة داخل صدرى وبطنى وحجابى الحاجز وسائر أمعائى وأحشائى وحول وسطى وفى سلسلة فقراتى وأقول لنفسى ما كان يجب أن أهيم على وجهى سائرا بالبارحة كل هذه الفترة تحت الأمطار داخل إيل دولاسيتيه كروح اليهودى التائه . حين أعطس كأن جسمى ينفجر غير أن الآلام فى الجهة اليسرى لصدرى أكثر إيلاما وأشعر بها كضربة سن السكينة من الداخل إلى الخارج ثم تملؤنى وخزا .

أرتدى قبعتى ومعطف المطر وأغادر المستشفى . أتحرك كالدمية الآلية نحو المستشفى لكن آلام صدرى تأخذ فى الشدة . أنفاسى أيضا مرة تشتد

سرعتها وأخرى تتباطأ . شئ بوسط صدرى ينشب فىّ مخالبه حتى أنه فى النهاية يجبرنى على الجلوس بطرف الشارع أمام سلم محل تصوير لألتقط أنفاسى . أسند رأسى على أساس الجدار وأغمض عينى . لا أذكركم من الوقت ظللت خارج أطوارى وبقيت غائبا عن الوعى تقريبا . كنت فى حال عجيبة لكنها خاوية .. صاح بي بعد إنسان :

– (هى ، يا مسيو ، أنت بخير ؟)

أفتح عين وأحرك رأسي ، خدر رأسى هواء باريس البارد ذو الضباب . يتراءى بين الضباب وجه امرأة شابة سوداء ذات أحمر شفاه ثقيل .

تقول (أنت بخير ؟) دار شعرها المجعد كالهالة حول رأسها الذى يشبه عمامة مدورة ومكورة . وشفتاها غليظتان مصبوغتان بالأحمر كالدماء وأسنانها بيضاء صلبة .

– (هل أنت بخير ؟)

اخفض رأسى (مرسى ، لاشئ)

– (هل يمكننى أن أساعدك)

– (Merci beaucoup شاكر جدا)

تدرك أننى غريب فتخاطبنى بعد بالإنجليزية وبلهجة السود الأمريكيين (هل يمكننى أن أساعدك Can I give ya a hend)

– (.. متشكر ، لا ، لا شئ)

– (هل تشكو من قلبك ؟)

أنظر فأرى أن يدى لا تزال مشتبثة بالناحية اليسرى لصدرى

- (لا أعرف)

- (أين مكان الألم بالضبط يا عزيزى ؟)

- (كل جسمى بالضبط)

تضحك وتقول (دادى كان موسيقيا مهاجرا ومات بهذا النحو فى أحد أركان الشارع بالسكتة القلبية .)

- (رحمه الله !)

- (فكرت لحظة أنك تشكو من قلبك)

- (أنا الآن لا أشعر بالموت)

- (من أين أنت يا عزيزى ؟)

- (Islamic Republic of Iran !) وعلى أمل أن تجعلها هذه العبارة المفزعة الطويلة تفر هاربة .

تبتسم (هل أنت مقيم هنا ؟ أو أنك تقوم بزيارة فقط ؟)

- (أقوم بزيارة فقط !)

- (لوحدك ؟)

- (نعم)

أحاول أن أستند على أساس الجدار لكن ألما مستجدا يتلوى داخل وسطى ويسار صدرى ويؤلمنى وخزا . أغمض عينى .

- (قم وتعال أوصلك إلى هذه العيادة)

- (لا .. تفضلى أنت .. اتركيني وحدى)

- (هنا على مقربة عيادة ، وفى العادة من بها طبيون)

- (لا شئ ، بعد بضع دقائق سوف أشعر بتحسن)

- (هل شكوت بهذا الألم من قبل ؟)

أكذب عليها (نعم)

- (آلام بالصدر ؟ فى جهة القلب ؟)

- (ليس بهذا الشكل)

- (على أية حال أعتقد أنه من الأفضل أن تأتى إلى هذه العيادة . دعهم يلقون عليك نظرة . يمكن أن يفحصك الدكتور . فحص سريع هلم إنهض . أعطنى يدك ياعزيزى)

- (لا شئ) أحاول أن أتنفس نفسا عميقا لكن آلام الحجاب الحاجز يقطع نفسى . تجلس البنت بجوارى ، وتقول (عشت تقريبا كل حياتى داخل بيت المجانين هذا . باريس .. أبى كان من نيويورك ، تركها وأتى هنا لكى يعيش بحرية وشرف كما يقال لكنى أعرف أن هنا يمكن أن يكون مكانا قاسيا ككابوس فظيع . لابد أن يساعد كل وحيد نظيره)

- (شكراً . أنت لطيفة جدا . لكن .. لاشئ)

- (إنك تتألم)

- (سوف أتحسن ، شكرا ، حقيقة ليس بى شئ ، تفضلى بالذهاب)

لكنها لا تنهض وتنصرف . تقول بعد مدة (الدنيا عفنة ومضطربة ومشتتة ومشردة)

– (نعم ، هى كذلك دائما)

– (يمكن أن تصدقنى ويمكن أن تكذبنى . الحياة يمكن أن تكون كابوسا جميل الشكل لكنها ملعونة)

– (أنا فاهم كلامك يا أختى !)

– (هل تشعر بمثل هذا الشعور ؟)

– (هى كابوس)

– (Foolin' low ?)

وأضحك على سؤالها الذى يصف الحال ولا يقبل الترجمة .

– (نعم وضيعة جدا)

– (هيا وضع تحت لسانك أحد هذه الكبسولات)

– (ماذا ؟)

– (مخدر ، سوف ترفع معنوياتك)

– (لا ، شكرا)

تخرج علبة كبسولات مشكلة الألوان من داخل حقيبة يدها وتفتحها أمامى تأخذ منها كبسولة وتدحرج نفس هذه القذارة تحت لسانها الطويل المتعدد الألوان والذى يختلف اختلافا ظاهرا عن غيره من وجهها الأسود وفمها الأحمر

أسألها (ما هذا ؟ ال إ س دى ؟ أو جراس ؟)

- (لا هذا ولا ذلك .. أكثر تحضرا منهما . يسمونه فلاس فى بروكلين)

- (فلاس ؟)

- (مخدر فقط . بدون أى أعراض جانبية . أنا عن نفسى ابتلعت من الصباح حتى الآن ثلاث كبسولات منه)

أقول أتركها على الله وأضع إحدى الفلاسات تحت لسانى . لا يمكن أن يكون أسوأ من الآلام التى أشعر بها الآن .

تقول (أنا حتى الآن لا أعتقد أنك أحسن حالا ، هيا نذهب لتكشف فى هذه العيادة كشفا بسيطا ياعزيزى . يمكن ألا تكون آلامك خطيرة ، لكنها يمكن أن تكون علامة على شئ ما يمكن أن تكون مقدمة لشئ خطير هذا الكشف البسيط من الطبيب لا يزيد عن بضع فرنكات . حتما ليس لك تأمين حكومى بما أنك سائح ؟)

- (لا)

- (أجر الكشف الابتدائى للدكتور فى هذه العيادات الخاصة ليس مرتفعا ، أنا منذ أن مات دادى بالسكتة القلبية فى أحد أطراف شارع مون مارتر وأنا فى كابوس متحرك ودائم هو أن جميع الناس سوف يصابون بنفس هذه المصيبة .. إذا لم يكن معك فلوس فمعى بعض منها بما يكفى . أتركنى أفعل اليوم عملا خيرا)

يبعث كلامها فى قلقا وفزعا جديدين .

أقول لها (معى أيضا بعض المال)

- (كم ؟)

- (ألف وثلاثمائة أربعمائة)

- (دولار أم فرنك ؟)

- (فرنك)

- (لا بأس)

أطرق صامتا .

(عشر هذا المبلغ يكفى) . ثم تقص على بإيجاز حكاية أبيها ، كان أحد ضاربى الإيقاع المشاهير فى هارلم بنيويورك ، لكنه بسبب أنه كان من أنصار مالكم إكس الأسود الثائر الأمريكى أحرق منزله فهاجر إلى باريس وعاش هنا بضعة أعوام معززا مكرما . هى نفسها اسمها (جى سى) . تقول أنها تعرف أن اسمها هذا اسم يثير الضحك ، لكن حسنا فهو الاسم الذى سماها به أبوها . لا يمكن فعل شئ . جى سى ليس اختصارا لأى شئ أيضا . فقط جى سى .حين أتت مع أبيها هنا كان عمرها ثلاث سنوات فقط ، وكبرت فى باريس مثل النبات الشيطانى واستمرت جى سى بعد موت والدها تعيش كعادتها فى باريس . خفت آلام صدرى وأتذكر ثريا وأصمم على النهوض لكن تعاودنى الآلام بمجرد أن أنهض محنيا ظهرى .

فتقول جى س (بم تشعر الآن ؟)

- (بجهنم نفسها)

– (خذ كبسولة أخرى من الفلاس)

– (لا)

– (إذن هيا نذهب ليكشف عليك الدكتور . هناك عيادة خاصة على نفس هذه الناصية . أعرفها . أنا بنفسى ذهبت إليها أكثر من مرة . أتعابهم ليست مرتفعة ؟ OK) لا أرد عليها لكن جى سى تفهم سكوتى أنه علامة الرضا وتبدأ فى مساعدتى على النهوض . فى الظروف الراهنة لا أجد بأسا فى أن يكشف على كشفا مبدئيا دكتور مختص لأرى ماذا يحدث لى . العيادة الخاصة ليست بعيدة كثيرا وبعد أقل من دقيقتين نلجها من أحد شطرى بوابتها الواسعة . آلامى الآن فى غاية فظاعتها .

يضرب نور المصباح بالعيادة عينى . تطلب جى سى منى أن أجلس على أحد المقاعد وتتجه هى إلى مكتب الاستعلامات والذى يشبه كثيراً شباك بيع التذاكر وحين تحادث موظفة الاستعلامات وهى شابة وكثيرة الجمال أسمع لغتها الفرنيسة الممتازة وبدون لكنة ، أتكىء على المقعد وأنظر إليهما .

تقول جى سى (المسيو يريد أن يقابل طبيبا مختصا بالقلب بسرعة)

فترد موظفة العيادة (آسفة ، ليس لدينا الآن فى العيادة أخصائى قلب متواجد)

(المسيو يتألم بشدة) وترفع صوتها

– (ما أعراضه ؟)

– (إنه يتألم)

– (أين موضع الألم)

– (من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه)

(? Partout ، كله) ؟ تدير عينيها بشكل ينبئ عن أنها تريد أن تقول إنكما مجنونان .

– (هذا هو نفس كلام المسيو)

– (من فضلك وضحي كلامك أكثر) وتتنفس بعصبية ونفسا طويلا .

– (أعتقد أن أغلب الألم فى الصدر)

– (هل المسيو Cardiaque ؟)

– (لا ، يقول إنه لم يسبق أن أصيب بمرض بالقلب)

– (هل أنت زوجته ؟)

– (لا ، أنا صديقة وحسب ، أحب أن تفعلى شيئا ، أى شئ)

– (عندنا الدكتور جرابو وللصدفة أن المقرر أنه سيأتى بعد نصف ساعة . عنده هنا نزيل مريض . تعرفين أنه يوجد إضراب . نحن نشتغل فى الطوارئ فقط. يمكن أن أعطيك عنوان طبيب آخر له عيادة فى نهاية شارع (أو لم) ، لكنى لا أعرف مواعيد عمله بالعيادة ولست متأكدة هل هو موجود أصلا أم لا)

– (لو أن هذا الدكتور نفسه .. ماهو اسمه ؟)

– (الدكتور جرابو)

– (لو أن الدكتـور جـرابو من المفـروض أن يأتى بعـد نصف سـاعـة فيمكن للمسيو أن ينتظره)

– (كما تحبان)

– (من فضلك أخبرينا مجرد أن يصل الدكتور)

– (ماشى) .

وتعود جى سى فى الحال إلى وتقـول (قليل من الشراب عوض عن الشبع! لكن ليس من مشكلة يمكننا أن ننتظر نصف ساعة إلى أن يأتى الطبيب المختص) . المدهش أنهما كلما زادا فى حديثهما عن مرضى كان الآلام بدأت فى الاختفاء شيئا فشيئا أو لربما كان من تأثير فلاسات جى سى . تأتى إلى جوارى وتجلس . جلس أناس آخرون فى صالة انتظار العيادة . أغلبهم شيوخ وطاعنون . وتحدثنى ثانية جى سى عن حياتها وحياة أبيها ضارب الإيقاع . جو سى واشنجتون المشهور ! جوسى واشنجتون ظل يعزف فترة تصاحبه أوركسترانفس لويس آرمستروبخ أثناء اعتقال (سان لويس بلوز) . لكن الجالس بجوارى الآن هو إدريس ابن مطرود العبـدانى ويقـول لى ان مطرود سبق أن ذهب إلى كفيشة ليشترى الحبال والأكياس لتحميل فرش المهندس نور بخش فأصيب بشظايا مدافع الهاون وفى المستشفى الطالقانى بترت قدمه . إدريس نفسه يود الذهاب إلى الجبهة . يقول إنه كتب وصيته قبل استشهاده وأرسل بها إلى جريدة كيهان لكى تنشرها بعد موته . يقول أنه يجب أن يتـرك بيع السـجـائر ويذهب إلى الجبـهـة . تنادى مـوظفـة

الاستعلامات على جي سي وتشير إلى رجل وتقول إنه الدكتور جرابو . والدكتور جرابو رجل فارع الطول وبدين فوق المعتاد خفيف الشعر شاربه متدل ولحيته كشعر الماعز الجبلى وحين يتكلم يتزل لأسفل طرف شفته المشقوقة. لكن عينيه صغيرتان ونافذتان . يتجه إلينا ، تنهض جى سى وحين أنهض تنبعث موجات الألم داخل جسمى يقف الدكتور بمواجهتنا كالجدار .

(Qu'est - ce Qui ne va pas ? .. ما المشكلة ؟)

وتأخذ جى سى فى تقرير نفس الديالوج الذى أفضت به منذ بضع دقائق إلى موظفة الاستعلامات لكن الدكتور بعد أن يسمع الجمل الثلاث الأولى ونظرة عجلى إلى لا يقول غير (انقلوه إلى غرفة رقم ١٣ ليعملوا له رسم قلب ، ثم أراه بعد ذلك) ثم يتحول عنا ويمضى وراء واجباته الأخرى .

وأصل ومعى جى سى حجرة رقم ١٣ الخالية . وبعد فترة من الانتظار تدخل ممرضة مسنة وهى بدورها فى عجلة من أمرها وإسراع وبعد أن تفهم من هو الدكتور الذى أرسلنا ولأى غرض تبدأ فى تحرير وصل بثلاثمائة فرنك وتشرح أن نصف المبلغ لكشف الدكتور ونصفه الآخر لرسم القلب .

فتخاطبنى جى سى بالإنجليزية ما معناه (مأزق !)

فأقول (ليس ثمة مشكلة ، لدى المقدرة على هذا المبلغ) وأدس يدى داخل جيب معطف المطر الجانبى حيث أضع الفلوس .

وأسأل الممرضة (أدفع هنا أو فى الخزينة ؟)

- (إدفع المبلغ هنا) .

أخرج رزمة الأوراق النقدية الهزيلة وأفصل عنها ثلاثمائة فرنك وأقوم بتوديعها وأسلمها للممرضة وتخفى المبلغ داخل درجها وأضع باقى الفلوس وهو نحو ألف وكسر داخل جيبى وأقفل سوستة الجبيب . وتنظر چى سى وتهز رأسها .

ترفع الممرضة سماعة التليفون وتتحدث مع واحد عن إرسال مريض لعمل رسم قلب له . ثم نتوجه إلى (الدور الثانى ، جهاز رسم القلب) .

وعلى عكس قاعدة الانتظار الصاخبة بأسفل ، أجد الدور الثانى ساكنا هادئا كأنه محراب الكنسية . الغرفة التى نخطو بأقدامنا عتبتها بهاتجهيزات كثيرة وتنتظرنى ممرضة أكثر شبابا . امرأة نحيفة القوام شعرها أسود ووجهها عريض وصغير وشفتاها دقيقتان مطليتان بالأحمر ، لكن حركتها وتصرفاتها آمرة . بعد أن تفهم من هو المريض تمنع جى سى من الدخول إلى حجرة رسم القلب . فتقول جس سى لا مانع وتقف خارج الباب ، وتتمنى لى فرصة سعيدة ! .

ولا تستفسر ممرضة رسم القلب عن اسمى ولا عن مرضى ناهيك عن الأسئلة الأدق وإنما تكتفى بأن تأخذ من يدى الاستمارة .

- (خلف ذلك البارافان . إخلع ملابسك)

- (كلها ؟)

- (كلها حتى ساعة يدك)

وتعطينى غطاء صغيرا ذهبى الورق بلون أخضر ثم تقول (ضعه على جسمك . حزامه من الأمام)

ولم أكن انتهيت من ارتداء الغطاء حتي دخلت البارافان وهى تحمل معها آلات (ها ، مسيو ، هل أنت مستعد) والآن تبتسم .

- (تقريبا)

- (أنت طويل جدا) لكنها لا تنطر إلى قوامى .

(ماذا أفعل ؟)

- (استلق على ظهرك فوق السرير)

أطاوعها كالحمل وتشد هى إذ ذاك حزام الغطاء وتفتحته وتبدأ فى تثبيت أزرار الفيشات التى تصل الجهاز بجمسى وكلبسات عراويها . اثنتان منها على رسغ يدى ومثلهما على عرقوب قدمى وغيرها على صدرى وتحت إبطى . استلقيت هكذا عاريا مجردا تحت الأجهزة والاسلاك والآلات الإلكترونية . عدت إلى الشعور بالحماقة والعبث ، لا أشعر بالراحة حين تدلك جسمى غير آبهة وتضغط هنا تغط هناك ، أماهى فتنحنى بشدة فوقى وتصول وتجول وتفعل كل مايعن لها . حسنا دعها . ليس عيبا . إنه الفحص C'est la vie . إنها الحياة . أتركها تشتغل دعها تدلك هذا .... أيضا . الدنيا دلكتنى سنوات . حتى فئران البلح فى عبدان دلكت حياتى بدورها . وهذه المدام أيضا مثلها . ليكن مايكون ! ثلاثمائة فرنك ضاعت هباء . بمقدوري أن أغادر المكان بعد نصف ساعة أعرف هذا . أذهب إلى

مستشفى المبرة لأتابع أمر ثريا . بعد هذا سوف ينسى سائر هذا المشهد والألم المحتقر . سيكون ذكرى . الممرضة الآمرة تدهن بقطن مغموس فى دوائها جهة القلب وسائر الناحية اليسرى للصدر . اقتربت منى شفتاها المطليتان بالأحمر حتى أنى أشم رائحتهما . ظاهر ثدييها ظهر بسخاء. على صدرها لافتة مستطيلة سوداء وفخمة كتب عليها (الممرضة : ميشيل جابريل) تضع على صدرى قناع الجهاز . (احبس أنفاسك) . (تنفس) . أسمع صوت الجهاز حين ينقطع ويتصل . وأشعر بيديها الناعمتين تعملان على صدرى وأرى وجهها حين ينخفض فوق وجهى . تتفوه أثناء ذلك بكلام لا أفهم أغلبه . رفعت معى الكلفة . تضحك حين تدلك بقطنتها المغموسة فى الدواء أسفل ثديى الأيسر (.. ? Etes-vcus chatouilleux)

– (معذرة ؟) أحس بالقلق البالغ حول نتيجة رسم القلب . قلبى يدق ويدق كثيرا تقول لى بلغتها الإنجليزية المتعثرة (كيف تقول عن حالة ما إن يلمسك واحد وتغدو بنفس الحالة التى أنت عليها الآن وتضحك ؟)

– (دغدغة ؟ ..)

– (أنا أدغدغك ؟)

أشعر بالرضا من وقت انشغالها بى .

– (لا فى ذاك الموضع)

– (هنا مكان يضحك أكثر الناس من الدغدغة . كان عندى مريض قبل الأمس بيومين لم يضحك قط من دغدغتى له) . لغتها الإنجليزية لا تفضل إنجليزية مدام آدل فرانسوا ميتران صاحبتنا .

- (إذن لم يكن مريضا بالقلب !)

تضحك (لكنه كان مريضا)

- (هم كثيرون هنا)

وبعد مدة حين تنتهي مهمتها معي تقول لي يمكنك أن تلبس ملابسك . وكنت منصرفا إلى عقد حزامي حين أطل الدكتور جرابو برأسة. ترجع الممرضة البارافان إلى الخلف ، ويطالع جرابو رسم القلب ثم يسعل ويستند على جهاز رسم القلب (هل شكوت من قبل بآلام بالقلب ؟)

- (لم أشك منه)

- (ولا بأى آلام بالصدر وكرشة نفس ووخز بالقلب يصاحبه عرق لازمت بشأنه الفراش ؟)

- (لا)

يبدو أن كل هذه الأسئلة تمهيد لأمر يريد الإفصاح عنه .

(ما رأيك يادكتور ؟)

- (أعتقد أنه من الأفضل أنه تمكث هنا ثلاثة أيام حتى أجرى عليك فحوصا)

لا بد أنه ظن أننى من أثرياء أمريكا اللاتينية .

- (هل ثمة مشكلة فى رسم القلب)

- (أنا أشك) لكن طريق حديثة المحيرة وعدم صبره يشككنى فى نفسى .

– (هل تريد أن أمكث هنا ثلاثة أيام وتجرى فحوصك على ؟)

(بمثل هذا يحكم العقل)

– (أنا لا أقدر على البقاء هنا ثلاثة أيام . لدى مشاكل عاجلة ومصيرية أخرى هل لا يمكنك أن تكتفي بكتابة دواء ؟) .

– (لا . طبعا الأمر يتعلق بقرارك ، يمكنك الخروج من هنا ولا يحدث لك شئ . من ناحية أخرى هذه الأمور المتعلقة بالقلب يجب تداركها من ساعاتها الأولى – وأنت عالم بذلك) .

وقبل أن أتفوه بلفظ آخر يغادر دكتور جرابو الغرفة ولا يلقى بغير تعليمات شفوية إلى الممرضة أثناء خروجه . فتبلغ الممرضة بدورها بغير اهتمام التعليمات إلى قسم الاستقبال بأسفل ومفادها أن المريض الجديد للدكتور جرابو – السيد آريان – إذا أحب يمكنه أن ينزل بالعيادة . بعد هذه المكالمة تنسى الممرضة أيضا أنني كنت موجوداً أصلا وتذهب إلى شغلها .

وحين أخرج من حجرة رسم القلب أشتد مرضا وقلقا . لا تزال جى سى واقفة مكانها تدخن .

– (عملت رسم قلب ؟)

– (نعم)

– (رآه الدكتور ؟ ماذا قال ؟)

– (يريد أن أبقى هنا ثلاثة أيام نزيلا . من أجل الفحوص !)

فترد بعجلة (الأفضل أن تفعل هذا)

- (لا ، ليس بمقدوري)

أعطي معطفي الواقي من المطر جي سي وأعقد رباط حذائي الذي لا يزال مفكوكا . أشعر بضعف وإنهاك جديدين ويتجه كلانا بعد إلى المصعد . لم تلبث أن أمسكت بساعدي .

- (لابد أن شيئا رآه في رسم قلبك ، يا عزيزي ؟)

- (لم أفهم شيئا .. مع ممرضته تلك !)

- (في الحق ماذا كانت تفعل بك ؟ كنت أختلس النظر . كأنها كانت تلتهمك)

- (هيا هذا هو مكتب الاستقبال . هيا نسأل عن شروط الحجز عندهم)

- (لا - أنا خارج من منزل المجانين هذا)

- (لماذا ؟)

- (لأسباب كثيرة أولها أني ليس عندى مصاريف الحجز)

وتنظر جي سي إلى بدهشة . كأنها تقول لا تكمل أيها الشقي . لكنها تقول (لازال معك حوالي ألف فرانك يمكنها أن تكفي للبداية ، يمكنك أن تسلمهم صكا . يقبلون الصك الشخصي)

- (لا ! . .)

- (على أية حال تعال لنرى شروطهم . . ليس الا لوجه الله . أنت مريض . لم تطر الدنيا . إذا خرجت الى الشارع ماذا سيحدث لو سقطت

بسكتة قلبية ؟ لن يمكنك أن تعاون أحداً ولا تجعل أحداً يساعدك)

- (أنا أود الخروج من هنا على أية حال)

وأجد نفس إذا ذاك أمام مكتب استقبال العيادة (إنتظر دقيقة) . وتخاطب جى سى موظفة الاستعلامات (المفروض أن يحجز المسيو ثلاثة أيام . ماذا يجب عمله ؟)

- (مريض الدكتور جرابو ؟)

- (نعم مريض الدكتور جرابو)

وتتنفس موظفة الاستعلامات نفسا عميقا وتفتح بغير اكترات كبير ملفا كبيرا ، وتدون وهى ترد على تليفونين آخرين اسمى وسائر بياناتى فى أعمدة منتظمة .

تسأل جى سى (ماداموازيل ، كم تبلغ نفقات الغرفة بالعيادة لمدة ليلة واحدة ؟)

- (السيد ليس عنده تأمين ؟)

- (لا)

- (خمسمائة فرنك فى الليلة)

- (تدفع مقدما ؟)

- (نعم مقدما)

- (وكم على السيد أن يدفع مقدما ؟)

- (اذا انتهيت من ملء الاستمارات ووقع عليها السيد تعطيها

للخزانة وسوف يحدد المبلغ موظف الخزانة)

– (هكذا – وكم يلزم فى العيادة دفعه على حسب الحساب الجارى؟)

– (نظامهم لحجز مريض من هذا القبيل هو تسلم خمسة عشر ألف فرنك)

– (خمسة عشر ألف فرنك لفحص ثلاثة أيام ؟)

– (سوف تجدين أن أسعارنا بالنسبة لسائر العيادات عادلة جدا)

وتنظر إلى جى سى قائلة (عادلة My sss) أنا نفسى إذا ذاك أخذت أتقهقر صوب باب الخروج . ناديتها (دعيها ، وهيا)

– (أنت بحاجة إلى العلاج)

– (لا . انتهى كل شئ)

– (أليس من طريقة يمكنك أن تدبر منها المبلغ ؟)

– (أفضل أن أتمدد تحت مياه النهر وأذهب لاستقبال عزرائيل)

– (شرذمة من الرأسماليين الملاعين !)

– (أنا غير مهتم ، يا صديقتى ، هيا)

لا تزال تحتفظ بمعطف المطر وقبعتى ، وتقول (إجلس واسترح قليلا)

– (لا ، أنا ذاهب إلى دورة المياه هذه لأغسل رأسى ووجهى ببعض الماء ، ثم نخرج من هنا بعد ذلك)

– (نعم ، أذهب يارجل وبرد نفسك)

- (سوف تنتظرينى حتى أعود ؟)
- (بالتأكيد)
- (شكراً . أنت ملاك)
- (انا ؟ أنا لم أفعل شيئا)
- (انتظرى دقيقة واحدة)
- (أنظـر .. ربمـا سـوف تغير رأيك . بإمـكاني أن أدبر لك ألفين أو ثلاثة آلاف فرنك)
- (لا ! إطلاقا لا)
- (هل تريد كبسوله فلاس أخرى ؟ كأنك ترتعش)
- (نعم)
- (لا تقلق يارجل . لا تغـضـب . لا تثـر أعـصـابك . أهم شئ أن تحافظ على هدوئك واتزانك)

وترد كبسولة الفلاس .

وأقف بداخل بدورة المياة الصغيرة أمام صنبور الماء وأصب الماء البارد على وجـهى . وأمسح أيضـا بيدى شـعرى ، و أنظر إلى نفـسى فى المرآة . أسفل عينى تجويف بلون بنى كـمـا ظهرت بثور على بشرة خدى . تتردد أنفاسى وقلبى العجوز يصدر منـه أصواتا . لكن ألما ترسب بقاعـة كذلك . أو أن إنها كا ترسب . حسن جدا . حسن جدا . هذه النتيجة أيضا من هذه التجربة . انتهت . يجب أن أخرج بأى طريقة . يجب فعلا أن أغادر هذا

المكان . أذهب إلى المستشفى . أرتب ياقتى ورباط عنقى . أعقد أزرار جاكتتى . لا تغضب يارجل . إنهم شرذمة من الرأسماليين . هل تريد كبسولة فلاس أخرى ؟ على أن أعود إلى ملاك النجاة . جى سى الواشنجتونية .

لكنى حين أخرج كان ملاك النجاة قد ذهبت . قبعتى ومعطفى الواقى من المطر هناك على الكرسى . قاعة الانتظار بالعيادة تضج بالضوضاء . فقط ليس من خبر عن جى سى . فى واحد من المليار من الثانية يضئ خبر على شاشة كمبيوتر مخى حقيقة الواقعة . أدس يدى داخل جيب معطفى – نفس الجيب الجانبى الذى وضعت به باقى نقودى . سوستة الجيب مفتوحة . لكن الشئ الوحيد الذى بقى فيه هو قدر كبير من الفضاء الخالى وداعى ذكريات باريس . حسنا حسنا ، هذه أيضا من ذكرياتها .

أجاهد وسط آلامى ألا أضحك . على أية حال لا أستاء من جى سى . لأنها قامت بعمل نظيف . كنت أدرك أنها تسعى وراء شئ .. كلهم يسعون وراء شئ . لكن أسلوبها وعلاقتها العامة وصلتها الإنسانية كانت عالية – أفضل من الدكتور جرابو والممرضة ميشيل جابريل . أغادر العيادة وأمشى صوب المستشفى بأى شكل . لا يزال مستشفى المبرة يغوص فى ظلمة أول الليل وهدوئه هنا هذه الليلة . يحوى الظلام ، فجأة ، والخوف منه وخزا جديدا . لا يغادر مخى التفكير فى الدكتور جرابو والتفكير فى الممرضة ميشيل جابريل . وجى سى بنت واشنجتون . ملائكة النجاة . ألقى التحية على إحدى الممرضات المعروفات لى وهى تهبط السلم . أبحث عن

طـرف خبر عن ثريا . تهز الممرضة رأسـها وتكتفى بالقول ليـس من (خبر شاف) . لكنها لا تشكو ألما قط . أشكرها .

الألم ! والليلة جميعهم لا يتحدثون إلا عن الألم . لا يعزى إلى أى سبب كذلك . لا يتحدثون كذلك عن أى سلامة . فقط الألم . الألم فى كل مكان . لا بد أن الصليب المعقود فوق بوابة مستشفى المبرة والإحسان قد أصيب بالجذام وبعد أن مرت ألف وتسعمائة وثمانون سنة بالتمام صار مرضه الآن مرضا مزمنا . إيران ذات آلاف السنين عضت كل الدود داخل معدتها كلها . أنا نفسى مصاب بقرحة المصيبة . مخ باريس أصب بدوره بمرض الزهرى . لكن باريس تلمع الليلة كنجم السحر المضئ فوق صدر سماء الحضارة – تلمع بين ثديين ضخمين يلمعان بشدة : أحدهما جى سى الواشنجتونية وثانيهما ميشيل جابريل .

ويمضى باقى الأسبوع الملعون على نفس الحال . تتجه حالة ثريا إلى عاقبة أكثر وخامة . أنا منطو على نفس أغلب الأوقات ، هائم بين الفندق والمستشفى مع آلامى المنسابة . نادر بارسى لا يرد تليفونه أصلا . ولا أعود أرى صـفـوى بدوره لأنه قـال من قـبل إنه من المفـروض أن يعـود إلى أشتوتجارت فى العشرين من يناير ليعرض نفسه على طبيب أسنانه . ولا أرى بعد قاسم يزدانى أيضا .

ثريا وفرنجيس وضيفتها زوجة الدكتور حسينى تواجه إحداهن الأخرى فى هذه النقطة من العالم – لكن كلامن الثلاث تحول إلى سرطان . أرتعد من الخوف والألم . الجـمـيع حـولهن سرطانات . طريقـة سـيـرهن مثل

الحشرات ذوات الأقدام المفصلية .. تنثنى كل منهن إلى هذه الناحية وإلى تلك وتتقدم . يدخلن المناطق الباردة ماقبل عصور الجليد المتأخرة عن العصر الحجرى . يترشح منهن سائل لزج معطن يشبه الماء الدامى أو الزبد الذى يخرج من أطراف أفواه العربيات حين يصرخن أو يزغردن . زوجة الدكتور حسينى وثريا وفرنجيس يزحفن فقط فوق الأرض صامتات ، لا ينبغى أن يصدرن ضجة . يصطففن فى الصباح خلف باقى السرطانات من أجل تناول طعام شجر الصمغ ، وحينا يرحن أيضا فى السبات .

الآن تطول علىّ الليالى وتسوء ، ونومى قصير ومتقطع متقطع . كم مرة أستيقظ فزعا أثناء الليل من نومى . أتململ فى نومى من هذا الضلع إلى ذلك الضلع وفمى مر . أظل قلقا فترات حينا لا يعاودنى النوم . أفكر فى فرنجيس وثريا وفى نفسى وفيم تسفر عنه العاقبة . أفكر فى كل أحداث هذه الرحلة من بدايتها حتى نهايتها . فى الحياة بشكل عام ، فى كلنا جميعا وفى أى حال صرنا إليه . فى أى مرحلة وفى أى وضع نحن فيه . أختى تتألم وتعانى ، ثريا فى رقدة الإغماء والموت ، أنا واصل لمصيرهما وناقل وحامل له ، ومصيرنا جميعا محطم وممزق ومجهول وأنا نفسى . فى هذا السفر ...

أجمع من المنزل المضروب بالقنابل والمهاجم من قبل فئران البلح أوراقى وحقيبتى وأتحرك . بقى هناك مطرود وإدريس . أعود إلى المستشفى إلى مقر عمليات العاملين المستقرين بالمستشفى . فى الغروب نسلك أنا وشخصان باللندروفر الطريق الخارج من عبدان . من بواردة بعمارات شركة

النفط وبقسها المحترق وأشجارها المحطمة ترقد فى سبات . صهاريج النفط على امتداد جنوب بواردة وشاطئ نهر دجلة انفجرت واحترقت وتبكى بكاء متقطعا معوجا . سائر الجزيرة غادرته حياته العادية . المناطق المستولى عليها والمغار عليها والمخربة فى قبضة العدم . خربت المنازل على رؤوس النساء والأطفال وانهارت الأسواق والحوانيت . تحولت الرياض إلى مزارع بوص جاف ومقبرة حيوانات ميتة . الناس مابين قتيل أو مشرد . حتى الكلاب والقطط سلكت طريق الفناء . أقفلت الجامعات والمدارس أبوابها . اختفى التعليم . تعطلت المصانع . خوت القرى. جفت آبار الماء .خوت المزارع من زارعيها . السهول تبقعت وبرصت بحطام الناقلات الآلية والدبابات . الرجال والنساء والأطفال الجياع والمنهكون والممزقون يقبلون كل شئ . فر الشرفاء من بيوتهم وهاموا على وجوههم فى الصحارى البعيدة . كل المناطق فى التهاب بسائر الدم المراق فيها ، بجثثها التى تنحدر فى مقابرها بمجالس العزاء وضرب الرؤوس ودق الصدور التى تقام فيها ، بسكانها الذين يصطفون من الصباح فى طوابير اللبن والوقود واللحم ويتدافعون . بدنياها التى تلف وتدور ولياليها وأيامها وشهورها التى تنقضى ورياحها وأشواكها التى تتلوى وسط المدن التى ضربتها الحرب والصواريخ التى تنهمر على رؤوس الناس والدنيا التى لا تعبأ بأحد والفلك الذى يلف والإيرانى الذى يحتضر C'est la vie . هذه هى الحياة .

وهاب سهيلي متجه إلى أمريكا بحقائبه المشقوقة لكنها مربوطة بالحبال ويقول إنه أخفى شيكات سياحية من فئة المائة جنيه استرلينى فى بطانة

معطفه وبنطلونه . الدكتورة كيو مرث بور تجوز الحدود بشهادتها الدكتوراه في الميكروبيولوجي وابنها الباكي على كتفها . نادر بارسي يعب في مقهى لاسانكسيون كونياك الكروازيه وتتلاعب به النساء . بيجين كريم بورفي حلم تجميل مفهوم الحياة الاشتراكية في إيران افتتح في دائرة باريس مدرسة . إملأ الكأس .. في شارع سان جاك يزدهر حفل الرفاق الذين تجمعوا للرقص بحضور مداموازيل فرانسوا ميتران . ليلى آزاده حسنا إيران ونابغة الكتاب فيها عروس كل محفل هنا لكنها طعنت بزجاجة مكسورة ، وعباس حكمت يتلو في عشق إيران ، مخمورا من بيرة آمستل ، شعر درويش مجنون من شعراء آخر العصر القاجاري . صفوى المترجم القومي يفكر في ترجمة كتاب عن « الجاجنج » إلى الفارسية . الأستاذ الدكتور عبد العلي آزاده يهذى ثملا (بالقهوة الأيرلندية) والخمر البيضاء الغالية بجهاز (مولد للصوت) ، لأنه يتوجب تجرع كأس الحياة حتى نهايته . قاسم يزداني الذي قدم من (تربت حيدريه) إلى السوربون تبحر في الكيمياء بفلسفة المعاد والبعث البريئة . التيمسار الدكتور قائم مقامي الطبيب البيطري لجيش إيران الشاهنشاهي وشركاؤه يسعون آخر الليل بجردل الثلج وزجاجات الشمبانيا وراء محبوبات الآخرين . الأستاذ أحمد رضا كوهسار يطبع محاضرة (إيران الحرة – إيران الأبدية) في (La Société) ونادر بارسي وعباس حكمت يتخانقان بسبب تلك المقالة النقدية والمعيبة الحمقاء في La Gallerie Des Glaces في قصر فرساى . السيد بيكلرى المتخصص في لغة السافاك ورمزه وكشف رمزه السائق والساعي لدى رتبة بالجيش موجود في باريس والسيد مير محمدى الأمي يلف ليلة رأس السنة بسيارة آيودى

على منزل بنت أختـه تحت برج إيفل .. الفلك يدور ، والدنيا تمضى . C'est sa vie هذه هى الحياة .

فى منزلى التابع للشركة فى عبدان ، حين انسالت فئران البلح من فتحة التواليت داخل المبنى ، بدأت الفئران فى الهرب من كل طرف تصرخ ألما ومذعورة بعد أن أوصدت دونها سائر المنافذ ورششت الدى دى تى داخل فتحة التواليت ولوثت المنزل بالسم ، سواء ما كان منها ضخما وقويا ومتينا وجلدا أو ما كان أكثر ضعفا وتماوتا . لكنها حين كانت تأتى دائرة من كل ناحية كان السم يرش على رؤوسها . كان أغلبها يعجل ناحية فتحة التواليت ثم يعود نحو المطبخ أو إلى الغرف الأخرى . ما كان يسرع منها بالهرب الأشد والأقصى بداخل التواليت كان يموت فى الأغلب هنا وهناك . بعضها كان يجرى ويقفز فوق الكراسى التى مزقتها أسنانها لكنها كانت تسقط متزنحة . بعضها كان يقفز فوق مكتبة الكتب التى مضغتها وتظل واقفة فترة هناك مذهولة وحين كنت أرش السم على رؤوسها كانت تسقط فى النهاية على الأرض إلى فكى الموت والرقاد الكبير الذى ينتظرها . على مقهى لافارج بشارع روزفلت أرى حسين آب باك جلس كالعادة وأمامه خمس أو ست زجاجات بيرة ويطالع اليوم كتاب Anation of sheep تأليف الدكتور دوليتل الأمريكى . أجلس فترة بجواره وأسأل عن أحواله . يقول إنه كتاب ممتاز عن حالة شعب كمبوديا ولاوس المعنوية ووضعهما اللذين تلاعب بهم الاستعمار وقمع أصولييهم الدينيين البوذيين . استفسر عن أحوال نادر بارسى وأذكر له أن تليفونه لا يرد . يقول أن بارسى هرب إلى لندن لأنه امتنع عن تسديد نفقة زوجته السابقة وقام ببيع منزله فى

باريس وصدر أمر اعتقاله . سافر صفوى بدوره إلى أشتوبخارت لكن زوجته سافرت إلى سويسرا لإجراء عملية تجميل فى أنفها . سافر عباس حكمت أيضا إلي لندن واحتجز للأسف في المستشفي بسبب عودة الفتق إليه . أقامت بنت الدكتور كوهسار أول معرض لها لرسوم فن زخارف المنزل (پاپ آرت) فى صالة (كمپزون) بمتحف الفنون الحديثة بباريس . لا خبر عن ليلى آزاده .

أقضي الجمعة حتى غروبها مع آل شارنو بالمستشفى وأعود إلى الفندق الثامنة مساء . فى مكتب الفندق تركت لى رسالة بخط ليلى آزاده . رسالة بها سطران أو ثلاثة موجزة تقول (عزيزى جلال ، أنا كثيرة الانهيار والضياع . هل يمكنك أن تأتى لإنقاذى لا أقوى على شئ قط . المخلصة ليلى) . أدق جرس تليفونها بشقتها فى بورت ديتالى من نفس مكانى أسفل . لا يرد تليفونها مرة أخرى . أتصل بشقة أختها . لا يرد عليها منها كذلك أحد . أصعد وأغسل وجهى ورأسى بالماء البارد : أتجرع بعض الدواء أحلق ذقنى الذى مضى يومان عليه دون حلاقة . أستلقى علس السرير . لا أدرى ماذا أفعل . أشعر أنى نفسى ماض إلى الموت . أرفع مذكرة أشعار ثريا وأتصفحها بتمهل .. أنا منك أصنع قصر الخيال / وعند الغروب حين يمحو الموج قصر الرمل / لا أبكى .... وأحلاما غطتها الثلوج / فى عالم متفجر / ونحن جميعا لا نريد دارا للمجانين فى موضع قط ...

أرفع بعد ساعة سماعة التليفون وأعطى مرة أخرى موظف مكتب الفندق رقم ليلى ليصلنى بها . يرد التليفون هذه المرة . أوه ، ليلى ، ليلى ، ليلى الجميلة والحسناء . لكن الصوت صوت أختها . أذكر من أكون لأختها . أقول إن ليلى أتت وتركت لى رسالة ويبدو أنها منزعجة . أسألها

هل تعرف أين هى ، يمكن أن أتحادث معها . تقول بروانة آزاد إنها هى بنفسها أوصلت هذه الرسالة لأن ليلى مريضة . والآن وصلت لتوها من عند الدكتور وبلعت كبسولات وتمددت على سريرها . أقول لها إذن لن أزعجها كنت أريد فقط أن أطمئن على أحوالها . يلى صمت ، أسمع صوتا داخل سماعة التليفون . ثم يأتى صوت ليلى بذاتها (سلام يا جلال اتصلت بك كثيرا)

– (ليلى . قرأت الرسالة ، أنت بخير ؟)

– (أريد أن أراك)

– (هل حدث شئ ؟)

– (هل تأتى إلى هنا ؟)

– (بالتأكيد ..)

– (بالله عليك تعال يا جلال)

– (ماشى أنا آت)

(تعال ، لا أستطيع أن أفضفض لك بالتليفون)

– (هل أنت بخير ؟)

– (رأسى ، قلبى ، كل روحى ، كيف أقول .، تصلدوا وتصلبوا ، كما تشتتوا)

– (متى عدت من الهافر)

– (اليوم صباحا)

– (أربعة عمدان جسمك سليمة ؟)

تضحك (نعم سليمة)

- (طيب)

- (هل تريد أن آتى إليك ؟)

- (هل يمكنك ؟)

- (أظن)

- (أنا أعرف الذهاب إليك)

- (أشكرك)

- (ليلى !)

- (ستأتى بالتاكسى)

- (ماشى)

- (إذن تعال .. لو تعرف كم أعانى)

- (يمكن أن أخمن)

- (لا ...)

- (ماذا جرى ؟)

- (تركته وأهملته . ابن الكلب . من كثرة عنجهيته)

- (متى ؟)

- (أمس)

أكتفى بالرد (أنا قادم لأراك)

ولا تسألنى حتى عن أحوال ثريا .

– (آلو .. أنت معى يا عزيزى ؟)

– (نعم)

– (أنت نفسك بخير)

– (حيّ)

– (انظر ماذا جلبته لنفسى)

– (ما هو ذنبك ؟)

– (أنت دائما تغفر لى)

– (أنا كذلك دائما)

– (جلال ؟)

– (ماذا ؟)

– (قلت أننا لا نكفر عن ذنوبنا .. لكننا نفعل ذلك)

– (حسنا، حتما)

– (أنا منقبضة كثيرا يا جلال . ألا تزال تحبنى ؟)

– (......)

– (لن تعود إلى إيران سريعا ؟ أهكذا ؟)

– (لماذا ؟)

– (لأنى أحبك)

– (ليلى ..)

– (أنت أفضل رجل أنا ..)

– (طيب جدا – استريحى يا بنية)

– (هل أسأت فى حديثى ثانية ؟)

– (أنت بإمكانك دائما أن تأتى إلى) يرتعش صوتى حين أتفوه بهذا الكلام الأحمق

– (ماذا ؟)

– (يمكنك دائما أن تأتى إلى)

– (أعود إلى إيران فى خضم هذه الأحوال والأوضاع ؟ أصب ماء التوبة على رأسى ؟)

– (أنا –)

– (ماذا قلت ؟ صوتك غير واضح) وأى حمق أكثر من أن الإنسان يريد أن يفضى بحبه لآخر بالتليفون ويرد الآخر : ماذا قلت ؟ صوتك غير واضح .

– (لا شئ . كملى كلامك)

– (تعال أود رؤيتك)

– (ماشى)

– (هل ستأتى سريعا ؟)

– (نعم) . أضع السماعة وأشعل سيجارة . جلس إنسان بالكيمونو الأسود أمام المرآة . – بعيدا جدا عنى . بشكل ليلى آزاده من الخلف . تحاول أن ترفع إلى ناحية من رأسها شعرها الذى قصرته كثيرا بطريقة

(الجرسون) . البروش في يدها . تنظر إلى . فوق شفتيها خضاب كالدم الحديث النزف . عيناها تلمع ببريق . تنهض وتأتى تجاهى .

وخارج النافذة ، ليل باريس البغيّ سهران ، وبسطت المدينة نفسها أسفل بلكونتى الصغيرة وسط غابة من نور النيون وتاريخ المدينة ، تفيض بالحياة والفن والعمارات والمتاحف والتاريخ والآداب والشعر والتقاليد ، الواقع واليقظة ، الروح والحركة ، النور والجنس والحب والخمر والحديث والانفعال والإحساس والسعادة والنضارة والجمال والمال والكذب والجاسوسية والمأكل والمشرب والسجائر . إملأ الكأس . فى مكان ما استلقت أيضا ثريا تحتضر . على عتبة بيوسة الموت . الحياة بسيطة . يؤتى بك من بطن أمك هنا .يرونك آمال الدنيا وعظمتها ثم يلكمون وجهك . يستلبون كل شئ من يديك ويدعون مخك متوقفا فى غيبوبة . صفر . ليس عدلاً ، خاصة إذا كانت أمك تنتظر (أود قبل أن يلفونى بكفنى الأبيض ويودعونى الثرى أن أرى بعينى ابنتى) فرنجيس ، فرنجيس ، آسف . ليس عدلا ..

رقم الإيداع (١١٤٠٥ / ٩٥)

الترقيم الدولى (I . S. B . N - 7 - 235 - 494 - 2)

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٤٠٤٠ – س ١٩٩٥ – ١٠٠٠

الكاتب اسماعيل فصيح يعد طليعة الكتاب الروائيين المعاصرين لمع في سماء الادب الفارسي بالرواية التي بين أيدينا « ثريا في غيبوبة » وتصور التغيرات التي طرأت على المجتمع الإيراني بعد نجاح الثورة الإسلامية وذلك في محورين أولهما محور الجماهير التي تعيش داخل ايران وتعاني من حالة تغير سريعة من ناحية ، ومن ناحية أخرى تعاني من ويلات الهجوم العراقي والقصف المستمر للمناطق الحيوية والأهلة بالسكان ، والمحور الثاني تصور من خلاله حياة جماعات المهاجرين إلى أوروبا من مثقفين وغير مثقفين ومايعانونه من حالات الضياع واليأس والتشاؤم . وذلك في فنية خليقة بالاعجاب مما جعل الرواية سواء في نسختها الفارسية أو نسختها الإنجليزية تتصدر قائمة التوزيع وتحدث ثورة نقدية واسعة .

لوحة الغلاف : محمود بقشيش